البصيرة والاستقامة

البصيرة والاستقامة

الإمام الخامنئي

ترجمة: علي ضاهر

© جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-055-5

[٢٠١٦م – ١٤٣٧هـ]

دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: لبنان – بيروت – سان تيريز – سنتر يحفوفي – بلوك c - ط ٣
تلفاكس: ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ – email: almaaref@shurouk.org

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الآراء والاتجاهات والتيارات الوارد الحديث عنها في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن توجهات **دار المعارف الحكمية** وإن كانت تقع في سياق اهتماماته المعرفية

المحتويات

مقدمة الناشر ٩
المقدمة ١٣
حديث أهل البصر والصبر ١٦

الفصل الأول: البصيرة

نقاط من تاريخ الإسلام ١٧
طريق تحصيل البصيرة ٤٥
نقاط لافتة ٤٩

الفصل الثاني: الاستقامة

الاستقامة ٧٠
حفظ الصراط المستقيم ٧٧
نمط الاستقامة ٧٩
الاستقامة الحسينية، الاستقامة الخمينية ٨٤
آفات الاستقامة ١٠١
مثال تاريخي وبضع نقاط ١٠٨
استنتاج ١١٥

ملحق

الفتنة ١٢٠
فتنة الجمل، فتنة الخوارج ١٣٢
فتنة العظماء ١٥٤

مقدمة الناشر

يتوجّه الخطاب القرآنيّ إلى ذوي العقول ويدعوهم إلى التفكّر وإعمال العقل من أجل بناء نفس بشريّة متوازنة توازنًا إيمانيًّا واعيًا فيعبدون الله عن معرفة وتلك أكمل العبادات، لذلك تكثر الآيات القرآنيّة الداعية لذلك ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[١] ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٢] ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾[٣] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٤]، وكلّها تحثّ الفرد والجماعة على التفكير، فالنجاح الأعظم بالنسبة لأيّ فرد أو جماعة يتمثّل في نجاحه بتجسيد هذا الإيمان بصدق في عمله وسلوكه.

فالإيمان يستلزم جملة من الالتزامات الشخصيّة على صعيد عبادة الفرد وعلاقته بالله وبنفسه ومن حوله، وجملة من الالتزامات الجمعيّة التي تهدف إلى إقامة مجتمع توحيديّ تتحقّق في ظلّه الأحكام الإلهيّة، وعليه، يجب أن يكون هذا الإيمان على قدرٍ وافٍ من الوعي لإدراك المسؤوليّات والتكاليف، وهذا لا يمكن أن يتمّ إلّا لمن امتلك البصيرة القادرة على تحديد الهدف والتزام الاستقامة والثبات في تنفيذ التكليف.

يقول الإمام علي (ع): «إنّما البصير من سمع فتفكّر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر، ثمّ سلك جددًا واضحًا يتجنّب فيه الصرعة في المهاوي»[٥]. فالبصيرة ضروريّة لمعرفة الصحيح من القول والفعل الذي على أساسه يمكن تحديد الهدف والمراد من التكليف الإلهيّ،

١ | سورة **الأنعام**، الآية ٥٠.
٢ | سورة **القصص**، الآية ٧٢.
٣ | سورة **القصص**، الآية ٧١.
٤ | سورة **البقرة**، الآية ٤٤.
٥ | محمّد الريشهري، **ميزان الحكمة** (دار الحديث، الطبعة١، ١٤١٦هـ)، الجزء ١، الصفحة ٢٦٦.

فيسعى بعد ذلك لإقامته ويتحمّل لأجله الأعباء دون أن يتردّد فيه.

ولأنّ البصيرة والاستقامة مفردتان تختصران مسيرة إنسانٍ يبدأ بالملاحظة والتفكّر وإعمال العقل، يحدّد الهدف ويسعى إليه عن وعي وصلابة تحت ظلّ الأحكام الإلهيّة والتكاليف الشرعيّة، وجد دار المعارف الحكميّة بدًّا من ترجمة هذا الكتاب، الذي هو عبارة عن خطب لسماحة الإمام الخامنئي (حفظه الله) في موضوعي «البصيرة والاستقامة»، ونشرها باللغة العربيّة، بعد توزيعها على فصلين وملحق.

يحمل الفصل الأوّل عنوان «البصيرة» التي يعرّفها الإمام الخامنئي (حفظه الله) بأنّها الوعي والتنبّه والتيقّظ ورسم الاتجاه الصحيح. فحين يمتزج الحقّ بالباطل يتطلّب الميدان اقتدارًا معنويًّا فيتبصّر القلب من أجل أن يعيد الارتباط الحقيقيّ بالباري فلا تزلّ الأقدام وتدرك القلوب حقائق الإيمان.

وفي هذا العرض، قدم الإمام الخامنئي (حفظه الله) المائز بين عهد حكومة الإمام علي (ع) وأيّام رسول الله (ص)، ففي الثاني، كانت الخنادق متمايزة عن بعضها ومفصولة تمامًا؛ خندق الإيمان وخندق الكفر. أمّا في عهد أمير المؤمنين (ع) فالمشكلة كانت في تداخل الصفوف والخنادق، ومن يصمد ويحارب مع علي (ع) كان عليه أن يكون على قدر من البصيرة «فلا يحمل هذا العلم إلّا أهل البصر والصبر»[١].

ثم ينتقل حفظه الله إلى عهد الإمام الحسن (ع) حين اشتدّت الظروف والمرارة كان بقاؤه حيًّا عين البصيرة والاستقامة لإماطة اللثام عن وجه معاوية الطاغية، وتكليفه كان إعداد الأرضيّة لمواجهة طويلة الأمد مع الطواغيت وهو ما حصل مع الإمام الحسين (ع).

وتطرّق أيضًا في الفصل نفسه للثورة الإسلاميّة الإيرانيّة وإيمان الشعب الإيرانيّ ومقاومته وبصيرته التي أوصلته إلى النصر.

١ | خطب الإمام علي (ع)، **نهج البلاغة**، شرح الشيخ محمّد عبده (قم: دار الذخائر، الطبعة١، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠هـ.ش)، الجزء ٢، الصفحة ٨٧.

فالبصيرة مهمّة وضروريّة من أجل تبيان الحقائق من دون تعصّب ومن دون أن تسيطر الانتماءات الفئويّة على القلب لتحديد التكليف.

يحمل الفصل الثاني عنوان « الاستقامة»، فهي من النقاط المهمّة التي ذكرها القرآن الكريم فيما يتعلّق ببناء المجتمع الإسلاميّ وتحقيق القيم الإلهيّة فهي تعني الثبات على الصراط المستقيم. فحين يتحقّق الاتصال الحقيقيّ بالملكوت الأعلى لا يمكن أن يتسلّل الخوف إلى النفوس في المضيّ والمحافظة على المجتمع الإلهيّ التوحيديّ الذي أراده الله.

ليست الاستقامة بمعنى تحمّل المشاكل في أيّ موضع كان لأنّ تحمّل المصاعب بالنسبة للإنسان العظيم أيسر من تحمّل المسائل التي تبدو في المقاييس الشرعيّة والعرفيّة العقليّة خلافًا للمصلحة. فالاستقامة الحسينيّة مثلًا ليس المقصود منها تلقّي السيوف والجراح فحسب، فإنّ كلّ جنديّ باستطاعته ذلك، إنّما في تحديد الهدف وتشخيصه وقيمة الصمود من أجله في سبيل الله.

وأضيف إلى الكتاب ملحق بعنوان «الفتنة» الذي يعتبرها الإمام الخامنئي (حفظه الله) الغبار الذي يتحرّك الناس في فضائه بعيون مغلّفة فتفرض مجتمعًا أناسه لا يتعرّفون إلى وجوه بعض فيرفع الأصدقاء والأخوة سيوفهم. فالفتنة تحضر عندما يفقد الإنسان البصيرة ليحدث الانحراف والضياع عندما تطاع الأهواء النفسانيّة.

نأمل أن يساهم هذا الكتاب في الوعي العامّ ويعين القارئ لتحديد الجهة الصحيحة التي عليه أن يتحرّك في فضائها فلا يضيع عمّا أمره الله ولا يزلّ في إقامته للتكاليف التي أرادها منه الباري ليرتقي نحو الملكوت الأعلى عن وعي ودراية لا عن سوقٍ لا إراديّ. فالعروج عن معرفة أفضل العبادات، جعلنا الله والقرّاء ممّن يسمعون القول فيتّبعون أحسنه.

والله من وراء المقصد

سكينة أبو حمدان

مقدمة (تعريب بتصرف)

١ – طوبى للذين يشيّدون إيمانهم بوعي وفهم وشعور. عند العواصف، تجرف السيول الأشجار العاتية، لكن تلك البتلات التي أصلها ثابت تبقى عصيةً؛ فجذورها ثابتة ممتدة وإن كانت أصولها رقيقةً وأغصانها غضةً طرية. إن ما هو ثابت الأساس لا يزول بنيانه، وهذه حقيقة مسلّم بها في الإسلام: إن قيمة الإيمان تكمن في كونه نابعًا عن الوعي؛ ممزوجًا بالإدراك والأحاسيس، كونه متأتيًا عن بصيرة وعين يقظة لا تخاف الشدائد. فالمسلم الذي يريد حفظ إيمانه بأن لا يقرأ جريدةً ولا يطالع كتابًا ولا يمشي في السوق ولا يشهد الحر والبرد ولا يتحدث مع فلان ولا يرى الحقائق – لا الشمس ولا القمر – ولا يقاسي الشدائد؛ فإيمانه – مع الأسف – سيزول لا محالة. الإيمان المطلوب هو ذلك الإيمان الذي يختاره صاحبه ولا يفتقده في أحلك الظروف وفي أصعب اللحظات ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾[1].

٢ – فيما يتعلق بعمار بن ياسر، يطلب القرآن الكريم منه قول كلام تحت التعذيب لصرف العدو فحسب؛ ولكن إيمانه لن يزول من قلبه تحت هذا التعذيب. ليس سهلًا التمسك بإيمانك حين إحماء الحديد وإلصاقه بجسدك. عمار هذا لم يتنازل أو يتراجع لما حمله قلبه من عميق الإيمان؛ إما إيمانًا كهذا، الناشئ عن وضوح الرؤية والفهم العميق والدرك الواعي، عندما يتم حسابه بدقة وبنحو صحيح، فلن يلزم أن نضعه في صندوق ونحفظه في غرفة حتى لا يصيبه الحر والبرد والغبار؛ لا، لن يصبه مكروه.

١ | سورة **النحل**، الآية ١٠٦.

٣ – إن ﴿**أُوْلِي الْأَلْبَابِ**﴾ هم أولئك الذين يُعمِلون قوة الفكر والعقل حتى يصبحوا عاقلين. من هم «أولي الألباب»؟ من النقاط اللطيفة في القرآن أنه عندما يذكر «أولي الألباب» فيعرّفهم، إذا أراد في العوام من الناس، يقول إن العاقل هو الشخص الذي يكون في كل أمور حياته سابقًا ومتقدمًا. لا يُخدع في أي عمل: في التجارة، في ألاعيب السياسة، في المعارضة والمواجهة مع منافسيه، في كل هذه المواضع تكون يده فوق يد خصمه، هو العاقل صاحب اللب!. فلأن القرآن يرفض كل هذه الألاعيب القائمة على الكذب والخداع والظلم، ولأنه يعتبر القيمة الحقيقية للإنسان هي في اتصاله بالله وارتباطه به، يعرّف العاقل بهذه الصورة في القرآن. العاقل في نظر القرآن هو الذي تكون أعلى القيم لديه أهم وأكثر من أي شيء وأي شخص هي: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ**﴾[1]، أولئك الذين يذكرون الله في كل حالاتهم: قائمين وقاعدين وعند الاستلقاء، هم دائما في حالة ذكر لله. لكن هذه الحالة من ذكر الله ليست بمعنى حالة الدراويش العرفانية، الذين لسان حال بعضهم: إن علينا أن نديم ذكر الله، ولا شأن لنا بغير ذلك. وهو فهم خاطئ؛ إن ذكر الله يجب أن يكون بنحو فعّال، أن يحسب بنحو عملي؛ ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ أي هم في حالة تفكر في خلق السماوات والأرض، هؤلاء هم أولو الألباب. فبعد القيام بهذا التفكر ينطقون بلسان قلوبهم ولسانهم الظاهري يقولون: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ**﴾[2]، أي لم تخلق هذا دون غاية وهدف، أسبحك وأنزهك عن ذلك، وهذه أهم نقطة وأكثر نقطة أساسية في الرؤية الكونية.

٤ – توجد نقطة مركزية في كل رؤية كونية صانعة للحياة وهي أني موجود هنا لأجل عمل وهدف؛ فإذا كنت معتقدًا بالله فإن الرؤية الكونية تنصّ: لقد خلقك الله لأجل عمل وهدف، ومن لم يكن معتقدًا بالله سيقول أيضًا: على أي حال فأنا هنا لأجل عمل

١ | سورة **آل عمران**، الآية ١٩١.
٢ | سورة **آل عمران**، الآية ١٩١.

ما. إن أكثر النقاط محوريةً وأساسيةً لأي فلسفة فكرية لتصبح ملهمةً للحياة الفردية والاجتماعية هي: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ**﴾؛ أنت يا إلهي ما خلقت هذه الأرض والسماء وما فيهما عبثًا وباطلًا ﴿**سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾، أنزهك عن كل عمل لا فائدة منه ولا نفع، لذلك فأنا لدي وظيفة في هذا الكون، وعليّ أن أسلك طريقًا وسبيلًا، فأنا هنا أمام هذا النظم والخلق العجيب لدي عمل ومرتبط بقضية.. وهذا العمل ما لم أنجزه بالشكل الصحيح الذي أردته أنت مني فأكون قد خربت هذا النظم؛ ﴿**سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾.

٥ – ما عُرض كان كله مقدمةً؛ مقدمة لنتلمس الإيمان الواعي في هذه الآيات بشكل صحيح. ينبغي أن تكون لنا الهمّة والجدية لكي نتعرف كيف يتصاعد الإيمان الواعي من هذه الآيات. دققوا معي في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ**﴾[1]، لا ناصر ولا معين، لا من التكوين ولا من يد الغيب، لمن تدخله النار؛ أي إن الذين يسيرون في طريق الظلم والكفر والنفاق، في طريق الباطل، محكومون بالزوال والانعدام؛ فلا شيء يمكنه أن يساعدهم في هذا العالم.

هؤلاء العاقلون، أولوا الألباب الذين يتفكرون في خلق السماوات والارض، والذين أدركوا وفهموا أنهم لم يأتوا إلى هذا العالم دون غاية، وأن هذا العالم لم يخلق عبثًا؛ يتابعون: ﴿**رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**﴾. عندها آمنا. كيف آمن هؤلاء؟ كأن يقول شخص: آمنوا، فآمَنوا!؟ لا، فهؤلاء هم أولو الألباب المتفكرون أنفسهم. أما هذا المنادي فقد يكون في الظاهر رسولًا ونبيًا؛ وقد يكون في الباطن المنادي الداخلي رسول العقل والتفكر والعلم الذي يدعوهم إلى الإيمان بربهم.

إذا المنادي يقول لهؤلاء: آمنوا بربكم. فهم آمنوا عن علم ودرك وفهم وحس وشعور ووعي كامل. هذا هو الإيمان المطلوب في الإسلام؛

١ | سورة آل عمران، الآية ١٩٢.

الإيمان الواعي.

حديث أهل البصر والصبر

٦ - إذا لم يتحلّ الإنسان بالبصيرة فإنه سيكون عرضةً للخداع حتى لو كان يحملُ إيمانًا فوارًا؛ عندما يُخدع لن يكون هذا الإيمان في خدمة ذلك الهدف، لذلك يقول أمير المؤمنين في معركة صفين: «وقد فُتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر»[١].

ما أجمل كلمتَي «الصبر» و«البصر»؛ وقد ركبتا من حروف مشتركة؛ لكن معنى كل واحدة مختلف عن معنى الأخرى. حينها يكون ركنا الفلاح هذان في حمل راية الهداية حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام [عنهما] «ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر» فلا يستطيع أن يرفع هذا العلم ويحمله على عاتقه إلا من تتوفر فيه هاتان الخصوصيتان؛ الأولى: البصيرة والثانية: الاستقامة. البصيرة الدينية والاستقامة الإيمانية[٢]. ١٣٧٥/١٢/٢٥

١ | نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣.
٢ | في لقاء حشد من مختلف أطياف الشعب، قم، ١٣٧٥/١٢/٢٥هـ .ش (١٩٩٧/٣/١٥).

الفصل الأول

٧ - «قد جاءكم بصائر من ربكم»؛ معنى البصائر: الوعي، والتنبه والتيقظ، والإرشاد والتوجيه؛ رسم الاتجاه والوجهة ﴿**فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا**﴾[١]، باستطاعتكم أن تروا هذه البصائر والدلالات الباهرة وأن تتّبعوها، فتنتفعوا بها؛ ويمكنكم أن تغمضوا أعينكم ولا تبصروا، أو تبصروا وتجحدوا فتُلحقوا الضرر بأنفسكم. ١٣٥٩/٣/٢٩

إن أصعب مرحلة تَمرّ بها أية ثورة هي عندما يمتزج الحق بالباطل؛ يقول أمير المؤمنين عليه السلام بلسان ألم: «ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغثٌ، فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه»[٢]. وإننا نحمد الله على أننا لسنا في مرحلة كهذه. فالصفوف والجبهات واضحة؛ ولا تزال الكثير من الأصول والحقائق واضحةً، لكن لا تركنوا إلى بقاء الأمور هكذا دائمًا. ينبغي أن تكونوا يقظين. ينبغي أن تتحلوا بعين البصيرة. يجب أن تعرفوا أن سواعدكم هل هي في جنب (يد) الله أم لا؟؛ وهذا ما يحتاج إلى البصيرة؛ لا تستخفُّوا بذلك. ١٣٧٠/٦/٢٧

فقدان البصيرة مضلّة الطريق

٨ - إن أكثر ما يكون ضروريًا للإنسان في ميادين الدفاع عن الدين هو البصيرة. فالفاقدون للبصيرة ينخدعون؛ ويصبحون في جبهة الباطل دونما التفات، تمامًا كالذين كانوا في جبهة ابن زياد ولم يكونوا

١ | سورة الأنعام، الآية ١٠٤.
٢ | نهج البلاغة، الخطبة ٥٠.

من الفساق والفجار إلا أنهم لم يكونوا من أهل البصيرة. ١٣٧١/٤/٢٢

٩ - البصيرة تعني الدراية والرشد وضياء القلب. ليس معنى البصيرة العلم والتفطّن الصحافي والإذاعي والعلمي والكتابي. لا تخطئوا. قد يُقال إن فلانًا لا نظر لديه؛ أي لا رؤية سياسية. لا يفهم ولا يدرك؛ لا قدرة لديه على التحليل. ليست البصيرة تلك الرؤية وذلك النظر (المقصود). ليس الميدان هنا ذلك الميدان الذي يتطلب التحصيل العلمي والقدرة على التحليل السياسي والتجربة في العمل السياسي ومثل هذه الأمور. فالميدان هنا يتطلب «الاقتدار المعنوي». تعني البصيرة تبصّر القلب، أي فتح عين القلب؛ بمعنى عدم الاكتراث للألاعيب المادية والدنيوية والانتقادات السياسية الهابطة، ورميها كمنديل لا قيمة له في سلة المهملات؛ هذه هي البصيرة. البصيرة تعني وصل القلب بالله وربطه به. البصيرة أن ترى الله. ما الذي يمكن أن نراه بعين القلب؟ يمكن أن نرى الله. فهو رغم كونه ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**﴾[1]؛ «ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان»[2]، تدركه وتراه بالإيمان. فإذا ما كانت القلوب مقفلةً تكون معدومة البصيرة، فلا تراه. البصيرة تعني ذلك الذي يرى الله ويقاوم ويصمد. فهذان الشرطان كافيان؛ الأول: البصيرة، المعنوية، التوجه؛ والثاني: المقاومة والثبات. ١٣٦٦/٣/٢٠

١٠ - البصيرة هي كشّاف النور، البصيرة هي البوصلة وهي الدليل إلى القبلة. إذا تحرّك الإنسان في الصحراء بدون بوصلة، فمن الممكن أن يصل بالصدفة إلى مكان ولكن الاحتمال ضعيف، أما الاحتمال الأكبر فهو أن يتعرّض الإنسان لمشقّاتٍ كثيرة بسبب الضياع والحيرة. إن وجود البوصلة ضروريّ، وخاصّةً عند وجود عدو يقف في المقابل. إن افتقدتكم البوصلة، قد تجدون أنفسكم تحت حصار العدو فاقدين للعدّة اللازمة والتجهيزات المطلوبة للمواجهة، عندها لن تستطيعوا تحريك ساكنٍ. البصيرة إذن هي البوصلة وكشّاف النور. البصيرة هي المنور في الفضاء المظلم. البصيرة

١ | سورة الأنعام، الآية ١٠٣.
٢ | بحار الأنوار، الجزء ٦٩، الصفحة ٢٧٩.

تدلّنا على الطريق. البصيرة شرط لازم لتحقيق النجاح الكامل، ولكنّها ليست شرطًا كافيًا. وبتعبير آخر: ليست البصيرة العلة التامة للنجاح؛ فهناك شروط أخرى ضرورية أيضًا؛ إلا أن البصيرة هي الشرط الأساس. وإذا ما توفرت جميع العوامل دون البصيرة فإن الوصول إلى الهدف والنجاح سيكون صعبًا جدًّا.

١١ - يمكننا أن نعرِّف البصيرة على مستويين: الأول، مستوى الأصول والبنية الأساسية.

هناك بصيرة يحصلها الإنسان من خلال اختياره للرؤية الكونية وفهمه الأساس للمفاهيم التوحيدية وعبر نظرته التوحيدية إلى عالم الطبيعة. وإن الفرق بين النظرة التوحيدية والنظرة المادية هو أن العالم في النظرة التوحيدية مجموعة منظّمة، مجموعة ذات قانون وسنن، وطبيعة هادفة، نحن أيضًا، كجزء من الطبيعة، لوجودنا وخَلْقِنا وحياتنا هدف، لم نُخلق عبثًا في هذه الدنيا. هذه لازمة النظرة التوحيدية.

إن معنى الاعتقاد بوجود إله عالم وقادر هو أنه عندما ندرك أن لدينا هدفًا ننهض للبحث عنه. هذا البحث والسعي بحدّ ذاته هو جهد مفعم بالأمل. نسعى لكي نجد ذلك الهدف؛ بعد أن نجده ونعرفه، يبدأ السعي للوصول إليه. في هذه الحالة، تصبح كل حياة الإنسان سعيًا، سعيًا هادفًا ومعروفَ الاتجاه.

من ناحية أخرى، نعرف أيضًا من خلال الرؤية التوحيدية أن كل نوع من السعي والمجاهدة في سبيل الهدف يوصل الإنسان إلى نتيجة حتمًا. هذه النتائج ذات مراتب. وهي توصل الإنسان يقينًا إلى النتيجة المطلوبة. وعندها فلن يكون لليأس والضياع والقلق معنىً في حياة الإنسان.

عندما تعرفون أن وجودكم وخلقكم وحياتكم وتنفّسكم يرتبط بتحقيق هدف فستتحرّكون وراء ذلك الهدف، وستبذلون الغالي والنفيس للوصول إليه. إن هذا السعي نفسه له أجر وثواب عند الله تعالى خالق الوجود. عندما تصلون إلى أية نقطة فإنكم في الواقع قد

وصلتم إلى الهدف.

في الرؤية الإسلامية، لا يمكن تصور الخسارة والضرر بالنسبة للمؤمن [أي لا محل لهما في حياته]. حيث قال «ما لنا إلا إحدى الحسنيين»[1]، واحدة من اثنتين كلاهما حسن، إما أن نموت في سبيل الله، وهذه حسنى؛ وإما أن نزيل العدو من الطريق، وهذه حسنى أيضًا. فهنا لا وجود للضرر أبدًا.

١٢ - أما الرؤية المادية، فتقع في النقطة المقابلة تمامًا للرؤية التوحيدية.

أولًا: تعتبر الرؤية المادية أن لا هدف لخلق الإنسان ووجوده في العالم؛ فالإنسان بحسبها يجهل سبب مجيئه إلى الدنيا. بالطبع، هو يحدّد لنفسه أهدافًا في الدنيا - الوصول إلى الثروة والمال، أن يصل إلى الحب، إلى المنصب، إلى اللذّات الجسدية أو اللذات العلمية، يمكنه أن يحدّد لنفسه أهدافًا كهذه - لكن أيًا منها ليس هدفًا طبيعيًّا، ليس ملازمًا لوجوده.

عندما لا يكون هناك اعتقاد بالله، تصبح الأخلاقيات أيضًا دون معنى، وكذلك تفتقد العدالة لأي معنى، ولن يكون هناك معنى لغير اللذة والمنفعة الشخصية. فإذا ما اصطدمت قدم الإنسان بحجر وتأذّى في طريق الوصول إلى نفعه الشخصي يكون قد تضرّر وخسر. وإذا لم يحصل على المنفعة [المادية والشخصية]، وعجز عن السعي والعمل، يأتي دور اليأس والانتحار وغيرهما من الأعمال غير المعقولة.

لاحظوا الفرق إذن بين الرؤية التوحيدية والرؤية المادية، بين المعرفة الإلهية والمعرفة المادية. هذه هي أهم ركائز البصيرة.

عندما يدخل الإنسان في صراع على أساس هذه الرؤية، فإن هذا الصراع هو جهد مقدس، إذا خاض حربًا عسكرية فإن الأمر كذلك؛ فالصراع في الأساس ليس قائمًا على سوء الظن وسوء النوايا.

الصراع يهدف إلى أن تصل الإنسانية – وليس فقط هذا الإنسان نفسه [كفرد] – إلى الخير والكمال والرفاهية والتكامل. بهذه النظرة تكتسب الحياة وجهًا جميلًا وتصبح الحركة في هذا الميدان الواسع عملًا حلوًا ممتعًا. يزول تعب الإنسان بذكر الله تعالى وذكر الهدف. هذا هو المرتكز الأساس للمعرفة، المرتكز الأساس للبصيرة. وهذه البصيرة هي أمر مطلوب ولازم جدًّا، هذا ما يجب أن نوفّره في أنفسنا. البصيرة في الحقيقة هي أرضية جميع الجهود والمساعي الإنسانية في المجتمع. هذا مستوىً من مستويات البصيرة [أي البنية التحتية الأساسية].

١٣ – فضلًا عن هذا المستوى الواسع للبصيرة والطبقة العميقة؛ كذلك يمكن للانسان، في الحوادث المختلفة، أن يتحلّى بالبصيرة أو أن يفقدها. وهذه البصيرة بأي معنى؟ ما معني تحصيل البصيرة؟ كيف يمكن أن يجدها؟

إن البصيرة الواردة في الروايات والتي تمّ التأكيد عليها أيضًا في كلمات أمير المؤمنين تعني أن يتدبّر الإنسان في الحوادث التي تجري من حوله والحوادث التي تجري معه وترتبط به، يتدبّر ويسعى كي لا يمرّ على الحوادث مرور الكرام وبشكل سطحي كالعوام، وبتعبير الإمام أمير المؤمنين، أن يعتبر: «رحم الله امرأً تفكّر فاعتبر واعتبر فأبصر»[١]، رحم الله امرأً تفكر وعلى أساس هذا التفكر يعتبر ويأخذ العبر. أي إنّه يزن المسائل بالتدبر، «اعتبر فأبصر». بهذا الميزان يجد البصيرة. وإن النظر الصحيح إلى الحوادث، والتدبّر فيها، يوجد البصيرة عند الإنسان. أي إنّه يوجد لديه قدرة على الرؤية والتبصر ويفتح عينيه على الحقيقة.

١٤ – يقول أمير المؤمنين عليه السلام في موضع آخر: «فإنّما البصير من سمع فتفكّر ونظر فأبصر»[٢]، البصير هو الذي يسمع، لا يغلق أذنيه، وعندما يرى يفكّر. لا يمكن للإنسان أن يقبل بأمر أو

١ | نهج البلاغة، الخطبة ١٠٣.
٢ | نهج البلاغة، الخطبة ١٥٣.

يرفضه بمجرّد سماعه، ينبغي التفكّر فيه، والنظر في أمره وعدم إغلاق العينين.

إن مشكلة كثيرين من الذين زلّت أقدامهم وهووا في منزلق انعدام البصيرة هي أنّهم لم ينظروا وأغلقوا أعينهم عن رؤية الحقائق الواضحة. على الإنسان أن ينظر، وعندما ينظر سيرى. ليس لدينا الاستعداد في الكثير من الأوقات لكي ننظر إلى بعض الأشياء. يرى الإنسان بعض المنحرفين الذين يرفضون أن ينظروا أصلًا. لسنا نتحدث الآن العدو العنيد، فيما بعد سأتحدّث عنه ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾[1]؛ فهناك بعضٌ ممن لديهم سبب للعداء ويواجهون بعناد، حسنًا! هؤلاء أعداء، بحثنا الآن ليس حولهم. البحث هو عنّي وعنكم حيث إننا حاضرون في الساحة. إن أردنا أن نتحلّى بالبصيرة علينا أن نفتح أعيننا، أن نبصر، هناك أشياء يمكن رؤيتها. إذا تجاوزناها بشكل سطحي ولم نلتفت إليها، نكون قد أخطأنا بالتأكيد.

١٥ - حسنٌ، توجد نقطة هنا وهي: أن البصيرة تكون موجودةً أحيانًا ولكن، في الوقت نفسه، مع الاستمرار في ارتكاب الخطأ والاشتباه، ولذلك قلنا إنّ البصيرة ليست شرطًا كافيًا للنجاح، إنما هي شرط لازم.

يوجد هنا عوامل أخرى، إحداها مسألة عدم وجود العزم والإرادة. فبعضهم يعرف الحقائق، لكنّه لا يقرّر أن يتّخذ موقفًا، لا يقرّر أن يصرّح بما يجب، لا يقرّر أن يقف مع الحق وفي موقف الدفاع عن الحق. طبعًا، هناك أسباب لعدم اتّخاذ القرار: طلب العافية أحيانًا، والحيادية أحيانًا، هوى النفس أو الشهوات أحيانًا أخرى، اتّباع المصالح الشخصية وأحيانًا العناد واللجاجة. فقد يتفوّه أحدهم بكلمة ويريد أن يبقى ملتزمًا بكلمته، فلو تراجع فإنّ بعضهم سيعيّره ويشمت به. وقد ورد في رواية: «لعن الله اللجاجة». بعض الأشخاص مطّلعون على الوقائع ويعرفون الحقائق، لكنّهم في الوقت نفسه يساعدون

١ | سورة النمل، الآية ١٤.

الاتّجاهات المخالفة، اتّجاهات العدوّ.

إن الكثير من الذين ندموا على ثوريتهم وجهادهم وانقلبوا على أعقابهم، كانوا في يوم من الأيام ثوريين مفرطين، ولكن تراهم اليوم قد وقفوا في النقطة المعاكسة تمامًا وانشغلوا بخدمة أعداء الثورة! السبب هو تلك العوامل: الأهواء النفسانية، الشهوات النفسانية، الغرق في الطلبات المادية. والسبب الرئيسي لهذا كلّه هو الغفلة عن ذكر الخالق، الغفلة عن الواجب، الغفلة عن الموت، والغفلة عن القيامة، هذا ما يجعلهم يغيرون اتّجاههم مئة وثمانين درجة. ١٣٨٩/٨/٤

١٦ – إن كل مشكلة يقع فيها الأفراد أو الجماعات ناجمة عن واحدة من هاتين الصفتين؛ إما انعدام البصيرة وإمّا انعدام الصبر. فإمّا أنهم يغفلون ويعجزون عن تشخيص الحقائق وفهمها، أو أنهم، مع فهمهم لها، يعجزون عن الصمود في وجهها.

ولهذا السبب نجد تاريخ البشرية حافلًا بمحن كبرى ابتليت بها الشعوب، وطافحًا بغلبة الأقوياء على الشعوب الغافلة والعاجزة عن الصمود؛ وذلك نتيجةً لوجود إحدى هاتين الحالتين أو كليهما معًا. فقد تمر على بعض الشعوب عشرات أو حتى مئات السنين تبقى خلالها رازحةً تحت سيطرة قوّة كبرى. ولكن لماذا توجد هذه الحالة؟ ألم يكن هؤلاء بشرًا؟ نعم، لقد كانوا من البشر ولكنهم كانوا إما فاقدين للبصيرة، أو أنهم إذا كانت لهم بصيرة، دون القدرة على الصبر. يعني إما أنهم لم يكن لديهم الوعي أو أنهم افتقدوا القدرة على الصمود.

١٧ – كلما تأملنا في السنوات التي سبقت الثورة وأوغلنا فيها ندرك مدى فداحة المحنة والذلّ والتعاسة وشتى ألوان الضغوط التي كانت تمارسها الطبقات الحاكمة والسلطات المستبدة، ومدى الغطرسة والاستخفاف الذي كانت تمارسه القوى الأجنبية في بلدنا.

لقد مرّت على هذا البلد عهودٌ من السيطرة البريطانية تارةً، والروسية تارةً أخرى، ثم كلاهما معًا تارةً ثالثةً، ثم أخيرًا السيطرة الأمريكية؛ وكان كل ما تقرره تلك القوى يجري على هذا الشعب؛

في وقت كان شعبنا هو هذا الشعب نفسه ويتصف بهذه الطاقات والكفاءات نفسها التي ازدهرت اليوم وأشرقت لدى شبابنا كإشراقة الشمس والكواكب. إلا انّه كان حينذاك على قدر ضئيل من البصيرة والصبر بسبب وجود الحكومات غير الكفوءة وما كانت تشيعه من تربية مغلوطة. وحينما ظهرت بين أبنائه شخصياتٌ واعيةٌ فاهمة حكيمة، وظهر شخص كالإمام الخميني نفخوا في هذا الشعب روح البصيرة وحفّزوه على الصبر وأشاعوا في المجتمع مفاهيم ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[1]، فنجم عن ذلك انبثاق هذا البحر الهادر ووضعت نهاية لحقبة تاريخية مليئة بالذل والمحن، وقُطع دابر التسلط الأجنبي عن هذا البلد.

إذا نظرتم اليوم إلى الأفق السياسي في العالم، ورأيتم شعبًا لا وجود للتسلط الأجنبي عليه، فذلك هو الشعب الإيراني. وإذا وُجدت بضع دول وشعوب تتمتع بمثل هذه الحالة، فلا بد وأن إيران والشعب الإيراني يحتلان مركز الصدارة بينها. ويعود سبب ذلك إلى أن أبناء هذا الشعب وشبابه ومسؤوليه وقادته استلهموا درس البصيرة والصبر من أمير المؤمنين عليه السلام. إذن فهاتان الخاصيّتان على هذا القدر من الأهمية.

١٨ – كما أن الذين يمسكون بزمام القوى السياسية السلطوية ويترأسون الشركات الاقتصادية ويديرون الأجهزة الدعائية السرطانية والشبكات الإعلامية النفعية الهائلة، إنما يسيطرون على الشعوب الأخرى بواسطة سلب واحدة من هاتين الخاصيّتين؛ فيحاولون سلبها بصيرتها وإبقاءها في حالة سبات وغفلة. وإذا لم يتأتّ لهم سلبها بصيرتها كليًّا، يحاولون على الأقل سلبها البصيرة في مورد معيّن وفي قضية خاصة تحظى لدى هؤلاء بالأهمية، أو يسعون إلى جعلها عاجزةً عن الصبر والتحمّل.

أحيانًا قد تصاب الشعوب والجماعات بفقدان الصبر أثناء سيرها على النهج الصائب؛ وانعدام الصبر هذا إنما منشأه التلقين؛ أي إنه

١ | سورة العصر، الآية ٣.

من الأمور التي يمكن تلقينها للشعوب. ويجب أن تعلموا أن الشبكات الدعائية تنفق اليوم المليارات من أجل تلقين الشعوب هذه المفاهيم وجعلها إما عاجزةً عن التشخيص السليم أو مسلوبة القدرة على الصبر والصمود. والسبب الكامن وراء عداء الاستكبار العالمي وعلى رأسه أمريكا، للثورة الإسلامية وللجمهورية الإسلامية هو أن هذه الثورة قد طرحت نهضةً عالميةً ومهدت الأجواء لوعي عالمي شامل. ولعلكم سمعتم المحللين السياسيين الأمريكيين يصرّحون في الندوات التخصصية وفي الجلسات الخاصة «إن أكبر مشكلة تواجهنا اليوم هي الثورة الإسلامية». ولكن لماذا يعتبرونها أكبر مشكلة في حين أن القضية ليست سوى أن شعبًا اختار لنفسه طريقًا غير الطريق الذي تريده هذه الدولة المتجبّرة؟ وأين تكمن المشكلة هنا؟

المشكلة هي أن الاستكبار يستغلّ غفلة الشعوب. وحينما ظهرت بقعة في العالم بثّت فيه تباشير اليقظة والوعي وأدت إلى استيقاظ الشعوب وأن تختار طريقها وأن تجد أمامها تجربةً عمليةً في مسارها، فمن الطبيعي أن تصبح تلك البقعة عدوًّا للسياسات التي تستهدف إبقاء الشعوب في سبات وغفلة.

أجل، هذه هي الحقيقة؛ إذ تسبب شعب إيران والثورة الإسلامية والنظام الإسلامي في نشر الوعي بين الشعوب الأخرى. ١٣٧٧/٠٨/١٢

وقائع من التاريخ

١٩ - إن الفارق الأساسي بين أمير المؤمنين في عهد حكومته، وبين رسول الله صلى الله عليه وآله في أيام حياته وعهد حكومته هو أن الخنادق كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وآله متمايزةً بعضها عن بعض ومفصولةً تمامًا؛ خندق الإيمان، وخندق الكفر. أمّا المنافقون فكثيرًا ما كانت الآيات القرآنية تشير إليهم وتحذّر منهم، وتقوّي صفوف المؤمنين في مواجهتهم، وتضعّف من شوكتهم. أي إن كل شيء في النظام الإسلامي كان في عهد الرسول واضحًا تمام الوضوح، وكانت الصفوف مفروزةً بشكل صريح؛ فطائفة على

الجاهلية والكفر والطاغوت، وأخرى على الإيمان والإسلام والتوحيد. ومن الطبيعي أن تضم كل واحدة من هاتين الطائفتين صنوفًا شتى من الناس، لكن الصفوف كانت ممتازةً وواضحةً كل الوضوح.
١٣٧٧/١٠/١٨

٢٠ - في عصر النبي صلى الله عليه وآله كانت الصفوف واضحةً ومشخصة؛ ففي الطرف المقابل كان هناك الكفار والمشركون وأهل مكة، وكان لكل واحدٍ من المهاجرين ذكرى عن هذه الأمور؛ فلان قتلوه وضربوه، فلان أُخرج من دياره، وآخر سطوا على أمواله، وغيره تمّ حبسه... ولذلك لم يكن هناك شبهة.

كان هناك اليهود، المتآمرون الذين يعرفهم كل أهل المدينة من المهاجرين والأنصار. فعندما وقعت معركة بني قريضة أمر النبي بقطع رؤوس كثيرين. لم يبال بأحد ولم يعترض أحد؛ لأن الساحة ساحة واضحة؛ لم يكتنف الساحة أي غبار. ففي مثل هكذا ساحة تكون الحرب سهلةً، وكذلك الحفاظ على الإيمان؛ لكن في عصر أمير المؤمنين، من هم الأشخاص الذين كانوا في مواجهته؟ أتتصورون أنه كان سهلًا أن يصبح عبدالله بن مسعود ذلك الصحابي الكبير - حسب نقل بعضهم - غير ثابت على ولاية أمير المؤمنين وأن يصبح أحد المنحرفين عنها؟ عندما أتت جماعة - ومنهم ربيع بن الخيثم - في معركة صفين، وقالوا نحن غير راضين عن هذه الحرب دعنا نذهب إلى ذلك الجانب ولا نشارك في المعركة، جاء في الرواية «نَفَرٌ من أصحاب عبدالله بن مسعود..»[1]! هنا القضية صعبة.

٢١ - عندما يصبح الغبار أكثر غلظةً نصبح في عصر ومرحلة الإمام الحسن عليه السلام؛ وقد رأيتم ماذا جرى. كما أنه في مرحلة أمير المؤمنين كان الغبار على نحو أرقّ وأقل كثافةً، كان هناك أشخاص في جهاز الحكم عند أمير المؤمنين أمثال عمار ياسر ذلك المبيّن

١ | **بحار الأنوار**، الجزء ٦٠، الصفحة ٣٠١.

والداعي إلى البصيرة[١]. فقد كان عند وقوع أي حادثة يذهب مع بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله يتحدثون ويذكّرون ويوجهون، وعلى الأقل يزيلون الغبار عن أعين جماعة من الناس؛ لكن في عصر الإمام الحسن عليه السلام لم يكن الأمر كذلك.

في عصر الشبهة، تعدّ المعركة مع الكافر غير المكشوف، ومع الأشخاص الذين يمكنهم أن يحملوا الشعارات ويطبقوها على أهدافهم [وهم بالسر كافرون بها] غايةً في الصعوبة. ينبغي اليقظة.
١٣٧٠/٦/٢٧

٢٢ – أما في عهد أمير المؤمنين عليه السلام فالمشكلة الكبيرة كانت في تداخل الصفوف والخنادق؛ وهذا هو السبب الذي جعل للفئة الثانية – أي الناكثين – وضعًا مقبولًا ومبررًا، وكان أي مسلم يتردّد كثيرًا في محاربة شخصيات أمثال طلحة أو الزبير؛ فالزبير هو ابن عمّ الرسول وكان من الشخصيات البارزة والقريبة منه، حتى أنه بعد عهد الرسول صلى الله عليه وآله كان ممّن اعترضوا على السقيفة دفاعًا عن أمير المؤمنين، ولكن الأمور بخواتيمها. نسأل الله أن يجعل عاقبتنا إلى خير.

قد يؤثّر حبّ الدنيا ومظاهر الحياة في بعض الناس إلى درجة تجعل المرء يشكّ حتى في الخواص، فما بالك بالعوام. وعلى كل الأحوال، كانت الظروف آنذاك عصيبةً حقًّا.

٢٣ - ولا بدّ أن الناس الذين صمدوا مع أمير المؤمنين وحاربوا إلى جانبه كانوا على قدر كبير من البصيرة. وقد استشهدت عدّة مرات بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فلا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر». فلا بدّ من توفر البصيرة بالدرجة الأولى. ومن هذه التداخلات والاعتراضات نعرف طبيعة المشاكل التي واجهت أمير المؤمنين، والأساليب الملتوية التي اتبعها الذين حاربوه.

طُرحت في صدر الإسلام أفكار كثيرة خاطئة، ولكن كانت تنزل

١ | وبلغة عصرنا: الإعلامي الحاذق والكبير في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام.

آية قرآنية تفنّدها بصراحة؛ سواء عندما كان النبي في مكّة أو في المدينة؛ فسورة البقرة – على سبيل المثال – وهي سورة مدنية، حاشدة بصور من التحديات والجدال بين الرسول صلى الله عليه وآله والمنافقين واليهود؛ حتى أنها تناولت التفاصيل الجزئية واستعرضت الأساليب التي كان يتبعها يهود المدينة في إيذاء الرسول نفسيًّا، ومنها ﴿**لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا**﴾[1] وما شابه ذلك. وجاءت أيضًا سورة الأعراف وهي سورة مكيّة زاخرة بمحاربة الخرافات وكرّس فصل منها للحديث عن تحريم وتحليل أنواع اللحوم، في مقابل التحليل والتحريم الزائف الذي اصطنعه الناس لأنفسهم يومذاك: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[2]، هذه هي المحرمات الحقيقية وليست تلك التي اصطنعتموها أنتم لأنفسكم من أمثال البَحيرة والسائبة وما شاكل ذلك. وكان القرآن يحارب مثل هذه الأفكار صراحةً.

أما في عهد أمير المؤمنين، فقد كان أعداؤه يستفيدون من القرآن ويستغلون تلك الآيات القرآنية لصالحهم. ولذلك كانت مهمة أمير المؤمنين عليه السلام أكثر صعوبةً من هذه الجهة. لقد قضى أمير المؤمنين مدّة خلافته القصيرة في مثل هكذا معضلات. ١٨/١٠/١٣٧٧

٢٤ – وفي مقابل هؤلاء كانت جبهة عليّ، وهي جبهة قوية حقًّا، وكان فيها رجال كعمّار ومالك الأشتر وعبدالله بن عباس ومحمد بن أبي بكر وميثم التمار وحجر بن عدي، فقد كانوا حقًّا رجالًا مؤمنين ذوي بصيرة ووعي، وكان لهم دورٌ مؤثر في توعية الناس الآخرين.

ومن المواقف الجميلة في عهد أمير المؤمنين – ويُعزى جمالها طبعًا إلى الجهود الطيبة لهؤلاء الأكابر، إلا أنها في الوقت ذاته كانت مريرةً بسبب ما لحقهم من جرائها من عناء وعذاب – هو مسيرهم نحو الكوفة والبصرة من بعد ما هبَّ طلحة والزبير وغيرهما واستولوا على البصرة وأرادوا المسير منها نحو الكوفة، حيث أرسل أمير

١ | سورة البقرة، الآية ١٠٤.
٢ | سورة الأعراف، الآية ٣٣.

المؤمنين الإمام الحسن عليهما السلام وبعض هؤلاء الأصحاب، وكان لهم مع الناس في المسجد مداولات وأحاديث ومحاججات تعتبر من المواقف المثيرة وذات المغزى العميق في تاريخ الإسلام. ولهذا السبب يُلاحظ أن الهجمات الأساسية لأعداء أمير المؤمنين وجّهت صوب هذه الشخصيات؛ ضد مالك الأشتر، وضد عمار بن ياسر، وضد محمد بن أبي بكر، وضد كل من وقف إلى جانب أمير المؤمنين منذ البداية وأثبت صلابة إيمانه وسلامة بصيرته. ولم يتورع الأعداء عن كيل أنواع التهم إليهم والسعي لاغتيالهم. ولهذا قضى أكثرهم شهداء؛ فاستشهد عمار في الحرب، واستشهد محمد بن أبي بكر بتحايل أهل الشام، وكذا استشهد مالك الأشتر بحيلة من أهل الشام. وبقي البعض الآخر منهم إلى أن استشهدوا على نحو قاس وفجيع.

كان أمير المؤمنين عليه السلام في مواجهة فئات ثلاثة: القاسطين، والناكثين، والمارقين؛ أي أولئك الذين ظلموا؛ والذين نكثوا البيعة؛ والذين ارتدّوا عن الدين. فمجموعة تشكلت من أهل الشام؛ أي أصحاب معاوية وعمرو بن العاص حيث كان لبعضهم تجربة طويلة نسبيًّا في الإسلام، وبعضهم كان حديث العهد بالإسلام، ولم يمض على إسلامهم في حياة النبي صلى الله عليه وآله إلا سنتين أو ثلاث ولم يدركوا شيئًا من ذلك الزمان؛ وكانت عمدة فترة إسلامهم ما بعد حياة النبي. بعض الذين كانوا من جناح أهل الشام كانوا من أصحاب النبي. هؤلاء كانوا قوةً مقتدرةً، باللحاظ السياسي، وكذلك من جهة الإمكانات المالية والمناورات الحكومية أيضًا، وكان بيدها إمكانات كثيرة، كانت في مواجهة أمير المؤمنين عليه السلام.

٢٥ - بالطبع لم تكن المسألة أن يَعتبرَ الإمام عليه السلام حاكمَ (والي) الشام فاسقًا ويواجهه فقط؛ لأن الولاة لم يكونوا جميعهم عادلين. عندما وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحكم كانوا جميعهم، موجودين [كولاة] ولم يكونوا عادلين. لم تكن مشكلة أمير المؤمنين عليه السلام معهم في عدم عدالتهم، كان من بين هؤلاء أشخاص ضعاف الإيمان؛ فزياد بن أبيه الذي كان على ما يبدو قبل

حكومة أمير المؤمنين حاكمًا في فارس وكرمان وهذه المناطق؛ وكان كذلك في زمن أمير المؤمنين عليه السلام، وعندما وصلت الخلافة والحكومة إلى الإمام الحسن عليه السلام كان حاكمًا أيضًا؛ بالطبع ألحق فيما بعد بمعاوية. لذلك كانت المسألة مسألة ظلم، كانت القضية قضية تغيير منهج الخط الإسلامي وتغيير وجهة حياة المسلمين. فكان من الإمام أمير المؤمنين أن صمد وثبت ولم يقع تحت تأثير أي ضغط أو اعتراض.

٢٦ – والمعضلة الأشد كانت مع أصحاب الجمل حيث كانت عائشة أم المؤمنين من ضمن هؤلاء، مع كل ذلك الاحترام الذي يكنّه المسلمون لها، كما أنّ طلحة والزبير كانا من أقدم المسلمين إسلامًا من الصحابة الكبار، ومن أتباع أمير المؤمنين نفسه عليه السلام وبعضهم من أقربائه – حيث كان الزبير ابن عم أمير المؤمنين والنبي صلى الله عليه وآله – هؤلاء جميعًا اجتمعوا في جهة ووقف علي في جهة أخرى. وقد حدد عليه السلام تكليفه بدقة وتحرّك وعمل بحسم.

٢٧ – إنَّ أكبر مشكلة كانت في زمن أمير المؤمنين هي وجود تيار يدعي الإسلام في الظاهر ويرفع الشعارات الإسلامية؛ إلا أنّه كان منحرفًا في قضية أساسية جدًّا في الدين ألا وهي قضية الولاية؛ لأن الولاية هي علامة التوحيد وظله. الولاية تعني الحكومة؛ ذلك الشيء المتعلّق بالله تعالى في المجتمع الإسلامي، وجاء منه تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله، ووصل من النبي صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام. كان لدى هؤلاء الاشخاص شكّ في هذه النقطة ووقعوا في الانحراف ولم يفهموا الحقيقة؛ رغم كون بعضهم من أصحاب السجدات الطويلة! هؤلاء الأشخاص الذين انكفأوا عن أمير المؤمنين في معركة صفين وذهبوا لحراسة الحدود في خراسان وبقية المناطق وسكنوا هناك، كانت لهم عبادات وسجدات ليل لساعات طويلة، لكن ما هي فائدة ذلك من شخص لا يعرف أمير المؤمنين، ولا يعرف الخط الصحيح، الذي هو خط التوحيد وخط الولاية، ويذهب وينشغل بالسجود؟؟

ما مي فائدة هذه السجدة؟ تشير بعض روايات الولاية إلى مثل هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يقضون أعمارهم في العبادة ولكنهم لم يعرفوا ولي الله «ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته»[١]. أي عبادة هذه؟ لقد واجه أمير المؤمنين مثل هؤلاء. ١٣٧٠/١/٢٦

٢٨ – لا يخلو أي موقف نتخذه في الحياة من أحد طريقين ولونين. فأينما اتجهتم وذهبتم ستكونون إما في هذا الطريق أو في ذاك، ولا طريق وسط؛ ولا ثالث لهما. فما هما هذان الطريقان؟ هما «الحق والباطل» طريق الحق وطريق الباطل «حقٌّ وباطلٌ ولكلّ أهل»[٢]، ولكل واحد منهما أتباع وسالكون. لا يظنن أحد أنّ طريق الوسط موجود هنا أيضًا! ولا يتصورنّ أحد أنه توجد منطقة وسطية غير منحازة، عسكرية أو غير عسكرية بين منطقة وصف ومعسكر أمير المؤمنين عليه السلام وبين منطقة وصف ومعسكر طلحة والزبير أو معاوية بن أبي سفيان. أبدًا؛ لا يوجد البتة.

إذا لم تكنْ – أنت – ضمن دائرة ومحيط صف علي عليه السلام فأنت خارج صفه. الولاية هي أهم أصل إسلامي. فالولاية هي الالتحاق والالتصاق بصف الإسلام بشكل واضح وجلي وكذلك الانفصال عن صف الباطل بنحو بارز وجلي أيضًا. لا مكان وسط بين هذين الصفين ليكون له صفة اللامعارضة لأي طرف حتى تقول أنا لست هنا ولست هناك «لا لي ولا علي» لا ثوابًا أريد ولا ذنبًا أقترف، وأجلس جانبًا في زاوية؛ فهذا الشيء غير متصور. ١٣٥٣/٩/٢٢

٢٩ – إنها لمثيرة للدهشة تلك الجملة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام «أيها الناس إنَّ أحقَّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه فإن شَغَبَ شاغبٌ استعتب فإن أبى قوتل»[٣]، فإذا ما وقف شخص مقابل هذا المسير الصحيح الذي أخططّ له فتنةً واضطرابًا نصحته ليؤوب ويرجع وإن أبى أسل السيف.

١ | بحار الأنوار، الجزء ٦٥، الصفحة ٣٣٣.
٢ | نهج البلاغة، الخطبة ١٦.
٣ | نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣.

فالشخص الذي يتخطى هذا الطريق، يواجه بالسيف العلوي. ١٣٧٠/١/٢٦

حياة أمير المؤمنين

٣٠ – تستحضر أحداث حياة إمامين معصومين: أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام – فيما يتعلق بوقائع وأحداث سياسية وعسكرية خطرة – صفتين اثنتين هما بمثابة الوظيفة لنا، إحداهما: الصبر، والثانية: اليقين. هما العنوانان اللذان أشير إليهما في الآية الشريفة ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[1].

إنّ الميزة المهمة لأئمة الحق وهداة الأمة في سبيل الله هي الوعي واليقين ثم الصبر والاستقامة في هذا الطريق؛ إذا استجمعنا الحياة السياسية لأمير المؤمنين عليه السلام نصل أيضًا إلى هذا اليقين الواعي والصبر. وكذلك الأمر فيما يتعلق بالحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام. ١٣٦٤/٣/١٧

٣١ – إن عصمة أمير المؤمنين عليه السلام غير قابلة للتقليد، وشخصيته ليست شخصيةً قابلةً للمقارنة بأي شخص آخر. وإذا ما أردنا أن نقارن أي من الناس العظماء الموجودين في محيطنا وتاريخنا بأمير المؤمنين فمثله كمن يقارن الذرة بالشمس، فلا مجال لذلك؛ إلا أنه يمكن تقليد تلكما الخصوصيتين الموجودتين لديه عليه السلام واتباعهما. فليس لشخص أن يقول إنه إذا كان لدى أمير المؤمنين الصبر والبصيرة أي اليقظة والصمود فذلك لأنه أمير المؤمنين عليه السلام. على الجميع السعي في هذه الخصوصية ليقربوا أنفسهم من أمير المؤمنين ما أمكنهم ذلك، وبما أوتوا من همّة وعزيمة. ١٣٧٧/٨/١٢

٣٢ – انظروا إلى حياة أمير المؤمنين خلال سنوات فترة النبوة

١ | سورة السجدة، الآية ٢٤.

الثلاث وعشرين. فكل الأحداث التي حصلت، سواء في مكة أو في المدينة، وكل تلك المصائب، وكل ذلك التكليف الثقيل والصعب، وكل تلك الأخطار والأشراك، انظروا بأي أدوات طوى أمير المؤمنين عليه السلام، خلال هذه الثلاث والعشرين سنة، هذا الطريق المليء بالمنعطفات، هذا الطريق الصخري الوعر؛ إنها أداة اليقين، أداة المقاومة.

نكتفي بنقل جملة واحدة عنه عليه السلام وهو أصدق من كل شاهد وراوي. يقول: «ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا ومضيًّا على اللقم وصبرًا على مضض الألم، وكان الرجل منا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّةً لنا من عدونا ومرّةً لعدونا منا»[1].

إنه لأمر صعب جدًّا أن يغدو الإنسان في هذه الساحة الصعبة وجهًا لوجه مع أقربائه في سبيل الله.

هذه هي خلاصة حياة أمير المؤمنين خلال فترة ثلاث وعشرين سنة. لم يمر شهر في حياة عائلة أمير المؤمنين – أبناؤه، زوجته لم يكن فيه مستعدًّا للحرب وغير لابس لامة حربه وفي معرض الخطر، إلا أنّ أمير المؤمنين صبر على كل ذلك، قاوم، واستمر في طريقه إلى أن اخضرّت شجرة الإسلام وقوي عودها وحُفظت.

٣٣ – لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام، بعد حياة النبي صلى الله عليه وآله، خلال مرحلة الخمس وعشرين سنة أيضًا مظهر هذا اليقين الواعي والصبر والمقاومة، وفي كل موقف عندما كان يشخّص تكليفه ويتيقن منه لم يكن يثنيه عنه أي مانع. ففي بداية مرحلة الخمس وعشرين سنة جاء بعضهم إليه عليه السلام وشجعه على الثورة. ولكنه كان قد شخص تكليفه بدقة: «أيها الناس شقوا

١ | نهج البلاغة، الخطبة ٥٦.

أمـواج الفـتن بسـفن النـجاة وعـرّجـوا عـن طـريـق المـنـافـرة وضـعـوا تيجان المفاخرة»، أي ضعوا جانبًا هذه الأنا (عبادة الأنا)؛ وامتازوا عن هذه القوى، «مـاءٌ آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه»[١]. اذهبوا وتنحّوا عني، فهذه ليست وقيعة يقع بها علي؛ يعرف علي كيف يتعامل مع أوضاع عالم المسلمين، يعرف ماذا يريد منه الإسلام والثورة، وهو يقوم به بكل قوة واستقامة. ردّ أيديهم إلى نحورهم. ففي البداية لم يبايع، لكن فيما بعد عندما رأى أنَّ الإسلام يريد منه هذا «فأمسكتُ بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد»[٢].

فكان أن وقف خلال فترة الخمس وعشرين سنةً إلى جانب الخلفاء وواجـه الكفر والمرتدين وحـارب الجهل، كـأي مسلمٍ واعٍ عـارف ومقاوم. أمضى هذه المرحلة التي كانت بالنسبة إليه مرحلةً صعبة أيضًا. وعندما جاء الناس إليه وشعر أن تكليفه أن ينزل إلى الميدان، فنزل. قَبِل بيعة الناس له، واستلم الحكم. أصبح علي بن أبي طالب الذي أمضى عمرًا شاهرًا سيفه لإقامة الحكومة الإسلامية، الآن، على رأس هذه الحكومة، وشعر بأنه أمام واجب ووظيفة جديدة. وهنا أيضًا جاءه أشخاص عديدون؛ قائلين: لا تَعزِل فلانًا، ولا تقف في وجه فلانٍ. ١٣٦٤/٣/١٧

٣٤ – كانت هناك مجموعة من أصحاب السوابق والتاريخ ومن أصحاب الخدمات الجليلة في صدر الإسلام لم تُرِد مبايعة أمير المؤمنين. كم هذا العمل صعب!! ماذا يفعل علي عليه السلام مع هذه الجماعة؟ كيف يتعامل مع الناس؟ قال لتلك الجماعة انصرفوا؛ لا أريد بيعتكم. قال سعد بن أبي وقاص لن أبايع وكذلك قال عبد الله بن عمر، لم يبايعوا؛ صرف عليه السلام نظره عن جميع هؤلاء، لكنه ماذا فعل مع الناس الذين يسألون أليست هذه الجماعة نفسها التي كانت مع النبي صلى الله عليه وآله؟! في خلاصة الأمر يجب

١ | نهج البلاغة، الخطبة ٥ .
٢ | نهج البلاغة، الرسالة ٦٢.

أن يقوم شخص ويملأ هذا الفراغ. كان لعمار بن ياسر خلال هذه المرحلة دورٌ مدهش ورائع![1].. فقد جاء عمار وبيّن حقيقة المسألة ووضحها وتكلّم جيّدًا كعالمِ نفسٍ وخطيب بارع.

ف «أهل البصر» يعني هذا، أن يتمتع الإنسان بالقدرة على التحليل والنظر والتوقع والتقدير في المجالات السياسية. وقد حاز عمار على قدرة التحليل والنظر السياسي هذه.

وقد أدى مالك الأشتر أيضًا دورًا بارزًا ولكن بشكل مختلف. فهو لم يكن معتمدًا على السيف وحسب، فكما كان صاحبَ سيفٍ، كان أيضًا من أهل اللسان، وقد جمع الكلمة إلى السيف. ففي قضية البيعة نفسها، عندما امتنعت جماعة عن البيعة قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا الحسن دعني أذهب وأقتل هذا – عبد الله بن عمر، ابن الخليفة الثاني – وقد قال الكلام أمام عبد الله بن عمر نفسه حتى يراجع الآخرون حساباتهم، هذا الأمر نفسه كان بمثابة منطق. يريد أن يقول لهؤلاء: أنهم لم يروا سيف علي وبأسه بعد وهم غير مستعدّين للبيعة والإذعان، فأقتل أحدهم حتى إذا ما رأى الآخرون ماذا حلّ به يراجعون حساباتهم ويحسبون له حسابًا. ابتسم الإمام وقال ما مفاده: لطالما كانت أخلاق هذا الشخص خشنة رغم طعنه في السن. لذلك لم يسمح لمالك الأشتر أن يقوم بهكذا عمل.

إذن، المقصود هنا أنه بالرغم من عدم وجود نوع رؤية وتحليل سياسي أو إبراز رأي وموقف سياسي في كلام مالك الأشتر إلا أنه في عصر أمير المؤمنين عليه السلام كان هناك أمثال هؤلاء بالعشرات، وكانوا أيضًا يتمتعون بالقدرة على التحليل السياسي. إلّا أنه في زمن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن الأمر كذلك، فأمثال هؤلاء قد استشهدوا وكانوا قلةً قليلة. ١٣٧١/١/٢٥

٣٥ – تمتاز مرحلة الحكومة بخصوصية هي أن النظام يبتلى بالمجاملات والمداهنة والتسويات؛ وهنا تتضح قضية عدم المداهنة

١ | استطرد القائد قائلا: وهنا أطالب من الناس أن يحيوا هذا الإنسان المجهول، هذا الـ «عمار». وإني أرى في حقيقة الأمر هذا الدور دورًا متألقًا رائدًا.

في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك الدوس على المنافع الشخصية الكاذبة أو ما يكون في نظره عليه السلام تدبيرًا غير صحيح وغير سليم وغير متوافق مع الأصول الإسلامية؛ وهذا هو الدرس الذي يجدر بنا اليوم أن نتعلمه.

فمنذ اليوم الأول لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام برزت المطالب والتوقعات، فالكثير من الوجوه المعروفة في الإسلام انحرفت عن أمير المؤمنين عليه السلام بسبب عدم تحقق ما كانوا ينتظرونه ويتوقعونه.

فأمثال طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وآخرين من الوجوه المعروفة في زمن النبي صلى الله عليه وآله ومن الصحابة المحترمين كانوا ضعفاء. أحيانًا تصبح أهواء النفس وطلباتها، في أكثر حالات الإنسان مصيريةً، حائلًا بين القلب المبصر وبين العمل الذي ينبغي القيام به انطلاقًا من هذه البصيرة، ولا تسمح باتخاذ القرار المناسب والصحيح، لذلك كان أن تفرّقت جماعة عن أمير المؤمنين وابتعدت عنه.

لا شك لدي أبدًا أنه لا يوجد حتى شخص واحد في عالم الإسلام اليوم لا يلوم صحابة النبي صلى الله عليه وآله الذين ابتعدوا عن أمير المؤمنين بسبب هذا الانحراف.

بالطبع فإن الذين لا يرون هذا الابتعاد عيبًا يقولون إن هؤلاء تابوا أو أنهم اشتبهوا؛ إلا أنه في الواقع لا يرى أحد هذا الأمر صحيحًا وسليمًا، لكن هذا العمل قد فعله كثيرون. لماذا؟ [السبب] إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يخضع للمطالب والتوقعات[1]. ١٣٦٣/٤/١.

٣٦ – إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان على علم ودراية بما يقوم به. فقد كان خلال تلك الفترة الأربع سنوات وتسعة أشهر من عمر حكومته القصير، قد تحرك بذلك اليقين الواعي نفسه وبذلك الصبر واليقين نفسه. وقد قال في معركة صفين إنه لا يحمل هذا

١ | المحسوبيات والمصالح الشخصية حسب التعبير الشائع اليوم.

العَلَم إلا أهل الصبر والبصيرة والمقاومة. أي إنه باليقين والصبر، كأداتين وجناحين، قد أدى واجبه في تلك المرحلة، وحَلَّقَ في أفق هذه السماء. ولم تتمكن أي من الأمواج التي كانت تهب على أمير المؤمنين وتضغط عليه أن تحرفه عن سبيله الذي حدّده. فكانت من جهة مجموعة من طلاب السلطة تضغط عليه، ومن جهة أخرى كانت جماعة متحجرة جاهلة مغالية. وكما يقال في الثقافة الرائجة «أمواج من اليمين وأمواج من الشمال»، لم يستسلم أمير المؤمنين عليه السلام أمام أي من هذه الأمواج.

ذات يوم، أراد الخوارج – وكانوا حديثي العهد بتلك المرحلة – أن يعطوا أمير المؤمنين الذي أمضى حياته الشريفة في سبيل حكومة الله درسَ «لا حكم إلا لله»، لم يسلّم الإمام أمام هذا الشعار أيضًا. واجه وقاوم وسلك ذلك الطريق الذي كان فيه صلاح المسلمين الموجب لبقاء الإسلام، وقد سلكه باقتدار وصلابة وشجاعة ودون تأثر بالفضاء المصطنع، إلى أن وصل إلى أعظم أجر إلهي؛ الشهادة.

١٣٦٤/٣/١٧

معركة صفين

٣٧ – كانت معركة صفين من أقسى المعارك التي خاضها أمير المؤمنين وكانت في الوقت نفسه حربًا مفروضة. وقد فرضوا هذه المعركة من بدايتها وحتى نهايتها.

فبعد أن كتب إلى معاوية أنه ينبغي أن تنصرف، كان الواجب على معاوية أن يذعن، إذ لا دليل عقلي أو منطقي أو نقلي أو عرفي يسمح ويجيز لحاكم بالعصيان والتمرد إذا طلب خليفة المسلمين وأمير المؤمنين منه أن يتنحى جانبًا، وأن يقوم بالتجييش ويذهب إلى المعركة. لكن معاوية فعل هذا الأمر. أعدَّ الإمام جيشًا قويًّا وسلك طريق الشام، وكذلك فعل معاوية، والتقيا في مكان اسمه صفين. وهناك صمّم أمير المؤمنين على أن لا يواجه، وعزم على نصحهم، وقال إذا ما سمعوا وأخذوا بنصحي فلا أسلّ عليهم سيفًا ولا أحاربهم.

هذا هو العمل الذي قام به أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن الطرف المقابل قد تشيطن. وكان أمير المؤمنين يؤجل المعركة إلى الحد الذي جعل أصحابه يذهبون إليه ويقولون له يا أمير المؤمنين أتخاف جيش معاوية ولا تحاربه؟ فأجابهم: أأنا خائف؟ لقد مرّغت صدور الرجال بالتراب في سني شبابي، أنا الذي لم يخرجني أي تهديد طوال سنين وسنين من سوح القتال، أنا خائف؟ «فوالله ما دفعت الحرب يومًا إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي؛ وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها»[1]. انظروا إلى هذا القلب الرؤوف للإمام. فإلى جانب ذلك الحزم فيما يتعلق بالمذنبين والضالين والخاطئين فهو [من جانب آخر] يقابلهم بقلب مليء بالعطف والمحبة. فيقول أرجّح وأفضّل أن يهتدي ذلك الضال على يدي ويعود عن ضلالته من أن يبقى على ضلالته وأقتله. لقد كان لأمير المؤمنين هدف في صفين هو أن يهدي الناس إن استطاع إلى ذلك سبيلًا. ١٣٦٣/٤/١

٣٨ - أصاب الشك جماعة من أصحاب الإمام علي عليه السلام في معركة صفين. الحرب هي هكذا، عندما تطول ويتأخر النصر قليلًا فإن أصحاب القلوب الضعيفة يتزلزلون. وإلا فإنه عند الزحف والتقدم والنجاح غالبًا ما تكون قلوب الناس ثابتةً. وعندما تضطرب الأوضاع قليلًا ويضعف هؤلاء قليلًا فسوف يسألون.

وقف أحدهم على سبيل المثال وقال: ما هذا؟ فأنا قمت لصلاة الصبح رأيت أننا نصلي هنا جماعةً، وكذلك هؤلاء كانوا يصلون جماعةً في الطرف المقابل! فكيف نتقاتل؟ حصل حديث وهمس؛ قدموا إلى عمار بن ياسر وقالوا هذا الكلام.

٣٩ - وقف عمار بن ياسر وكان شيخًا في ذلك الوقت عمره قرابة الثمانين عامًا، ذهب وصاح بين تلك الجموع: أيها الناس أخبركم بشيء وصدقوني، هذه الراية التي تقفون تحتها هي راية أمير المؤمنين، وهذه الراية نفسها التي رأيتها في معركة بدر قد وقف

١ | نهج البلاغة، الخطبة ٥٥.

النبي تحتها، راية لا إله إلا الله وعلم بني هاشم. ورأيت أن النبي وأصحابه تحت هذه الراية دعوا الناس إلى الجهاد وإلى الجنة.

وهذه الراية المقابلة لكم، التي هي راية بني أمية، هي الراية نفسها التي شاهدتها في يوم بدر وكان خلفها أبو سفيان وهؤلاء، وإن الذين يقفون خلفه اليوم كانوا خلفها آنذاك أيضًا؛ هذا العلم نفسه هو الذي رأيته في معركة بدر وأحد، والذين يقفون خلف هذه الراية اليوم هم الذين رأيتهم بالأمس خلفها يوم بدر وأحد، وكان تحت هذا العلم النبي صلى الله عليه وآله وكان أمير المؤمنين عليه السلام؛ وكان تحت ذلك العلم أبو سفيان وبنو أمية وكانوا أعداء النبي، وهذا معاوية هو نفسه، فلا يشتبهن عليكم ظاهر الأمر.

٤٠ - كان جيش معاوية في حرب صفّين قاب قوسين أو أدنى من الهزيمة، وكانت الحيلة التي استعملوها للنجاة من الهزيمة الحتمية هي رفع المصاحف على الرماح والتقدّم إلى وسط الميدان؛ بما معناه أن القرآن هو الحاكم بيننا وبينكم فتعالوا نتحاكم إليه ونطبّق ما يقوله القرآن. وكانت الجماعة التي عُرفت فيما بعد باسم الخوارج وشهروا سيوفهم بوجه أمير المؤمنين، كان أفرادها في صفوف جيش أمير المؤمنين وشاهدوا المصاحف فوق الرماح، فاستسلموا لتلك الخديعة، فهؤلاء [الرافعين للمصاحف] يطلبون باطلًا، بل يقولون تعالوا إلى القرآن ليحكم بيننا. هنا كانت الخديعة، وهنا تزلّ قدم الإنسان لأنّه لم ينظر إلى ما تحت قدمه. وإن الناس لا يَعذِرون من انزلق وسقط أرضًا إن كان لم ينظر إلى ما تحت قدميه. لو كان هؤلاء يريدون معرفة الحقيقة، فقد كانت أمام أعينهم. هذا الشخص الذي يدعوهم إلى القبول بحكم القرآن هو شخص خرج لقتال الإمام المختار والمفترض الطاعة! [الذي تمت له البيعة]. فكيف يكون هذا الشخص معتقدًا بالقرآن؟

إنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منصوص عليه ومنصوب من قبل الرسول، وحتّى الذين لا يقبلون بذلك [النص والنصب]، يقبلون دون شك بأن جميع الناس قد بايعته بعد وفاة

الخليفة الثالث، وبالتالي فإنهم يقبلون بخلافته، وقد صار إمامًا وحاكمًا مفترض الطاعة في المجتمع الإسلامي، فيجب على جميع المسلمين أن يتصدّوا لكل من يحاربه ويشهر السيف بوجهه.

فإن كان هذا الذي رفع المصحف على الرماح، يعتقد حقًّا بالقرآن، فالقرآن يقول له «لماذا تحارب عليًّا؟»، يجب عليه [بمنطق القرآن] أن يرفع يديه عاليًا ويقول نحن لن نقاتل، ويضع سيفه في غمده. هذا ما كان يجب أن يراه هؤلاء، وأن يفهموه. هل كان الأمر هذا معضلًا لا يمكن فهمه؟ لقد قصّر هؤلاء هناك. وغدا هذا الأمر انعدامًا للبصيرة.

لو أنّهم تدبّروا قليلًا وتأمّلوا، لفهموا هذه الحقيقة، لأنهم هم أنفسهم كانوا أصحاب أمير المؤمنين في المدينة، وكانوا قد شاهدوا أن رجال معاوية نفسه والعاملين لديه كانوا مؤثرين في قتل عثمان، بل ساعدوا على قتله، وفي الوقت نفسه رفعوا قميص عثمان طلبًا للثأر. هم من قام بهذا العمل، هم المقصّرون، لكنّهم كانوا يبحثون عن المقصّر. دققوا، إن عدم البصيرة هنا ناشئ عن عدم الدقّة، عدم النظر، عن إغماض العينين أمام حقيقة واضحة. ١٣٨٩/٠٨/٠٤

٤١ - طالت حرب صفين أشهرًا. كانت معركة غير عادية. كانت الناس ترى أمامها أشخاصًا يصلّون ويعبدون ويصلّون الجماعة ويقرأون القرآن، حتى أنهم يرفعون القرآن على الرماح! يحتاج الشخص ليقف شاهرًا سيفه أمام هؤلاء إلى قلب قوي وجرأة كبيرة. في رواية منقولة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه لو لم يقاتل أمير المؤمنين عليه السلام أهل القبلة لما درا أحد بعده تكليفه في ما يعترضه من مثل هذا الإشكال[1]. كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي فتح هذا الطريق وبيّن للجميع ما ينبغي عليهم فعله.

٤٢ - ما لم تتضح وتتبيّن روح الأعمال والعبادات - التي هي عبارة عن التوجه إلى الله وعبوديتهِ، وما لم يسعَ الإنسان إلى أن يقرب

١ | الرواية: كان في قتال علي عليه السلام على أهل القبلة بركة ولو لم يقاتلهم لم يدر أحد بعده كيف يسير فيهم، **تهذيب الأحكام**.

نفسه من الله في كل واحدة من هذه الواجبات، فإن عمله يكون عملًا سطحيًّا وإن العمل والإيمان السطحي هو في معرض الخطر دائمًا. وهذا الشيء هو الذي شاهدناه في تاريخ الإسلام. ١٣٦٩/٠٢/٠٦

عصر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

٤٣ – تعتبر هذه الحقبة خلاصة حياة أمير المؤمنين عليه السلام، درس الصبر والمقاومة مصحوبةً بالوعي والبصيرة. ثم ما إن وصل الدور إلى الإمام الحسن عليه السلام حتى تكرّر الموضوع نفسه في حياته المباركة. وأول ما قام به عندما وصل إلى الحكم أن أكمل تجهيز جيش أمير المؤمنين عليه السلام. وقد لامه بعضهم: أنه ما الداعي لتعبئة العساكر؟

ولكن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن هو من بدأ بإعداد العسكر. إنّ ذلك الجيش العظيم الذي كان ينتظر في نخيل الكوفة، ليذهب ويقارع جيش الشام، قد قام بإعداده هناك أمير المؤمنين عليه السلام، وإن ما تغيّر هو قائد المعسكر فقط. ولم يتغيّر الهدف ولا الطريق ولا العناصر.

٤٤ – شرع الإمام الحسن عليه السلام بتجهيز الجيش بقوّة، ضمن أوضاع صعبة جدًّا وظروف شديدة المرارة والظلمة ووجود خونة، وليس الإمام الحسن عليه السلام من قام بإيجاد هذه الظروف إنَّما ورثها إرثًا.

هذه الظروف أدَّت إلى أن يجد خصمُ الإمام الحسن عليه السلام وعدوُّه الذي أراد الإمامُ مواجهتَه – أي معاوية – أشخاصًا انتهازيين مذبذبين، ذوي نفوس ضعيفة، أشخاصًا لم يتحملوا حكومة علي، أشخاصًا يلوكون الإسلام بألسنتهم فقط، ولا تعرف قلوبهم عنه شيئًا فكانوا عرضةً لأن يجذبهم [معاوية] إليه ويجعلهم في صفه، أو أقلّه يبعدهم عن الإمام الحسن عليه السلام.

ما العمل التالي الذي قام به معاوية؟

عمد من خلال هذا الجحفل الذي جعله في مواجهة الإمام الحسن عليه السلام الوحيد؛ الإمام الذي لم يبقَ حوله أي وجه من الوجوه المعروفة إلا القليل القليل، إلى أن يوصل الإمام إلى الشهادة، بعد أن أبعد عنه خيرة الجنود وصفوة القادة الذين كانوا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ ومن خلال الأجواء المساعدة شرع ببثّ دعاويه أمام الملأ، وكما يقول الشاعر: «خَلَا لَكِ الجو فبيضي واطربي»[1]، وهكذا بعد مضي عشر سنوات أو خمسة عشر سنة لم يبقَ لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وللمعارف الإسلامية اسمٌ يذكر، ولم يبقَ ذكرى من تلك الحوادث التي عانى الإمام عليه السلام منها الأمرّين مع معاوية.

٤٥ – فلو كانت شهادة الإمام الحسين عليه السلام وشهادة أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام وكذلك شهادة الأبناء والأصحاب وشهادة محمد بن الحنفية وحجر بن عدي قد حصلت قبل شهادة الإمام الحسن عليه السلام – وهو ما كان مفترض الحصول لو سمح الحسن عليه السلام للحرب مع معاوية بالوقوع – لكان جميع أصحابه الأوفياء سيرحلون في هذه الحرب؛ ولن يتم حينها العمل المطلوب للفضح والكشف عن تلك الجبهة التي كانت تحارب الإمام علي بن أبي طالب والإمام الحسن عليهما السلام والتعريف بها وتحديدها.

٤٦ – لقد قام الإمام الحسن عليه السلام هنا بتشخيص واجبه وتحديد تكليفه بدراية ويقين، فماذا كان تكليفه؟ كان البقاء؛ البقاء حيًّا لإماطة اللثام عن وجهٍ كان قد غدا محاربًا للإسلام ولعليّ وأخرج الحسن عليه السلام من الساحة؛ وكان تكليفه عليه السلام إعداد أرضية لمواجهة طويلة الأمد، مع الطواغيت الذين سيأتون فيما بعد بشكل واضح.

لقد بقي الحسن عليه السلام حيًّا ليبقى الحسين بن علي حيًّا ويبقى حجر بن عدي وكذلك رشيد الهجري. لقد حفظ الإمام الحسن

١ | صدر بيت لطرفة بن العبد.

عليه السلام أشخاصًا لحالات شهادة كبيرة، فبعد حادثة الصلح مع معاوية وخلال السنوات العشر التي كان فيها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حيًّا، بدأ بمساعدة أخيه ومساعدة كل الأصحاب بتهيئة حالة في العالم الإسلامي؛ حالة تَعِدُ أنه إذا نهض الإمام الحسين يومًا وثار ستظهر تلك الحالة التي قد شاهدتموها في التاريخ، وأنّ شهادة الإمام الحسين ستستطيع بعد كل تلك الأعمال التبليغية وبعد كل تلك الأعمال التي فضحت وبينت الحقائق التي حصلت خلال تلك السنوات أن حادثة خالدةً، حادثةً العالم الإسلامي التي لا تقبل الوضع في زوايا النسيان. لهذا، يظهر أن الإمام الحسن عليه السلام عمد إلى الصلح، وكان هذا في الظاهر ترك المنازعة. أي إنه عليه السلام أحجم عن المواجهة العسكرية مع عدوّ – حيث ينبغي أن يفضحه من قبل ومن ثمّ محاربته – كي يبدأ بالمواجهة السياسية والثقافية والإسلامية. وأصبحت النتيجة أنّه بعد شهادته عليه السلام أن أكمل الإمام الحسين عليه السلام طريقه نفسه أيضًا عشر سنوات، ثمّ وصل المجتمع الإسلامي إلى حالة استطاع فيها ابن الرسول صلى الله عليه وآله، وحفيد من أحفاده أن يستجيب لشهادة تبقى خالدةً لآخر يوم في التاريخ؛ وتصبح منشأ المقاومة ومَعلَمها الكبير، كما أصبحت؛ وتحفظ الإسلام، كما حفظت؛ هذا ما فعله الإمام الحسن عليه السلام.

٤٧ – فيما يخصّ ما قام به الإمام الحسن عليه السلام نحن لا نتكلم أبدًا من منطق الدفاع، أي إنَّه لماذا أجرى صلحًا؟ وما الأسباب التي دفعته إلى ذلك؟ وغيرها مما قد يُطرح.

لو لم يجرِ صلحًا لتلقّى الإسلام ضربةً أكيدة؛ كانت الناس آنذاك لا تزال تجهلَ الكثير من الحقائق، إلى حد أن آلاف الأشخاص من جنود الإمام الحسن عليه السلام كانوا حاضرين للتخلي عن القتال مع الشخص الذي قاتل مع الإمام علي عليه السلام.

لقد فعلت الدعايات المغرضة وإغداق الأموال والألاعيب السياسية فعلتها وأوجدت جوًّا سيئًا بحيث إنَّه لو قام الإمام الحسن عليه

السلام أثناءها لفقد روحه والثلّة المتبقية من أصحابه ولم يبق من الإسلام شيء. وبعد سنوات فإنّ اسم علي واسم الحسن واسم الحسين وأمجاد صدر الإسلام وكل تلك الحوادث المربيّة حتى لو بقيت في طيّات الكتب فلن تبقى طويلًا سالمةً دون تحريف؛ هذا ما قام به الإمام الحسن عليه السلام.

٤٨ – خلاصة القول إنّ ما قام به الإمام الحسن عليه السلام مع ما قام به الإمام علي عليه السلام وما قام به الإمام الحسين عليه السلام وكذلك كلُّ الأئمة له مضمون واحد ومعنًى واحد؛ وهو المقاومة ببصيرة واستقامة وفهم للتكليف.

أقول لكم أيها الأخوة والأخوات لقد قام الإمام الحسن عليه السلام بأكثر الأعمال شجاعةً لأداء هذا التكليف، ذلك أنّ من كان يطعن بالأنبياء والرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام وسائر الأئمة هم الأعداء؛ أمّا الإمام الحسن عليه السلام فقد أوجب عليه ما عمله من الفعل الصالح ودقة الموقف ورجاحة الرأي أن يتلقى الطعنات من أقرب أصحابه فضلًا عن الأعداء. وكان حتى أصحاب من قبيل «الحجر بن عدي»[1] غير مدركين لفلسفة موقفه، وكانوا ينادونه «يا مذلّ المؤمنين» ولكنه صبر.

٤٩ – لقد توصّلت من خلال دراسة حوادث زمن الإمام المجتبى عليه السلام إلى هذه النتيجة، وهي أنّ الناس في ذاك الزمن لم يمتلكوا قدرة التحليل السياسي. يعني أنّ أشخاصًا – كعمار ياسر ومالك الأشتر الذين كانوا يسدّون مثل هذا الفراغ في عهد أمير المؤمنين عليه السلام – لم يكونوا موجودين في زمن الإمام الحسن، فأمير المؤمنين عليه السلام لم يكن ينفّذ كل الأمور، فذاك الإمام الجليل كان أحد طرفي النزاع ولم يكن باستطاعته التحدّث عن نفسه باستمرار.

كان شخص مثل عمار بن ياسر موجودًا، حيث كان دوره مميّزًا في

١ | كناية عن الصحابة الذين كانوا معه كأمثال الصحابي حجر بن عدي.

زمن أمير المؤمنين عليه السلام. وحيثما وُجدت معضلة سياسية في عقول الناس كان عمار حاضرًا.

٥٠ – أما في زمن الإمام الحسن عليه السلام فممّن كان في عداد جيشه شخص مثل عبيد الله بن عباس، النقيض لأشخاص مثل عمار بن ياسر ومالك الأشتر.

كان عبيد الله بن عباس قد ترك جيشًا من ثلاثمائة ألف جندي والتجأ ليلًا إلى معسكر معاوية. فعندما يقوم قائد جيش بهكذا فعل، ماذا سيحلُّ بهذا الجيش!![1]

٥١ – كان قيس بن سعد أحد الشخصيات البارزة في جيش الإمام الحسن عليه السلام، وقد لعب دورًا مهمًّا في قضية عبيد الله بن عباس.

وقف قيس أمام عساكر جيش الإمام عليه السلام وشرح قضية هروب عبيد الله بن عباس، شرح المسألة بدقة وبراعة حتى قال الجنود «الحمد لله أنّه رحل»! وكأنّ رحيله جاء متأخرًا وكان ينبغي عليه الذهاب في وقت مبكر أكثر. هذا هو دور التحليل السياسي! كان الوضع جيدًا خلال الفترة التي وجد فيها أمثال قيس بن سعد في جبهة الإمام الحسن عليه السلام. وبعد غياب هذه الثلّة بقي الإمام عليه السلام وحيدًا، وهذه الوحدة أثّرت على تاريخ الإسلام، إنّ حادثة صلح الإمام الحسن عليه السلام هي إحدى الحوادث المرة في تاريخ الإسلام. وباعتقادي أنّ الإمام الحسن عليه السلام هو الأكثر مظلوميّةً. ١٩٩٢/٤/١٤

طريق تحصيل البصيرة

٥٢ – كيف تتحقق البصيرة؟ من خلال تخطي الذات. هذه الكلمة سهلة؛ لكنها في العمل على قدر كبير من الصعوبة بحيث أن أكثر

١ | يستطرد الإمام الخامنئي هنا قائلًا: لقد رأينا نموذجًا عنه في الحرب المفروضة أيضًا. حيث إنّه في صباح أحد الأيام سمعنا صوت إحدى الشخصيات الإيرانية المشهورة يتحدث من إذاعة العراق قائلًا أننا رحلنا! أنظروا ما الذي يحلُّ بمعسكر يكون قائده على هذه الشاكلة ؟!.

الناس يسقطون ويتخلفون بعد خطوتين. نحن أسارى هذه «الأنا» والنفس، عندما لا تنظر إلى الخلف، ولا تلتفت إلى كلام هذا وذاك، عندما تقتفي أثر نور الهداية الإلهية، وتكمل الطريق مع كل ما فيه من صعوبات وأخطار، حينها يُفتح باب القلب. ١٣٨٠/٨/٩

٥٣ – أحد أكبر مواطن ضعف الإنسان أن يصبح أسير قبضة رغباته وأهوائه. ولعله لا ضعف لدى الإنسان أكبر من هذا الضعف وإن كل أنواع الضعف التي يصاب بها هي أقل وأصغر قياسًا بالرغبات والأهواء النفسية؛ كما أن إمكانية الإصلاح هنا أكبر مقارنةً بأضرار الضعف الإنساني [الأهواء والرغبات]. وهنا نرى أناسًا يتخلّون في حياتهم اليومية وعلى طول التاريخ، عن الطريق الصحيح والعقلائي وعن سبيل العدل والإنصاف في مواجهتهم للقضايا، ونعرف وجوهًا كانت على مر التاريخ معروفةً بأعمال السوء والفساد والشهوة والظلم وسائر الملوثات البشرية، ومنشأ جميع هذه الأمور الضعف والنقائص البشرية. وهذا الضعف الكبير هو الذي يوجد الزلات وهو الذي يشرّع باب الانحرافات واسعًا أمام الإنسان؛ ولولا وجود هذا الضعف في الإنسان فإنه لا يستسلم أو يضعف أمام رغباته وأهوائه النفسانية.

٥٤ – نرى على طول التاريخ في الماضي، والحاضر، أناسًا لا ينتفعون أبدًا من إرشادات العقل ولا من إرشاد الأنبياء والمصلحين والعقلاء؛ فما سبب ذلك؟

إنه لأمر واضح جدًّا! هي الميول والرغبات الموجودة في باطن الإنسان التي تتغلب على عقله وعلى تصميمه واختياره وعلى معرفته الصحيحة. يدرك الإنسان أن هذا الطريق غير صحيح لكنه يسلكه. ويَصل الأمر أن تقفل هذه الرغبات والأهواء الباطنية الطريق أمام عقل الإنسان وتعمي بصيرته ولا تدعه يميز بشكل صحيح. انظروا، يا له من ضعف كبير في الإنسان؛ هو ضعف أسر الأهواء والهوس، ذلة الرغبات.

٥٥ – إن الكثير من الناس الأقوياء تأسرهم هذه الرغبة وتعرضهم

للزلل في بعض المواطن، حتى المؤمنين منهم أصحاب الإرادة.

إن كثيرًا من الجلادين الذين ترونهم عبر التاريخ لم يكونوا في ذاتهم بطاشين؛ لم يكونوا رجالًا سيئين منذ البداية. فعبد الملك بن مروان الذي كان أحد أكثر خلفاء بني أمية قسوةً وشدّةً وكان سببًا لإخماد ثورات الحق في عصره وزمانه، وقد تعامل بقسوة مفرطة مع أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ كان معروفًا قبل أن تصل الخلافة إليه بـ «حليف القرآن». يعني أنه لا يفترق عن القرآن، كان القرآن دائمًا تحت إبطه أو في جيبه أو بقربه وأمام يديه. كان يتلو القرآن، كان إنسانًا يأنس بالعبادة. وبعد أن أخبروه بوفاة والده وأنه قد نُصّب خلفًا له، «وأن قم واذهب واستلم زمام الحكم والخلافة»، نسي كل شيء، وقد ذهبت كل تلك السوابق في طي النسيان؛ ترك المصحف وشأنه وقال مخاطبًا إياه: ﴿**قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾[1]، مع السلامة! ترك القرآن، وفي الواقع ودّع القرآن وذهب. لا يصحّ القول إنه عندما كان يقرأ القرآن ويأنس به كان يخادع ويظاهر. فمن هو الذي كان يريد خداعه؟ كان من أهل المعرفة والأنس بالقرآن وكان من أهل الذكر والعبادة، ونرى الكثير من هذا القبيل من الذين يعلقون في اللحظات الحساسة في شراك الهوى والرغبات وفي قبضة الرغبات النفسانية القوية وإلى حدّ ينفصلون معه عن قيمهم وتقواهم وطهارتهم بحيث يفقدون القدرة على المقاومة. لذلك، إن مواجهة الهوس والأهواء ليست بالمواجهة السهلة، إنها تحتاج إلى رياضة وتمرّن.

٥٦ – وجدتُ في القرآن نموذجًا عن هذا الاختبار والتمرين، وكانت له آثار في النفوس، سواء الذين قاموا به أو الذين أعرضوا عنه؛ وهي قصة داوود وطالوت. القضية هي أن جمعًا قد وجد أنه لا مفر من إعداد الجيش في سبيل الدفاع عن قيم النبوة والحق ومواجهة الظلم والتعدي. وكان على رأسه طالوت الذي نصّبه الله قائدًا وعيّنه النبي؛ نبي ذلك الزمان. وكان في الطريق نهر ماء. وقبل الوصول إلى النهر،

١ | سورة **الكهف**، الآية ٧٨.

طلب طالوت ممن معه أن لا يشربوا منه عند الوصول إليه، حتى مع العطش والنصب، وكان يُصرّ ويشدد عليهم أنه إذا شرب أحدكم منه فليس مني ومن لم يطعمه فهو مني وإلى جانبي. عند وصولهم الماء خالف كثيرون وصية طالوت وشربوا، ويفهم من ذلك أنهم كانوا بحالة عطش شديد، وإلا ما هي علة ذلك مع أنهم تحركوا وتطوعوا للذهاب إلى ميدان الحرب. لماذا لم يكترثوا لطلب قائدهم؟ يشير هذا إلى أنهم ابتلوا بعطش شديد أفقدهم القدرة على التحمّل، وقد نزلوا إلى النهر مصممين على الشرب.

امتثلت القلّة القليلة من أتباع طالوت لأمره وامتنعت عن شرب الماء. ثم عندما أرادوا عبور النهر أو لعله عندما كانوا يعبرونه وكانت قوات العدو قد أصبحت في الجهة المقابلة لهم، لم تستطع مجموعة كبيرة منهم العبور – أي أولئك الذين شربوا من ماء النهر – وكانت تُظْهِر عجزها وتنسحب من ميدان الحرب. أما الجماعة التي أطاعت أمر قائدها وسلمت أمرها إليه، فقد وقفت في مواجهة العدو وقاومت وانتصرت في النهاية. وهذه قصة جد لافتة ورائعة، وفي رأيي هي قصة نموذجية تعلّم درسًا.

٥٧ – لم تكن المسألة أن لماء النهر خاصيةً باعثةً على التقاعس والخوف، مثلًا، فالماء هو ماء. إنما القضية كانت أن ذلك الشخص الذي يمكنه التغلب على نفسه في امتحان مواجهة العطش ويمكنه القيام بهذه الرياضة الصعبة الثقيلة، يكتسب قدرةً وعزمًا بذلك القدر وتكون هذه القدرة لمصلحته في المواجهة مع العدو. وإن مختلف صنوف الناس من المقاتلين وغيرهم الذين يستطيعون التغلب على أنفسهم في معركة المواجهة مع النفس، يتمكنون من التغلب على عدوهم في المعركة. وإن أولئك المستسلمين لأهوائهم ورغباتهم فلا أمان من أنهم لن يضعفوا ولن يقعوا في الحيرة والتردد، وليس معلومًا أنهم لن ينهزموا في قبال أخطار الموت والأسر والمواجهة في ميادين الحرب مع الأعداء. فذلك الشخص الذي صمد ووقف ولم يستسلم في المواجهة مع العدو وقسوة ميدان الحرب هو الذي امْتُحِنَ سابقًا. لذا نرى أن الأكثر إيمانًا هم الذين

يعشقون الذهاب إلى ساحة المعركة، وهم المتعلقون بالأهداف الإلهية. هؤلاء هم الأكثر صمودًا ومقاومةً؛ وإذا ما توفّرت بقية ظروف المعركة [شروط النصر في المعركة] فهؤلاء منتصرون لا محالة. هذا هو دور الصبر والمقاومة الذي جُرِّب وامتحن سابقًا من خلال الامتناع عن الرغبات والشهوات. ١٣٦٥/٢/٢١

نقاط لافتة

٥٨ – إن سبب انزلاق أقدام بعض الناس يعود في الأغلب إلى افتقادهم الوعي والبصيرة. فبعضهم مؤمن إلا أنه ينزلق وتزل قدمه بسبب عدم الوعي وافتقاد البصيرة. فالبصيرة اليوم على قدر كبير من الأهمية. وكلما وأينما وُجدت الفتنة والخداع والإعلام المضلّ تكتسب البصيرة أهميةً أكبر. واليوم ترون أن البراعة والحذاقة في الإعلام من العوامل المؤثرة في الساحات السياسية والاقتصادية وغيرها. وإن الكثير من الناس في العالم يقعون تحت تأثير الإعلام في إرادتهم وتوجهاتهم في كل المجالات؛ كالبيع والشراء والسياسة، وسائر شؤون الحياة.

ما هو الإعلام [المعاصر] وماذا يعني؟ هل هو تبيين للواقع؟ لا أبدًا. فدور الإعلام [اليوم] أن يجد صورةً كاذبةً أو ممزوجةً بالكذب والصدق لبيع محصول ما، أو ترويج سياسة ما ومحبوبية شخصية ما! هذا هو عالم الإعلام اليوم. وقد فهم الغرب وخاصةً أمريكا هذا العمل وعرفوا الحلّ. ولست هنا أقصد النظام الأمريكي. ففي أمريكا اليوم، خَبِرَ أصحاب المال والصناعات ورأس المال ومحركو السياسة وآخرون هذه الوسيلة. وادعوا أن عليهم التفوق وأن يصبحوا أساتذة في ذلك وأن تتقدم أعمالهم في العالم وتتفوق على هذه الشاكلة. فهم يعرضون بسهولة «حقًّا» على أنه «لا حق» أو غير الحق؛ ويظهرون «كذبًا» وخداعًا كأنه صدق، وبسهولة يكتمون حقيقة ما. تقوم مجموعة محددة – وهم أصحاب المال والصناعة والإقطاع المالي الصهيوني – بتوجيه آراء الناس وأخذها يمنةً ويسرةً طبق

ميولهم ورغباتهم. ١٣٨٠/١٢/٨

٥٩ - إن محور عمل العدوّ في الحرب الناعمة اليوم هو إثارة الغبار في الجو السياسي للبلد، فعلينا الالتفات إلى هذا، لأنه اليوم أهم عمل للعدوّ. يعرف المطّلعون والمتابعون للعمل السياسي وقضاياه أنّ قدرة القوى العظمى لا تكمن في قنابلها النووية ولا في الثروات المكدّسة في مصارفها، بقدر ما تتجلّى في قوّتها الإعلامية، في صوتها العالي الذي يصل إلى كل مكان. هم يتقنون جيدًا الأساليب الإعلامية. وللإنصاف لقد تطوّروا في العمل الإعلامي. لقد تعلّم الغربيون اليوم – سواء في أوروبا أو في أمريكا – أساليبَ حديثةً ومتطورةً جدًّا في الإعلام، نحن ما زلنا متأخرين في هذا المجال. وإن أحد أهم أعمال هؤلاء أنّهم محترفو إعلام. يسعون من خلال هذه الأساليب الإعلامية وإثارة الاضطرابات ومن خلال بث الكم الكبير من الأخبار والكلام المخالف للواقع إلى تغيير أجواء المجتمعات وتبديلها والتأثير فيها، ينبغي الالتفات إلى هذه النقطة، ومراقبة هذا الأمر. وإن تكليف شبابنا اليوم في هذا المجال ثقيل، لا يقتصر الأمر على أن تعرفوا أنتم الحقيقة فقط، بل إنّ عليكم أن تجعلوا محيطكم الخارجي وأجواءكم ذات بصيرة أيضًا وأن توضحوا القضايا للآخرين.
١٣٨٩/٨/٤

٦٠ - إن ما يصون بصيرة الإنسان ورؤيته ويحفظها في مختلف القضايا والوقائع وتحت وطأة غبار إعلام الأعداء الصاخب هو القلب المؤمن الطاهر والنوراني. وإن كثافة الإعلام الذي وظّفه الأعداء ضد الثورة على مدى سنوات والذي اقترن بالمؤامرات الدعائية على اختلافها تبعث على الدهشة حقًا، وقد تعرض شبابنا المؤمن الذي هبّ للجهاد، واضعًا الأرواح على الأكف، لأعاصير هذه الدعايات المضلّلة المزلزلة، لكنها لم تستطيع زلزلته لأنه يرى الحقيقة، وقد اتضحت لديه المقاصد التي تقف وراء دعايات الأعداء المختلفة من سريرة سوداء وخبيثة للمراكز والمحافل التي تدير هذه الاعلام. وهذه نقطة يتحلى بها الشاب المسلم المؤمن الثوري التي يعجز العدو عن مواجهتها بأي نحو كان، فالقلب الذي يتمتع بالإيمان

ويطفح بالتقوى فكريًّا وعمليًّا لا تزلّه دعايات الأعداء.

٦١ - لقد تركزت دعايات الأعداء في الأغلب على إضعاف روح الصمود والمقاومة لدى الشعب الإيراني، فقد أدركوا جيدًا أنه إذا ما صمم الشعب على الوقوف بوجه مطامع الاستكبار فلن يجدي وقوف أية قوة في مقابله. أدركو ذلك جيدًا، فانصبّت محاولاتهم باتجاه القضاء على روح الصمود والمقاومة لدى الشعب. يشير الله تعالى إلى إحدى الأمم المؤمنة فيما مضى فيقول: ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾[1]؛ فنظرًا لأن الأعداء ألفوهم مؤمنين وان المؤمن لا يستسلم للقوة والاستكبار فكانوا ينقمون منهم بسبب إيمانهم.

إن إيمان الشعب الإيراني ومقاومته وصموده وثقته بنفسه ليست أمرًا مستساغًا للأعداء فهم يرتضون حكومات طيعةً ومحكومين وشعوبًا هزيلةً مستسلمةً أمام غطرستهم. لقد أيقظت صرخة الدعوة إلى الإسلام التي أطلقها الشعب الإيراني وانطلقت أول مرة على لسان إمام الأمة (قده) الشعوب وهزّت القلوب وخلقت روحًا من اليقظة والثقة بالنفس في المنطقة وأن القلق والارتباك يستحوذ على الأعداء بسبب هذه القضايا غير أن الشعب الإيراني سيحقق الظفر على هذه المؤامرات. ١٣٨٢/٦/٢٩

٦٢ – إنّ سلاح الإعلام اليوم هو من أكثر الأسلحة الدوليّة تأثيرًا في مواجهة المعارضين والمخالفين؛ سلاح وسائل الاتصال[2]. هذا هو أمضى الأسلحة اليوم، وهو أسوء وأخطر حتّى من القنبلة الذريّة. ألم تشاهدوا سلاح العدو هذا في اضطرابات ما بعد الانتخابات[3]؟ كان العدوّ يتابع قضايانا لحظةً بلحظة بسلاحه هذا، وكان يوجّه به أصحاب الشغب والشيطنة، ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ**﴾[4]، هم يوحون لأوليائهم وأنصارهم دومًا. إنّه حضور

١ | سورة **البروج**، الآية ٨.
٢ | أو وسائل التواصل الإعلاميّ.
٣ | انتخابات عام ٢٠٠٩ والفتنة التي أشعلها المغرضون بالتواطؤ مع الغرب.
٤ | سورة **الأنعام**، الآية ١٢١.

العدوّ في نهاية الأمر. هل يمكن افتراض حضور العدو بأوضح وأجلى من هذا؟

٦٣ - ينبغي التحلّي بالبصيرة. ما يتوقّعه المرء من النخب في المجتمع ومن التيّارات والفئات السياسيّة هو أن يتعاملوا مع هذه الأحداث ومع خطوط العدو ببصيرة! إذا كانت هناك بصيرة وكانت ثمّة إرادة للمواجهة فقد تتغيّر الكثير من سلوكيّاتنا؛ وعندئذٍ يصبح الحال أفضل، بعض الأعمال وليدة عدم التحلّي بالبصيرة. ١٣٨٨/٧/٢

٦٤ - هناك حقيقة واضحة في النظام الإسلامي، [أنّ من وظائفه] تنوير الناس وتبصيرهم. إن التبليغ في الإسلام والتبليغ في الغرب – البروباغاندا العالمية المتداولة – هما خطان مختلفان في البنيان والأساس. من وظائف التبليغ في الإسلام بث البصيرة وبيان الحقيقة وفتح أعين بصيرة الناس على الحقائق. لماذا له هذه الأهمية؟ لأنه إذا ما تشكل النظام الإسلامي في أية مرحلة من التاريخ وفي أي مكان من العالم فإن قوامه بالناس ويمكن لجميع الناس فردًا فردًا أن يؤدوا دورًا في تشكيله واستمراره وتقويته. لا استبداد ولا طغيان أو خداع في النظام الإسلامي، فهذا ممنوع. عندما لا يطغى منطق القوة والسلطة والاستبداد والخداع والتملق والرشوة والتدليس لسوق الناس يمنةً ويسرةً، سيكون الحاضر هنا وعي الناس وإيمانهم هو الأساس في حركة المجتمع. من هنا كان لهذا الوعي والإيمان هذه الأهمية. ١٣٨٢/٧/١٤

٦٥ – إن البصيرة ومعرفة الزمان والاستفادة من الوقت واللحظة هي من الأمور الضرورية بالنسبة لأي عالمٍ ومبلّغ، سواء كان أعلم العلماء أو شخصًا يدرّس أحكام الدين لبضعةً أشخاص في محلة ما.

في المحصّلة، كلما كبرت المسؤوليات والوظائف على كاهل شخص ازدادت ضرورةً امتلاكه الوعي الأكبر والبصيرة الأعلى. لقد تلقينا ضربات كثيرة على طول تاريخ التشيع نتيجة عدم اطلاع العلماء على حقائق مجريات العالم، خاصةً في المائتي سنة الأخيرة، حيث تشكّل العالم بشكله الجديد، ووُجد الاستعمار وتغيرت السياسات

ودخلت الدول الأوروبية ميدان السياسة العالمية واعتدوا على البلدان الإسلامية.

كلما كان لدينا علماء دين أتقياء أذكياء أصحاب فطنة وحذاقة ودقة، أمثال الشيخ الميرزا الشيرازي والشيخ الأنصاري، كنا في مأمن من شر العدو وانتصرنا؛ ولكن كلما أصابتنا الغفلة والجهل في العمل، كانت تنزل بنا الخسارة، ولم تكن هذه الخسارة محدودةً في شخص أو ميدان أو ساحة أو مجموعة أو مدينة أو في سنة أو عدة سنوات، بل إن أثرها في بعض الموارد يبقى لخمسين سنة كاملةً ويلقي بظلالها على المجتمع الإسلامي. ١٣٦٨/٤/٢٠

٦٦ - في العام ١٣٤٢ هـ . ش. (١٩٦٣م) حمّلني الإمام رسالةً إلى علماء مشهد وكانت الرسالة بمثابة بيان عام أقول فيه للسادة العلماء: إن إسرائيل تعمل على الهيمنة على بلادنا وإحكام قبضتها على أمورنا الاقتصادية والسياسية. كان ذلك أمرًا لا يحتاج إلى استدلال وإثبات في ذلك الوقت، فمن يتابع يفهم ذلك من خلال الأخبار والأحداث وزيارات المسؤولين وذهابهم وإيابهم ولقاءات الشاه وآخرين. حينها كان الإمام يريد تبيين هذا الواقع عن بصيرة واطلاع.

ذهبتُ إلى أحد علماء مشهد وهو من جملة الذين وُجِّهَت إليهم الرسالة، وكان أحد العلماء البارزين. قال حينها: لا! إسرائيل لا تسعى إلى الهيمنة على إيران. أجبته: كيف لا؟ فهذا موجود. فأجاب: ما دليلكم؟

الاستدلال؛ كيف يُستدل في موارد كهذه؛ وما هو الاستدلال؟

٦٧ - لاحظوا: شخصٌ لا بصيرة له في أمور الدنيا لا يفهم المسائل ولا يعرف الوقائع، لا يعرف العدو ولا يستشعر العداوة، هو في الأساس لا يشعر بالخطر؛ حتى إذا ما دهمه يكون قد فتك به ومرغ أنفه بالتراب. كيف يمكن وبأي بيان وثمن ومداراة ومشقة، وبأي نفس صادق يمكن أن نجعل هؤلاء في خدمة حاجة المجتمع؟ ذلك لا يمكن؛ ففي ذلك اليوم، أولئك الأشخاص المتخلفون عن القافلة وعن مجريات الأحداث، وكما ذكرنا، قد ثبتوا مراسيهم ورسوا في

أماكنهم يمنعون الآخرين السالكين على هذا الخط والسابقين في هذا النهج من التضحية والفداء. كانوا يصدون هذه الأعمال ويعيقونها، فهؤلاء لم يكونوا سيئي النية إنما كانوا على غير دراية بمجريات الأمور.

٦٨ - الأمر اليوم هو هكذا. فلا نظنّن أن وعي وإدراك أشخاص مرحلة المواجهة التي سبقت سيكون كافيًا لنا اليوم. فكما كنا نرى في ذلك اليوم أشخاصًا لديهم الوعي والبصيرة تمكنوا من طرح شعارات جديدة، إيقاظ الناس وإرشادهم وتحذيرهم من المؤامرات والأخطار، استطاعوا قيادة الناس وإنقاذهم من المطبات والمنعطفات، فهؤلاء كانوا موجودين ونجحوا في نهاية الأمر في إيصال الثورة إلى شاطئ النصر؛ واليوم أيضًا، باستطاعة نظائر أولئك الأشخاص أن يديروا هذه الثورة ويقودوها إلى النصر النهائي وأن يبثّوا القوة والعمق اللازم في الفكر الذي تحمله، ويكونوا عارفين بالقضايا والمسائل وحاملين للشعارات المناسبة، وأن يميّزوا ويحدّدوا مخاطر ونقاط ضعف هذه المرحلة التي تختلف كثيرًا عن مخاطر المرحلة السابقة وهي أكثر تعقيدًا، وأن يعرفوا العدو والعداوات وأن يعرفوا الطرق والسبل لمواجهة هؤلاء.

كيف يمكن ذلك؟ عندما تمتلكون رؤيةً كونيةً صحيحةً نافذةً وقويةً، وتكون علاقتكم بقضايا العالم وثقافته وصحفه وكتاباته وتحولاته الثقافية والعلمية على درجة عالية من الأهمية من هذه الجهة بالنسبة إليكم بحيث تكمل بناء الوعي لديكم وتصقل شخصيتكم وتصنع منكم تلك الشخصية التي تكون أكثر فائدةً لمستقبل الإسلام إن شاء الله. إن بصيرتكم ووعيكم سيصنعان منكم تلك الوجوه والقلوب والشخصيات، تلك الأعمدة والمحاور، بحيث تكونون موئلًا للمئات من طلاب العلم والعلماء الكبار، تعملون على هدايتهم وإرشادهم.

٦٩ - من كان من العلماء منذ بداية الثورة يتمتع بأدنى مقدار من البصيرة غدا نافعًا، وإن من الذين كانوا يتمتعون بمستوى عالٍ من

البصيرة هو الشهيد بهشتي، الذي كان على اطلاع ومعرفة بمجريات الأمور في العالم، وإن إحدى خصائص شهيدنا العزيز أنه كان يتقن لغتين اثنتين. كان باستطاعته أن يحاضر في المحافل واللقاءات باللغتين الألمانية والإنكليزية، وكان يتقن العربية أيضًا وبالتأكيد كان يحاضر باللغة العربية، ولقد كانت المعرفة باللغات الأخرى ممّا وظفه الشهيد في خدمة البصيرة. ١٣٦٣/٦/٧

٧٠ - هناك من يوقع نفسه في التهلكة بسبب عدم امتلاكه الوعي والتحليل السياسي. بالطبع هناك من يهلك نفسه بسبب أغراضه ونواياه، أما أولئك الذين ليس لديهم ذلك القدر من المقاصد فهم يقعون في الهلاك بسبب عدم فهمهم وعدم امتلاكهم البصيرة.

٧١ - البصيرة - كما يعبّر عنها اليوم في عرفنا - هي التحليل السياسي والوعي السياسي نفسه. علينا معرفة تموضع العدو وتموضع الصديق؛ من هو العدو ومن هو الصديق. كان الكثير منكم قد شارك في الجبهة أيام الحرب المفروضة. فأحيانًا قد تجدون شخصًا في وحدة قتالية، يسمع أصوات المدفعية فلا يميز مصدرها من أي جهة ولا يعرف مكان العدو. فإذا ما كلّف هذا الشخص غير المؤهل وغير المدرَّب بالإسناد المدفعي وجاءه أمر إطلاق النار، فقد يطلق النار على جبهته! قد يعلم أن العراق يقع في الجهة الغربية لإيران، ولكن هل أن العدو كان دائمًا في الجهة الغربية؟ كان العدو أحيانًا في الجنوب وأحيانًا في الشمال. على الإنسان أن يعرف عدوه، أين هو عدوه. وعندما تعلمون ذلك ستطلقون النار بكل سهولة وستصيبون الهدف. أما إذا لم تعلموا، فستطلقون النار على رؤوسكم.

يصبّ بعضهم النار على رؤوس خاصتهم وأنفسهم! بسبب عدم امتلاك البصيرة وعدم الوعي وعدم القدرة على التشخيص! والويل عندما يجتمع عدم امتلاك الوعي والتشخيص مع بعض النوايا والمقاصد والضعف الأخلاقي!! الويل، الويل. ١٣٨٠/٢/١٢

٧٢ - احذروا أن تكونوا من العوام، ولا نقصد بكلامنا هذا وجوب إكمال مراحل دراسية متقدمة، أبدًا، وقد قلت: إنّ معنى العوام ليس

هذا؛ فما أكثر الذين أنهوا مراحل دراسية عليا، لكنهم يُحسبون في عداد العوام، وما أكثر من درسوا العلوم الدينية وهم من العوام، وما أكثر الفقراء أو الأغنياء الذين يدخلون في عداد العوام.

فأن نكون من العوام رهن إرادتي وإرادتكم، ولهذا علينا أن ننتبه ولا نكون من هذه الفئة، أي يجب أن يكون كل فعل نفعله، عن بصيرة، ومن لا يعمل عن بصيرة فهو من العوام، ولهذا ورد في القرآن الكريم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿**أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[1].

إذًا انظروا أولًا هل أنتم من فئة العوام أم لا؟ فإذا كنتم من تلك الفئة فسارعوا إلى الخروج منها، اسعوا لكي تكون لكم قدرة على التحليل والدراية والتشخيص وتحصيل المعرفة. ١٣٧٥/٣/٢

٧٣ - ستواجهون في السنوات المقبلة، أيها الشباب، وفي جميع مراحل أعماركم - التي أسأل الله أن يطيلها - قضايا كثيرة. وكل إنسان حيّ وفاعل يواجه قضايا كثيرة، ولكن هل ستكون قضايا السنوات المقبلة أصعب أو أسهل مما مرَّ علينا في السنوات الماضية؟ فهذا ما لا يمكن التنبؤ به، ولا يمكن القول إن قضايا السنوات القادمة ستكون أصعب مما مرّ علينا في السنوات الماضية، إلّا أن ما نستطيع أن نوصيكم به هو:

أوّلًا: يجب أن يشعر الشاب بالمسؤولية، أي أن يعتبر نفسه في الواقع شخصًا مسؤولًا، وعليه أن يشق طريقه في الحياة، ولا يكون كريشة في مهب ريح الأحداث.

ثانيًا: أن يتحرك في حياته بهدي الإيمان، لأن للإيمان دورًا كبيرًا في تقدّمه في الميادين كافّة، وفي التغلب على كل ما يعترض سبيله من عقبات.

ثالثًا: أن يكون على وعي وبصيرة من أمره.

إذا توفّرت هذه الخصال الثلاث لدى الشباب - وهو ليس بالعمل

١ | سورة **يوسف**، الآية ١٠٨.

السهل طبعًا، ولكنه ممكن إلى حدّ كبير – اعتقد أنه يصبح قادرًا على ضمان نجاحه في كل الساحات رغم كل التطورات التي تحصل في العالم من تقدّم في حقل الاتصالات، وظهور أشكال تمدن جديدة، وزوال قوى كبرى، وبروز قوى جديدة؛ وسواء كانت إيران تعيش تحديات اقتصادية وسياسية شتّى مع الآخرين، أم لم تكن. حاولوا إذن غرس هذه الخصال الثلاث في نفوسكم. ومن الطبيعي أنّ المساعي لا تأتي كلّها بمستوى واحد، ولا تعطي ثمارها على قدر واحد. ولكن كلّ من يسعى لا بد ان ينال حظًّا من النجاح.

إن الشعور بالمسؤولية الذي أتحدث عنه هو ما يكون في مقابل حالة التراخي التي تطبع حياة بعض الشباب وتجعله في موقف اللامبالاة إزاء قضايا الحياة، وهذا «التسيّب» هو أكبر بلاء يحل بروح الشباب. والشعور بالمسؤولية معناه التخلّي عن حالة التسيّب هذه.

أمّا الإيمان فيعني أن يدخل المرء إلى معترك الحياة وقلبه مفعم بالإيمان. عليكم بتقوية وازع الإيمان في قلوبكم. إن قلوبكم بحمد الله طاهرة ونقية، ويشعر المرء بالإيمان يشعّ منها. ولكن في الوقت ذاته، يجب عليكم السعي لترسيخ هذا الوازع الإيماني لكي لا يتزعزع عند الشدائد. يمكن تقوية الإيمان عن طريق قراءة كل ما هو جيّد وعبر الاستعانة بالأكابر والأساتذة الصالحين.

٧٤ - [أما الأمر الثالث] أوجدوا في نفوسكم البصيرة والقدرة على التحليل لتكوين صورة شاملة في أذهانكم عن الوقائع الاجتماعية. إن لقدرة التحليل أهمية فائقة، وإن كل ما تعرضنا له نحن المسلمون من نكبات جاء بسبب ضعف قدرتنا على التحليل، وهكذا هو سبب الضربات التي لحقت بنا في عصر صدر الإسلام والمراحل اللاحقة. ولهذه الظاهرة تفسيرات وتصورات كثيرة. لا تدعوا العدو يستغلّ انعدام البصيرة والوعي لدينا ويظهر لنا الحقائق بالمقلوب.

٧٥ - لا تدعوا بعض الحاجات المادية والمسائل الحقيرة تقف حائلًا دون بصيرتكم؛ احفظوا بصيرتكم واعرفوا عدوكم. لدى العدو الكثير من الحيل المختلفة؛ وإن الأمة الناجحة هي الأمة التي لا تُخدع.

يسعى العدو لتحقير آمال الثورة في نظر الشعب المؤمن؛ ويسعى إلى تكبير الحاجات المادية والحقيرة. الحاجة المادية هي حاجة لكنها ليست أفضل من النفس والروح! فالشعب الذي يبذل الأنفس والأرواح، حينما يكون في مواجهة العدو؛ فماذا سيكون للحاجات الأخرى من تأثير؟!. ١٣٧١/٨/٢٧

٧٦ - إذا كان الشعب صاحب بصيرة، وكان الشباب في البلاد أصحاب بصيرة وكانوا يتحركون ويسيرون بوعي فسوف تكِلّ جميع سيوف الأعداء أمامهم. هذه هي البصيرة؛ فإذا توفرت لن تستطيع أغبرة الفتنة تضليلهم وإيقاعهم في الخطأ. وإذا لم تتوفر البصيرة فقد يسير الإنسان في الطريق الخطأ حتى لو كانت نيّته حسنة. إذا لم تكونوا على معرفة بالطريق في جبهات الحرب، وإذا لم تكونوا ممن يجيدون قراءة الخرائط، وإذا لم تكن لديكم بوصلة، قد تنظرون فجأة وإذ بكم محاصرين من قبل الأعداء، لأنكم سرتم في الطريق الخطأ واستطاع العدو السيطرة عليكم. هذه البوصلة هي البصيرة نفسها.

٧٧ - في الحياة الاجتماعية المعقدة اليوم، لا يمكن السير من دون بصيرة. على الشباب أن يفكروا ويتأملوا ويزيدوا من بصيرتهم. وعلى علماء الدين والأساتذة في الجامعات والحوزات، الاهتمام بمسألة البصيرة. البصيرة في الهدف، والبصيرة في الوسيلة، والبصيرة في معرفة العدو، والبصيرة في معرفة عقبات الطريق، والبصيرة في معرفة سبل التغلب على هذه العقبات ورفع الموانع.. هذه البصائر كلها ضرورية.

إذا توفرت البصيرة عندها ستعلمون من هو عدوكم وتأخذون معكم الأدوات والوسائل اللازمة. تارةً تريدون المشي في الشارع، ويمكن للمرء أن يتمشى في الشارع بملابس عادية وحتى بنعل بسيط. ولكن تارةً تودّون الذهاب لفتح قمّة دماوند؛ هذه العملية تتطلب طبعًا أدواتها الخاصة. البصيرة هي أن تعلموا ماذا تريدون لتعلموا ما الذي يجب أن تأخذوه معكم. ١٣٨٨/٧/١٥

٧٨ - غالبًا ما يكتب شبابنا الذين يلجون ميدان الحرب في وصاياهم جملة «أبي! أمي! إخواني اعلموا أني ذهبت عن بصيرة وعن علم وأقول حقًّا». صحيح ما يقولون إنهم يذهبون عن بصيرة، يدركون ماذا يعملون، شبابنا الذي يستشهدون في ساحات الوغى؛ اعلموا أن لهؤلاء شأن ومنزلة كمنزلة شهداء صدر الإسلام ولا شك في ذلك؛ بصيرتهم كتلك البصيرة نفسها. شبابنا - منهم ذلك الشاب الأهوازي الذي زفت له عروسه الساعة الثانية عشرة، وذهب إلى الجبهة الساعة الخامسة صباحًا وارتفع شهيدًا في الساعة السابعة.

فحنظلة في التاريخ هو غسيل الملائكة الذي نقدِّر شأنه ونعظمه، كم له من نظير في هذا الزمان الجيد؟ [مرةً] ذهب الإخوة الأهوازيون في الحرس إلى والدة أحد الشهداء ليقدموا لها العزاء؛ لم يبدُ على الأم أي انزعاج وكان كلامها: إن أقل أثر تركته شهادة ابني هو أنها قوّت قلوبكم وثبتتها، اذهبوا». حسن؛ تكلمنا حول أم وهب وشجاعتها وكم قرأنا وبكينا؟ فقد أخذت رأس ابنها يوم عاشوراء وقذفته باتجاه الأعداء وقالت لقد قدمته في سبيل الله ولا أريده فهو لله. هذه هي البصيرة، وهذا هو الوعي؛ عندما تُفتقد البصيرة يأتي دور التأوه والنحيب.

٧٩ - القتل هو الموت نفسه، لا فرق؛ ما الفرق بين أن يموت الشخص في حادث سير أم بسكتة قلبية أو في ميدان الحرب بشظية قذيفة؟! الموت موت لا فرق، في النهاية هو يستقبل الموت والموت أمر حتمي. عندما يدرك شبابنا أن حركتهم هذه وعملهم وموتهم هو في سبيل الله وأن نتيجته سقوط قوى الاستكبار العالمي بهذه الدماء، عندما يدركون ذلك يقولون بشجاعة وجرأة: نحن نريد الذهاب والقتل في هذا السبيل؛ وإن اسم هذا الأمر وعنوانه: البصيرة. البصيرة تعني أن يذهب الإنسان إلى المعركة بعين مفتوحة. يعلم لأجل أي شيء ذاهب ويدرك ذلك. ١٣٥٩/٨/١٦

٨٠ - يودّع الشاب عائلته؛ يترك «المكيف المبرد» في الصيف ويترك المدفأة في الشتاء ويذهب إلى حرّ شمس خوزستان، بحرارة

خمسين درجة، أو إلى صقيع برد كردستان وثلجها عشرين درجة تحت الصفر، دون أن يُذكر اسمه [أنه كذا وفعل كذا]. هؤلاء لم يريدوا أن تذكر أسماؤهم. فهؤلاء الشباب المؤمن أمثال الشهيد همت وخرازي وميثمي وردّانيبور وبقية القادة الكبار والشهداء والأعزاء لمنطقة أصفهان وبقية المناطق، لو قاموا بمئة عملية عسكرية، ولم يذكر لهم اسم ولا رسم؛ فهؤلاء لن يسألوا لماذا؟ [لم تذكروا أسماءنا وأعمالنا]. فهنا تُفتح نافذة القلب وتشعّ فيها نور المعنوية. قرأت مرة في أيام الحرب وصية شاب بعد شهادته. لقد كان عرفانيًّا (عارفًا) بامتياز، وقد أثَّر بي كثيرًا. وكان جدُّ هذا الشاب من المراجع العرفاء والسالكين المشهورين. قلت للأخوة: أظن أن هذا الشاب قد قطع هذا الطريق في سن ١٧أو ١٨ سنة ووصل إلى هذا المقام الذي لم يستطع جدّه أن يصل إليه خلال خمسين عامًا من السلوك العرفاني والعلمي. إن أمثال هؤلاء ذخائر للبلاد ونعمة.

٨١ - لقد استشهد هؤلاء من أجل قيم الإسلام وأهدافه. الإسلام الذي يطبق في كل الحياة، الإسلام الذي ينشد العدالة، الإسلام الذي يعزّ أبناءه وأتباعه، الإسلام الذي ميّز شعب إيران عن شعوب بلدانٍ يحكمها رؤساء مستعدون لتقبيل أعتاب الحكومة المستكبرة الفلانية للبقاء بضعة أيام في السلطة؛ الإسلام الذي يكون أداءُ التكليف هاجسَ المسؤولون ومرادهم تحت لوائه وليس إصابة الدنيا والدعة ونيل الراحة. ١٣٨٠/٨/٩

٨٢ - إن ما أنتظره منكم أيها الشباب على طريق الإسلام وفي سبيله:

أولًا؛ اجتهدوا لتعميق معرفتكم بالإسلام وأن يتلازم ذلك مع البصيرة والوعي.

ثانيًا: إن ما تشعرون بأنه تكليفكم في طريق هذه المعرفة، قوموا به وبكل قوة وحزم ولا تأخذكم لومة لائم ولا تخافوا تهديد العدو ولا لوم اللائمين، واعلموا أن الله سينصركم. ١٣٧٥/١٢/٢٥

٨٣ - إن الويلات التي تنزل بالشعوب إنّما هي، في العديد من

الحالات، بسبب انعدام البصيرة. الأخطاء التي يرتكبها البعض – الكثير منها ولا أقول كلّها – هي نتيجة انعدام البصيرة. ترون في مجتمعنا أنّ بعض عامّة الناس أحيانًا، والنخبة في كثير من الأحيان، يقعون في أخطاء. المتوقّع من النخبة أن تكون أخطاؤهم قليلة؛ وأحيانًا إذا لم تكن أخطاؤهم أكثر كمًّا فهي أكثر نوعًا من أخطاء عامّة الناس.

٨٤ - كثيرًا ما شبّهتُ الجبهات والميادين السياسيّة بجبهات الحرب[١]. إذا لم تتوفّر لديكم هندسة الأرض في المعركة العسكرية فمن المحتمل وقوع أخطاء كبرى. ولذلك تذهبون للاستطلاع. من الأعمال المهمّة في العمل العسكري هو الاستطلاع. الاستطلاع عن قرب؛ حيث تذهب [مجموعة] وتتفقد طبيعة الأرض، ومكان العدو، ومواقعه، وتموضعه، وما هي موانعه وتحصيناته ليفهموا ما الذي ينبغي عليهم فعله. فإذا لم يتمّ القيام بهذا الاستطلاع ولم يتم التعرّف على الميدان ومكان العدو فقد يجدون فجأة أنّهم يلقون قذائفهم ومدفعيّتهم باتّجاه يتموضع فيه أصدقاؤهم لا أعداؤهم؛ لأنّهم لا يعرفون الواقع. وهذا الأمر نفسه بالنسبة إلى الساحة السياسيّة. إذا لم تتوفّر لديكم البصيرة ولم تعرفوا العدو فقد ترون فجأة أنّ نيران مدفعيّة إعلامكم ومناظراتكم وممارساتكم متجّهة نحو أصدقائكم لا أعدائكم. على الإنسان معرفة العدو فلا يخطئ في تشخيص العدو.

إذًا البصيرة ضروريّة والتبيين ضروري.

٨٥ - التبيين من الأعمال المهمّة للنخب والخواص. فليتمّ تبيين الحقائق من دون تعصّب ومن دون أن تسيطر الانتماءات الفئويّة على قلب القائل؛ فهذه الأحوال مضرّة. ينبغي ترك الانتماءات والتيارات جانبًا وإدراك الحقيقة كما هي.

كان تبيين الحقيقة من جُملة الأعمال المهمّة التي قام بها عمّار بن

١ | القائد مخاطبًا حشدًا من قادة القوات المسلحة.

ياسر في حرب صفّين؛ لأنّ التيّار المقابل وهو تيّار معاوية كان يمتلك العديد من أبواق الإعلام والدعاية. وهو ما يسمّونه اليوم «الحرب النفسيّة». هذه ليست من الاختراعات الجديدة إنّما اختلفت الأساليب، وقد كانت منذ البداية. لقد كانوا ماهرين جدًّا في هذه الحرب النفسيّة. ينظر الإنسان ويعرف ذلك في أعمالهم. إنّ تخريب الأذهان أسهل من بنائها؛ حينما يقال لكم شيء ويعتريكم سوء الظن بشيء معيّن، فإنّ ولوج سوء الظن إلى الذهن سهلٌ؛ إلّا أنّ محوه من الذهن صعب. لذلك كانوا يبثّون الشبهات وينشرون سوء الظن وكان عملهم سهلًا. وإنّ الشخص الذي رأى أنّ من واجبه في هذا الظرف الوقوف بوجه هذه الحرب النفسية ومقاومتها هو سيّدنا عمار بن ياسر، حيث ورد في أحداث حرب صفين أنّه كان يتنقل على الفرس من هذه الجهة إلى تلك في أطراف المعسكر وبين صفوف الجنود ويتحدّث مع الفِرَقْ والمجموعات – مع الكتائب أو الألوية حسب التعبير الرائج اليوم كلّ على حدة – بمقدارٍ معين. كان يوضح لهم الحقائق ويؤثّر فيهم. وكان عندما يرى نشوب خلافٍ وأن بعض الجماعات قد دخل إليهم الشك وحصل بينهم نقاش وجدل فكان يذهب إليهم ويحدّثهم ويبيّن ويحلّ العُقَد.

٨٦ - إذًا البصيرة مهمة. وإنّ دور النخب والخواص هو أن يعملوا على إيجاد هذه البصيرة، ليس في أنفسهم فحسب بل لدى الآخرين أيضًا.

أحيانًا يرى الإنسان، مع الأسف، أنّ بعضَ النخب مبتلون هم أنفسهم، بانعدام البصيرة فلا يكادون يفهمون أو يلتفتون، يطلقون فجأة كلامًا لصالح العدو، لصالح الجبهة التي تكرس كل همّها للقضاء على الجمهوريّة الإسلامية.

هناك النخب موجودون وكذلك الخواص؛ وهم ليسوا أفرادًا سيّئين وليست نواياهم سيّئة؛ لكنّهم هكذا على كلّ حال؛ إنّه انعدام البصيرة. أنتم الشباب على وجه التحديد عالجوا انعدام البصيرة هذا بقراءة الأعمال الجيّدة بتأمل، وبالحوار مع الأشخاص الموثوقين

الناضجين وليس بالحوارات التقليديّة – حيث تقبلون كلّ ما قيل، لا، ليس هذا ما أريده – هناك أشخاص بوسعهم إقناع الآخرين بالأدلّة وتنوير أذهانهم وإقناعهم.

٨٧ - حتّى أن الإمام الحسين عليه السلام استخدم هذه الوسائل في بداية نهضته وعلى امتدادها... ينبغي أن لا نعرف الإمام الحسين عليه السلام من خلال معركة عاشوراء فقط؛ فذلك جانب من جهاد الإمام الحسين. ينبغي معرفته من خلال تبييناته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وإيضاحه للقضايا والأمور في منى وعرفات وخطابه للعلماء وللنخب – للإمام الحسين كلمات مدهشة ومهمّة مسجّلة في الكتب – ثمّ في الطريق إلى كربلاء وفي ساحة كربلاء نفسها. كان عليه السلام في ساحة كربلاء صاحب تبيينٍ وتنوير فكان يذهب ويتحدّث مع أنّها ساحة حرب والمتوقَّع فيها إراقة الدماء، لكنّه عليه السلام كان ينتهز أي فرصة للتحدّث مع الطرف المقابل عسى أن يتمكن من بث شعلة اليقظة والتنبه فيهم. بعض النيام استيقظوا طبعًا، وبعض الذين اغرقوا أنفسهم بالنوم لم يستيقظوا حتى النهاية. من الصعب إيقاظهم؛ وأحيانًا من المستحيل.

١٣٨٨/٥/٥

٨٨ - إن المطالبة بالبصيرة ليست مطالبةً بأمرٍ صعبٍ وغير ممكن. وإن اكتساب البصيرة ليس أمرًا شاقًّا؛ فهو يحتاج فقط إلى الحدّ الذي لا يكون فيه الإنسان أسيرًا للمصائد المختلفة من الصداقات والعداوات وأهواء النفس والأحكام المسبقة. يكفي الإنسان هذا الحدّ بأن ينظر ويتدبّر ليجد الحقيقة. المطالبة بالبصيرة هي المطالبة بالتدبّر نفسه، والمطالبة بالنظر والتبصر وليس أكثر. وعلى هذا، يمكن أن يُفهم أنّ تحصيل البصيرة هو عمل الجميع، الجميع يمكنهم إيجاد البصيرة؛ بالطبع أحيانًا قد يقع بعض الناس في الغفلة، ليس بسبب العناد ولا بسبب سوء النوايا، مع أن الإنسان يحب نفسه كثيرًا[1] ولكنّه أحيانًا يغفل للحظة أثناء قيادة السيارة، لحظة

١ | المقصود: أن روح الإنسان ونفسه غالية جدًّا بالنسبة له.

من السهو، من غلبة النعاس، تعقبها خسارة لا تعوّض. وإن العثرات وزلّات الأقدام التي تحصل في هذا المجال لا يمكن عدّها ذنوبًا، ولكن إذا استمرّت وتتابعت، فهذا فقدان للبصيرة، وليس مقبولًا بعد الآن. ١٣٨٩/٨/٤

٨٩ - إن مشكلة بعض الأفراد والجماعات ليست أنهم عديمو الإيمان والودّ والمحبة؛ بل لأنهم ليسوا من أهل معرفة اللحظة. ينبغي معرفة اللحظة؛ ينبغي معرفة الحاجة.

لنفرض أن أشخاصًا في الكوفة كانت قلوبهم تفيض بالإيمان بالإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام؛ قلوبهم عامرة بالمحبة، إلا أنهم وردوا الميدان متأخرين بضعة أشهر وقد استشهدوا جميعًا، وأجرهم عند الله؛ إلا أن العمل الذي كان عليهم أداؤه لم يكن ذلك العمل الذي قاموا به؛ لم يعرفوا اللحظة؛ لم يعرفوا عاشوراء؛ لم يؤدوا العمل في الزمان [المطلوب]. فلو أن التوابين قاموا بما قاموا به[1] عند مجيء مسلم إلى الكوفة لكانت الأوضاع قد تغيرت؛ وكان من الممكن أن يتغير مجرى الأحداث بشكل آخر.

إن معرفة الوقت وتشخيص اللحظة والقيام بالعمل في وقت الحاجة لهو أمر غاية في الأهمية[2].

... إن معرفة الظرف[3] وإدراك الحاجة والحضور في اللحظة المناسبة وعند محل الحاجة هو أساس العمل الذي ينبغي على المؤمن أن يتحلى به حتى يصبح وجوده مؤثرًا؛ ليتمكن من إنجاز العمل الذي ينبغي أن يقوم به. ١٣٨٨/١٠/٢٩

٩٠ – فليس كل مَن أعان العدو يعني بالضرورة أنّه يعرف العدو ويُدرك خطّته العامة وهندسته الكلية حول النظام، ويقوم بدعمه عالِمًا عامدًا، فهناك مَن إذا قلت له: إنّك تساعد العدو! ينتفض في وجهك معترضًا ومندهشًا! فهو مخالف للعدو وكاره له حقيقةً.

١ | نهضتهم بعد عاشوراء بمدة.
٢ | في لقاء أعضاء شورى الإعلام الاسلامي، ١٣٨٨/١٠/٢٩.
٣ | المقصود: معرفة الأوضاع والظروف الموجودة.

فلو أخذتم بعين الاعتبار الهندسة الشمولية للنظام، سيتمّ اتقاء هذا الأمر. وإذا ما راقب كل واحد منكم نفسه وسلوكه، ستحولون دون الوقوع في خدمة العدو، عن غير التفات أو عِلم.

عندما توضع حروف كلمة أو جملة في جدول لصناعة عبارة؛ بعضهم لا يعرف أن هذه الحروف التي يضعها في هذه الخانات ستكمل تلك العبارة. فهم يوجدون المقدمات عندما يضعون هذه الحروف في هذه الخانة؛ وبذلك يصبحون كمن ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[١]. ثم يأتون يحضرون البرهان والدليل على عملهم، لكنهم لا يدركون أن تلك الكلمة أو تلك الجملة المؤلفة من خمس عشرة كلمة في الجدول تقرب الحل؛ تمامًا كلعبة البازل[٢]حيث الأماكن محددة ومعلوم أين يجب وضع القطع؛ وإن جهل من هم أمثالي يريدون أن أضع القطعة هنا وأن أعتقد أنه لا مشكلة في ذلك؛ وأنا غافل عن أنه عندما أضع هذا الجزء من لعبة البازل ويكون إلى جانب الأجزاء التسعين يظهر ذلك الشكل وأكون أنا المساهم في تشكّله! بعضهم هكذا يعمل.

٩١ - فمثلًا لو أراد العدو تحقيق أمله الكبير والمتمثل في استئصال جذور الجمهورية الإسلامية وإزالة لِوائها من قمة هذا البلد، يخطط ويضع مشروعًا. ومن الطبيعي، فإن لهذا المخطط أجزاء ومقدّمات: كبثّ الفرقة والاختلاف، وإشاعة التحلل اللا اعتقاد والتحلل من الدين، وإيجاد المشاكل للناس، وتعميق الفواصل الطبقية، وإشاعة الفساد، وزعزعة ثقة الشعب بالمسؤولين، وتشويه سمعة الأجهزة الّتي تقود وتدير النظم والانضباط في البلاد، كالسلطة القضائية ومجلس صيانة الدستور ومجلس الشورى، والأجهزة الأخرى المختلفة؛ كل واحدة منها[٣] تشكل إحدى أجزاء هذا المخطط العام الذي وضعه العدو.

١ | سورة الكهف، الآية ١٠٤.
٢ | Puzzle.
٣ | أي كل هذه الساحات والسبل التي يعمل عليها العدو والتي كررها هي أجزاء خطته العامة والكلية.

وهناك من يساعد على ذلك دون التفات إلى ارتباط هذه الجهة أو هذه الساحة بالجهات الأُخرى؛ وسبب ذلك يعود إلى انعدام البصيرة. ١٣٨٤/٣/٨

٩٢- يستاء العدو من الفضاء الصافي النقي؛ ويريد الفضاء الملوث بالغبار الذي يساعده على التقدم وتوجيه ضربته. فالفضاء المغبر هو الفتنة بعينها. معنى الفتنة أن تدخل إلى الساحة جماعة بظاهر ودّي وبباطن عدائي وتقوم بتلويث الأجواء. ويستطيع العدو الصريح [بعداوته] أن يخفي وجهه الحقيقي في هذا الجو المغبر والملوث؛ فيدخل الميدان ويضرب ضربته: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا بَدْء وُقُوع الْفِتَنِ أَهْوَاء تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتابُ الله»، إلى أن قال: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ»[1]، أي أن الحق والباطل لو كانا صريحين واضحين وسط الميدان لما بقي مجال للاختلاف، فالجميع يحب الحق ويكره الباطل، «وَلكِن يُؤْخَذُ مِنْ هذَا ضِغْثٌ، وَمِنْ هذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ»، يخلط جزء من الحق مع جزء من الباطل فلا يكونان متمايزين وعندها يشتبه الأمر على المخاطَبين. يجب مراقبة هذا بشكل جيد. اليوم، في الإعلام العالمي، كل اعتمادهم على هذا الأمر، أن يظهروا الحقائق في بلدكم ومجتمعكم ونظامكم الإسلامي بنحوٍ معاكس ومخالف للواقع، فإمكاناتهم الإعلامية كثيرة وكبيرة، وهم مشغولون دائمًا. بالطبع، هناك أيضًا أشخاصٌ في الداخل، يكرّرون كلام الخارج ويروّجونه عمدًا أو سهوًا.

٩٣ - والآن ما هو العلاج المناسب لهذه الظاهرة؟ يحكم العقل السليم ويبين الشرع الصريح أن الحل والعلاج عبارة عن الصراحة والوضوح في تبيين الحق؛ عند شروع أي حركة بالعمل بحجة

١ | نهج البلاغة، الخطبة ٥٠.

الانتخابات، يرد العنصر المعادي الميدان في جو مغبر؛ فعندما ترون عنصر العدو قد ورد الميدان – كلامه وشعاره ينبئ عما في ضميره –، ينبغي هنا تحديد الحد الفاصل.

الجميع هنا مسؤولون، والخواص مسؤولون أكثر من غيرهم. وضمن دائرة الخواص فإن الذين يتحملون المسؤولية أكثر من غيرهم هم الذين لديهم دائرة أكبر من المستمعين والمخاطبين. إنها واجب ومسؤولية؛ وهي أن تحدّد الحدود فنعرف المتكلم ونعرف فحوى كلامه. لا ينبغي أن يظهر الباطل نفسه من غمرة الغبار ويرد الميدان متخفّيًا ويضرب ضربته، دون أن تدري جبهة الحق من أي جهة تلقت هذه الضربة. هذا يعني أن الحديث المبهم غير الواضح غير مطلوب من قبل الخواص. ينبغي على الخواص أن يبينوا ويوضحوا المسائل. وهذا الأمر ليس حكرًا على تيار سياسي معين.

٩٤ - ينبغي على كل التيارات الموجودة ضمن النظام الإسلامي أن يحددوا بوضوح مواقفهم من الدعم الذي يقدمه مستكبرو العالم[١]؛ هل تقبل به أم لا. فعندما يأتي رؤوس الاستكبار والظلم والمحتلين للبلاد الإسلامية وقتلة المظلومين في فلسطين والعراق وأفغانستان والكثير من بلدان العالم، ويدخلون ساحة الصراع يتكلمون ويتخذون مواقف. حسن، ينبغي أن يكون معلومًا ما هو موقف الشخص الذي يعيش في ظل نظام الجمهورية الإسلامية في قبال ذلك! هل هو مستعد للتبرؤ من هذه الأعمال فيقول أنا مخالف ومعادي لكم؟

٩٥ - عندما يقوم أشخاصٌ في جو الفتنة ويعترضون بلسان صريح ويطلقون الشعارات المعادية للإسلام ولنظام الجمهورية الإسلامية؛ فيقومون بعملهم هذا بالتشكيك بالجمهورية وبالانتخابات. عندما تبرز هذه الظاهرة في المجتمع، فالمتوقع من الخواص أن يبينوا حدودهم ويحددوا مواقفهم؛ وإن الغموض في الحديث والكلام والمساهمة في تلويث الأجواء ليس هو من رفع الفتنة بشيء؛ وليس

١ | أي: دعم بعض الجهات التي تعمل تحت ظل النظام الجمهورية الاسلامية.

مساعدًا على الجو الشفاف الواضح. الوضوح عدو العدو، وعائق أمامه. وتعكير الأجواء مساعد له. هذا نفسه شاخص؛ إنه الشاخص والمعيار في معرفة من يساعد على الوضوح ومن يساهم في تعكير الأجواء. فليؤخذ ذلك بعين الاعتبار، وليكن معيارًا.

٩٦ - اعلموا، وأنتم تعلمون، أن الثورة الإسلامية هي حقيقة. وقد نهضت من سنّة إلهية لا يمكن اقتلاعها أو زلزلتها. طالما كان لدى الشعب الإيمان والعشق والمحبة والهمّة والشجاعة والمثابرة، فاعلموا أنه لو تآزرت جميع قوى العالم وتكاتفت لن تستطيع توجيه ضربة للثورة وللنظام ولهذا الشعب.

هذه واجبات ينبغي القيام بها. ينبغي تخطي المعابر والممرات الضيقة؛ فبعضها صعب وبعضها الآخر أكثر سهولة. والحمد لله، فإن شعبنا قد عبر فيما مضى الكثير من المعابر الصعبة وكانت أصعب بكثير من المعابر الموجودة اليوم؛ وسيكون الشعب هكذا فيما بعد. إن العدو وأصحاب الفتنة موجودون على الدوام. فلهذا اليوم عدو، ولغدٍ عدو آخر، وبعد غد عدو آخر وبأسلوب آخر. عندما تحافظ الأمة على يقظتها ووعيها وعزمها وتحفظ إيمانها وتبقيه حيًّا ستصمد وتقف في مواجهة كل هذه المعارضات بسهولة، وتعمل أيديها براحة، وتتغلب على كل المعارضات وفي كل المواجهات.. ١٣٨٨/١٠/٢٩

بضع وصايا

٩٧ - أوصي شعبنا العزيز ببضع وصايا: احذروا أن تفقدوا صبركم؛ لقد انتصرنا بالصبر، وينبغي أن نتقدم بالصبر. احذروا أن تفقدوا صبركم؛ فاعرفوا العدو وشخّصوا عداوته ومكائده بدقة. فلتكن عيونكم مفتوحة على الإعلام الذي يقوم به العدو والكلام الذي ينطق به والشائعات التي يختلقها ويبثها؛ التفتوا ودققوا في الخلفيات والدوافع التي ينطلق منها العدو في كلامه وبث شائعاته وأخباره الكاذبة، وكذلك البيانات والمواقف المنافقة التي يجريها على لسانه. في كل الأحوال، العدو هو العدو. ١٣٧٠/٣/١٤

٩٨ - تعلمنا التجربة أنه يمكن للعدوّ توجيه ضربة إلى الثورة حتّى في أفضل الظروف. علينا دومًا أن نوجّه نظرنا إلى كمائن الأعداء. وإنّ الغفلة عن إمكانيّة توجيه العدوّ ضربته إلى حركة الشعب الإيرانيّ العامّة هو شيءٌ خطير؛ كونوا حذرين. إنّها وصية أمير المؤمنين (سلام الله عليه) حيث قال: «**ومن نام لم يُنَم عنه**»[1]. يجب أن لا يغلبنا النوم في ميدان الحياة السياسية، يجب أن لا ننام خلف متاريسنا. إنْ نمتَ أنتَ فيجب أن تعلم أنّ العدو ربما يكون يقظًا. ليس هذا محض تحليل، إنّما هو معلومات. لقد حاول أعداء نظام الجمهورية الإسلامية وسعوا علَّهم يتمكّنوا في مناخ الحرية الذي منحه النظام الإسلاميّ للشعب من خلق متاعب ومشاكل للناس. سعوا وأنفقوا الأموال ووظفوا وسائل إعلامية كثيرة وعبّأوا عملاء كثر علّهم يصنعون من هذا الوضع، الذي يُعتبر عيدًا لشعب إيران واحتفالًا وطنيًّا كبيرًا، وضعًا مضرًّا بالشعب الإيراني.. لقد بذلت مثل هذه المساعي. يجب أن تكون هذه التجربة[2] إنذارًا لنا جميعًا ولكل أبناء الشعب. إذا كنّا سيّئي الثقة بعضنا ببعض في ساحة الحياة السياسيّة والاجتماعيّة، وكنّا ننظر بعين العداء بعضنا إلى بعض فسوف تكون هذه فرصة لأعدائنا الحقيقيين. إذا لم نفكّر ولم تكن لدينا بصيرة وإذا نسينا أنّ ثمّة أعداء يكمنون للثورة فسوف نتلقّى ضربة. كانت هذه تجربة لنا. ١٣٨٨/٥/١٢

٩٩ - **احفظوا صبركم وبصيرتكم ووحدتكم**. لا تدعوا الفاقدين للبصيرة والصبر والأنانيين وأصحاب المصالح الشخصية وغير المكترثين بمصالح الشعب - تحت حجج مختلفة - أن يجعلوا هوة بين صفوفكم القوية ويلوثوا قلوبكم ويلقون بها الاضطراب، سواء فيما بينكم أو فيما بينكم وبين المسؤولين. تيقظوا واعلموا أن هذا الطريق سيصل إلى الهدف؛ فهو طريق الأنبياء والأوصياء وأمل المؤمنين الصالحين طوال التاريخ والعصور الماضية. وإن الشعوب الأخرى تنظر إليكم وتريد أن تتعلم منكم. ١٣٧٠/٣/١٤

١ | نهج البلاغة، الكتاب رقم ٦٢.
٢ | انتخابات العام ٢٠٠٩ والأحداث التي رافقتها وتلتها.

الفصل الثاني: الاستقامة

١٠٠ - إننا نتعرض للصدأ والتلف، فقلوبنا ونفوسنا يعتريها الصدأ بشكل مستمر أثناء مواجهتنا لوقائع الحياة اليومية، ولا بد من معالجة هذا الصدأ وتلافيه بالطرق الصحيحة، وإلا تعرض الإنسان للفناء، فلربما يكون الإنسان قويًّا شديدًا من الناحية المادية والظاهرية لكنه سيفنى معنويًّا إن لم يضع التعويض عن هذا التلف في الحسبان. ١٣٨١/٧/١٧

١٠١ - وردت في القرآن نقطة مهمة جدًّا - فيما يتعلق ببناء المجتمع الإسلامي وتحقيق القيم الإسلامية العظيمة - وهي مسألة الاستقامة؛ أي استقامة الذين ينشدون الحقيقة ويرفعون رايتها والملتزمون بها. الاستقامة ضرورية ليستطيع الإنسان تحقيق المثل العظيمة. لا سبيل للوصول إلى الكثير من القيم والمثل إلا باستقامة الشعب الدائمة مع مرور السنين. ١٣٨٠/٨/١٠

١٠٢ - يتم التعامل مع الاستقامة كمفهوم رائج ومتداول وغير مهم؛ إلا أن الأمر ليس كذلك؛ فهو مفهوم فائق الأهمية وحساس؛ تبرز أهميته في العمل أكثر بمراتب من ذلك الشيء الذي يتصوره الإنسان في ذهنه. الاستقامة تعني الثبات على الصراط المستقيم ﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا**﴾[1]، أي إذا استقاموا على هذا الصراط نفسه، وكانوا في هذا الاتجاه عينه، ولم يبدلوا طريقهم ولم يتأثروا بالظروف؛ حينها ستترتب النتائج الدنيوية والثواب الأخروي. هذا ما يقوله القرآن ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**

١ | سورة **الجن**، الآية ١٦.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾[١]، شرف نزول الملائكة ومخاطبتهم أن لا تخافوا ولا تحزنوا. متى يحصل هذا الشرف؟ عند الاستقامة؛ هي كلمة يقولها الإنسان، استقيموا، اثبتوا، ينظر الجميع إلى بعضهم ويقولون سمعًا وطاعة. ألا إن الاستقامة في ميدان العمل مسألة هامة جدًّا. ١٣٧٤/١٠/٨

١٠٣ - يقول القران الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[٢]، فقولهم ﴿رَبُّنَا اللهُ﴾ يعني الإقرار بالعبودية لله والتسليم له؛ وهذا أمر في غاية العظمة؛ لكنه ليس كافيًا، فحينما نقول (ربُّنا الله) فهذا حسن جدًّا لذلك الأوان الذي نطلقها فيه، لكننا إذا نسيناها فإن (ربّنا الله) الذي أطلقنا اليوم لن تجدينا نفعًا في الغد، لذلك فهو يقول ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، أي يثبتون ويمضون على هذا الطريق. وهذا مما يؤدي إلى أن «تتنزل عليهم الملائكة»؛ وإلاّ لا تتنزل عليهم ملائكة الله للحظة جيدة أو آنٍ جيدٍ واحدًا، ولا يدرك الإنسان نور الهداية ولا تمتد نحوه يد العون الإلهي، ولا يبلغ الإنسان مقام العباد الصالحين [إن صلح لفترة ثم توقف]؛ فلا بدّ من مواصلة هذا الدرب والمضي في ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ وإذا ما أردتم أن تتحقق هذه الاستقامة فعليكم الحذر دائمًا من أن يهبط بناء وميزان المعنوية هذا عن مستواه المطلوب. ١٣٨١/٧/١٧

١٠٤ – من بين هذه المفردات تبرز مفردة «الاستقامة» ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾، أي إنهم يكونون على اتصال بالملكوت الأعلى في دنياهم هذه، حيث يحصلون على معين لا ينضب روحيًّا وفكريًّا ونفسيًّا فلا يستولي عليهم خوف ولا حزن؛ فالخوف إنما يأتي من الأخطار التي ربما تتهدد الإنسان. فإذا ما تحرر المرء من الخوف فحينها يمضي في طريقه ويتقدم نحو هدفه بمزيد من الجرأة والاقتدار وبروحية عالية، وعندما لا يعتري الإنسان الخوف والحزن فهو بسبب أنه لن يفقد شيئًا...

١ | سورة **فصلت**، الآية ٣٠.
٢ | سورة **فصلت**، الآية ٣٠.

أولًا، لأن سلوك هذا الطريق يكتنف الكثير من النجاح والتوفيق.

ثانيًا، إذا كان لا بدّ للإنسان من أن يفقد شيئًا؛ فلأنه في سبيل ما عهد إليه من واجب وأداءٍ للتكليف الإلهي، فهو مرتاح الضمير. مثلما هو حاصل بالنسبة لعوائل الشهداء الذين استشهد أبناؤهم وفجعوا بهم، لكن قلوبهم عامرة بالسرور، فشتّان ما بين هؤلاء وبين أولئك الذين تصادفهم مثل هذه الحادثة في غير طريق الشهادة. ١٣٨٠/٩/٢١

١٠٥ - البداية والانطلاق أمر مبارك، لكنه ليس كافيًا. عندما تستقيمون، وعندما تثبتون وتوتِدون أقدامكم في طريق وتستمرون فستتضاعف قيمة ذلك العمل. لا تكتفوا بالبداية الحسنة، صمموا على الاستمرار في الطريق بمراعاة الدقة والملاحظة وكل الظروف اللازمة للاستمرار في هذا السبيل. ١٣٨٢/٩/١٧

١٠٦ - **إنّ المحافظة على النعمة أصعب من اكتسابها**، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا**﴾[1] فلا يكفي مجرد قول: ﴿**رَبُّنَا اللهُ**﴾ بل لا بد مع ذلك من الاستقامة، وعندها ﴿**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ**﴾ فالاستقامة هي الأساس، وإلا فقد يكون بإمكان شخص ضعيف مثلي أن يرفع حملًا ثقيلًا للحظات، إلا أنه لا يمكنه أن يستمر في حمله وسرعان ما سيطرحه أرضًا. فالشخص القوي والمنجز للعمل هو الذي باستطاعته رفع هذا الحمل الثقيل والاستمرار في حمله خلال المدة المطلوبة.

إنّ نوايا كثيرين منّا صالحة، ونباشر العمل بنوايا صالحة، إلا أننا [عندما] لا نستطيع الاحتفاظ بهذه النوايا، حيث تصطدم هذه النوايا أثناء الطريق ببعض الموانع وتبدأ بالتآكل والاضمحلال، وأحيانًا قد يتوجّه القلب إلى جاذبة قوية معارضة - القلب الذي هو مكمن النوايا - وسرعان ما تدركون اختفاء النيّة وتبدّلها، وحينها ينحرف الشخص عن مساره، وإذا رأيتم أنّ أشخاصًا كانوا يقولون: ﴿**رَبُّنَا اللهُ**﴾

١ | سورة **فصلت**، الآية: ٣٠.

في حين أنهم حاليًّا يتوجهون نحو عبادة الأصنام بدل توجههم إلى الكعبة، وانقلبوا على شعاراتهم الخَلاّبة ١٨٠ درجة، إنما هو بسبب عدم تمكّنهم من الحفاظ على مبادئهم؛ لأنه قد ظهرت اثناء الطريق جذبات وميول.

ربما سمعتم بذلك الشخص الذي نوى أنْ يمارس الارتياض أربعين يومًا، مضى اليوم الأول والثاني والخامس؛ وما إن بلغ اليوم العشرين حتى دبّت فيه الوساوس الشيطانية، فعرضت له امرأة بالغة الجمال، ووُضع أمامه طعامُ شهي، وعُرضت له أموال طائلة، فلم يتمالك نفسه، واستسلم للرغبات وذهبت الجهود التي بذلها طوال عشرين أو ثلاثين يومًا أدراج الرياح، يمكن لهذه الحكاية أن تكون حقيقة، وحتى إذا لم تكن حقيقة، فإن الدرس الذي يُراد تقديمه من خلالها واضح. ١٣٨٤/٦/٨

١٠٧ - علينا أن لا ننسى هذا الهدف أنّ الاستقامة يعني عدم ضلال الطريق وعدم نسيان الهدف. إن هذا الأمر دقيق ومهم إلى درجة أن الله تعالى مع عظمة النبي صلى الله عليه وآله قد أوصاه به أيضًا ونحن علينا أن نوصي أنفسنا بذلك.

لقد أوصى الله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ**﴾. احذروا الخطأ وضلالة الدرب. إن الحديث عن ضلالة الطريق هو حديث عام مبهم ومعقد بعض الشيء؛ كل شخص يدّعي أن الطريق من هنا، قد يصادف أن يكون صديقان أو أخوان وكل واحد منهما لديه نظرة وذوق وأسس مختلفة عن الآخر في مجالات سياسية واقتصادية؛ وكل واحد منهما يدعي أن طريقه هو الطريق الصحيح. فهل يا ترى هذا هو معنى الاستقامة على الطريق؟! كلا، حتمًا هناك اختلافات في الطباع والأذواق.

١٠٨ - أنتم في كل صلاة تقفون بين يدي الخالق وترددون مرتين وفي كل يوم عشر مرات على الأقل ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾، الإنسان في العادة، يدعو الله ويطلب منه الصراط المستقيم دائمًا، والاستجابة تكون ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾. وبالنسبة لنا نحن العاملون

والمسؤولون يكون تكليفنا أكبر وحملنا أثقل.

حفظ الصراط المستقيم

١٠٩ - لقد تكررت موضوعات كثيرة في **القرآن الكريم**. على سبيل المثال مسألة «الشيطان» كعدو دائم.. ومسائل من قبيل: الكفار، الأعداء، والأعمال التي قاموا بها ومواجهتهم للأنبياء؛ هي مسائل تكررت كثيرًا. وليس هذا التكرار دون غرض وجيه. وإذا لم يكن هناك نقطة استثنائية مهمة فلا يحصل كل هذا التكرار فيها. ينبغي علينا أن نبحث عن هذه الامور: فما هو الشيء الأكثر أهمية في حياتنا فنجده ونفكر به ونتعرف عليه ونسعى إليه.

١١٠ - إن مسألة «اهدنا الصراط المستقيم» التي نكررها في الصلاة خاصة مع الالتفات إلى التأكيد الموجود في السورة على هذا الموضوع أمر مهم جدًّا. ووجه ذلك وسببه، هو أن حفظ الصراط المستقيم في حياة البشر في الأساس مسألة مهمة واقعًا. بالطبع ليس الكلام هنا حول الشخص الذي أضاع الطريق منذ البداية أو أنه لم يجده – وهو محل حديث الآية، ولن أتعرض له إلا أنّ من ظفر بطريق الهداية هو دائمًا في معرض الانحراف عن هذا الطريق خلال الأربعين سنة أو الخمسين أو الستين أو الثمانين سنة! وهذه خسارة ما بعدها خسارة! افرضوا أنكم بعد سعي وجهد حثيث قد وجدتم من بين العديد من العناوين والخطوط خطًا مستقيمًا نحو الهدف الذي هو بالنسبة إليكم في غاية الأهمية، وتصوروا احتمال الوقوع في الضياع والضلالة عند كل خطوة، عند السعي وحين العمل. يستدعي هذا الهاجس أن يقوم الإنسان دائمًا باتخاذ تدابير معينة، وهذه هي مسألة حفظ الصراط المستقيم.

١١١ - ... الاستقامة! لها معنى سهلٌ وممتنع أيضًا. تبدو سهلة ويمكن فهمها بالنظرة الأولى، ولكن عند التأمل ودقة النظر نرى عمق معناها؛ كما أن تحديدها وتشخيصها إلى حد ما صعب؛ وكذلك إن رعايتها في العمل أمر هامّ جدًّا.

١١٢ - إذا استقمتم ستشملكم الهداية. الاستقامة تعني وتد القدم ورسوخها في الاستمرار والسير في الطريق المستقيم. أن نقول «اهدنا الصراط المستقيم» مع التأكيد والتشديد. انظروا إلى بداية السورة «بسم الله الرحمن الرحيم» فهي معرفة من المعارف. بالطبع، قصة «بسم الله» قصة مهمة لأن الاسم هنا ليس بمعنى ذلك الشيء الذي نفهمه من معنى الاسم. الاسم يعني المظهر؛ جيد، إنّ لذات الباري المقدس مظاهر متعددة وتجلّيات، فهو يتجلى أحيانًا باسم الرحمانية - والتعبير هنا بالطبع من ضيق الخناق - ويطلق «الرحمن» بهذا الاعتبار على الذات المقدسة للخالق؛ وكذلك تتجلى الذات المقدسة للخالق بتجلي آخر وهو «الرازقية» وبهذا الاعتبار فالذات المقدسة للرب هو الرزاق «هو الرزاق ذو القوة المتين». أحيانًا لا يكون البحث في صفات الذات أو صفات الفعل بل البحث هو ذات المقدس الخالق. عندما يريدون طرحه والبحث فيه فهو «الله» الاسم، ومشهور بين العلماء بأن الأسماء المقدسة للخالق هي اسم الاسم. والاسم يعني هو ذلك الظهور والتجلي الخاص الذي هو للذات المقدسة للإله بحيث يبيّن هذا التجلي بتعبير كلمة «الله» أو كلمة «الرحمن» أو «الرحيم». وهذه اسم الاسم.

إذًا فالاسم هو ذلك الظهور وذلك التجلي. عندما تقولون «بسم الله»، فهذه الباء هي باء الاستعانة. وبرأيي هي ليست باء السببية وذلك الشيء الذي ذكروه لها. الـ «باء» هي بمعنى الالتصاق والتعلق بذات الرب المقدس - ولعل كلمة استعانة ليست صحيحة أيضًا - فكل عالم الوجود متعلق به ومرتبط وقائم به، ومستند إلى ذاته المقدسة حيث «لو امتنع عن القيام بالعالم لزال وفسد»[1]. هذه هي باء «بسم الله»! لذلك ورد في الروايات أن كل «بسم الله» قد جمعت في بائها، لأنه لولا الباء لن يكون لذلك التعلق والالتصاق والارتباط معنىً. «بسم الله الرحمن الرحيم» هو نفسه ذكر. وليس مقدمة أذكار أخرى ليتصور الإنسان أنه مقدمة لذكرٍ غيره - أي بالاستعانة باسمك

١ | بيت شعر.. بمعنى لو انه تمنع عن دارة السماوات والارض لفسدتا.

أبدأ بهذا العمل – لا، فهو نفسه ذكر مستقل! ففي بعض وصايا الأذكار يوصون بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» كذكر.. إذًا فـ «بسم الله الرحمن الرحيم» هو شرح وعرض وبيان لمعرفة من المعارف الإلهية العظيمة، ثم «الحمد لله رب العالمين»، «الرحمن الرحيم» و«مالك يوم الدين»، كلها من هذا القبيل.

١١٣ - بداية طلبنا وحاجتنا من إله العالم في أول القرآن – في سورة الحمد – من كلمة «إياك نعبد وإياك نستعين»، وفيها معارف عظيمة جدًّا. وقد ورد في التعبير أن المصداق الكبير للاستعانة، هو ما يأتي في الآية الثانية «اهدنا الصراط المستقيم». فكأنّ كل هذه المقدمات هي تمهيد لهذه العبارة «اهدنا الصراط المستقيم». ثم يوضح الصراط المستقيم فيقول «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» ما هو الصراط المستقيم؟ إنه الصراط الذي أنعمه على أشخاص معيّنين.

١١٤ - حسن، لقد أنعم الله على الكثير من الناس. يقول تعالى: ﴿**فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ**﴾[١]. فالله تعالى أنعم على النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وفي مكان آخر يقول: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[٢]. فالله تعالى أنعم على بني إسرائيل وهذا التعبير ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ**﴾ ورد مرتان في سورة **البقرة**؛ وهناك غيره أيضًا، حيث جاء في شخص ﴿**أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ**﴾[٣] هو زيد بن الحارث. بالطبع، فإنّ إنعام الله تعالى على الأشخاص لا يبين شيئًا يمكن للإنسان بواسطته أن يفهم معنى «الصراط المستقيم». لذلك يقال بيننا – نحن طلاب الحوزة – أنه جعل له قيدًا احترازيًّا.

١١٥ - في آية: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ**﴾ فهؤلاء ﴿**الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾ الذين ليسوا موردًا للغضب؛ وتعبير ﴿**غَيرِ**

١ | سورة **النساء**، الآية ٦٩.
٢ | سورة **البقرة**، الآية ٤٧ / ١٢٢.
٣ | سورة **الأحزاب**، الآية ٣٧.

المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ صفة أولى لـ ﴿**الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾**؛ وهي صفة فئة من الناس الذين أنعمت عليهم – وانا أطلب منك أن تجعلني على طريقهم – هي ﴿**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾**. مثلما أن بني إسرائيل قد وقعوا موردًا للغضب؛ ﴿**غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾** التي وردت في القرآن. «ولا الضالين» ولا من الذين ضلوا. لا يكفي أن يكون الله قد أنعم على شخص. ينبغي أن لا يكون الذي أنعم الله عليه موردًا للغضب الإلهي ولا من الضالين أيضًا.

حسن؛ من هم الذين غضب الله عليهم؟ جاء في الروايات أنهم بنو إسرائيل؛ فهم الذين وقعوا مورد ﴿**أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾** وكذلك ﴿**المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾** ولا يريد الله سبحانه منا أن نسلك سبيلهم. كما أن المراد من ﴿**الضَّالِّينَ﴾** أيضًا النصارى؛ وقد صرَّح **القرآن** أنهم ضلوا.

١١٦ - وعليه؛ فلدينا من بين موارد ﴿**الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾** مورد غضب أيضًا. وكذلك لدينا منهم موارد ضلال. متى أصبح الذين ﴿**أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾** مورد غضب الباري؟ لم يكن هؤلاء في البداية من المغضوب عليهم؛ لكن فيما بعد أصبحوا موردَ الغضب. ما الذي حدث حتى أصبحوا كذلك؟ هذا هو عدم الاستقامة؛ عدم المراقبة وعدم الدقة! إنه نتيجة تلك المواقف التي تحرف طريق الإنسان دون أن يشعر وتضله ويرتكب المحذور. على سبيل المثال، لنفترض بعض الوقائع التي حصلت مع النبي موسى عليه السلام مثل خرق القانون في قضية يوم السبت أو لجاجة أصحابه أو كثرة إراقتهم لدماء الأنبياء ﴿**وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ﴾**![1] بالطبع، هذه الأمور حصلت تدريجيًّا؛ ولم يحصل أي منها في البداية [بنحو دفعي] لم يكن الأمر بهذا النحو.

١١٧ - كنت في مشهد في الأعوام (١٩٧١ و١٩٧٢) أفسّر للشباب هذه الآيات من سورة **البقرة**، وكنت قد قرأت وبحثت بشكل مفصل حول بني إسرائيل، ومنها آيات بني إسرائيل ذات الصلة. كان بنو إسرائيل في ذلك العصر من أفضل عباد الله والمختارون من الله على

١ | سورة **النساء**، الآية ١٥٥.

العالمين، وهذا الأمر لا يحصل بسهولة. فهؤلاء كانوا لسنوات طويلة يرزحون تحت نير ظلم فرعون؛ وهم في الواقع واجهوا وصمدوا. فهؤلاء مع وجود الحكومة الفرعونية الجبارة في مصر لم يغيروا سبيلهم وعادتهم تحت ضغط تلك الحكومة التي كانت متحضّرة [متمدنة ومتقدمة عمرانيًّا؟] ومتسلطة وظالمة وكذلك بارعة جدًّا في إدارة أمور البلاد. ومن المعروف أن الحكومة الفرعونية كانت حكومة غير عادية؛ واليوم تظهر بوضوح آثار الفراعنة وإرثهم في التاريخ؛ فبنو إسرائيل مع وجود تلك الحكومة القوية الطاغية لم يبدلوا عاداتهم فما بالك بدينهم! فقد حفظوا دينهم وتمسكوا بتقاليدهم وسننهم وكذلك حافظوا على عنصرهم وسلالتهم.

١١٨ - وأنا هنا أرجّح كون سبب مقولة ﴿**وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**﴾[١] الواردة في الآية الشريفة أنّ الفراعنة والحكومات حينها، أرادوا القضاء على هذا العنصر [العرق]. لم يسمحوا ببقاء استقامة هذا العنصر[٢]، كان هدفهم تخريب النسل والقضاء على هذا الأصل! فكانوا يجعلون نساءهم تحت الجند والعساكر والمرتزقة للقضاء على هذا العنصر! لم يكن لديهم حيلة، وإلا إذا كانت المسألة محصورة في قضية النبي موسى عليه السلام فيكفي أن يقتل الأولاد وليس من الضروري قتل الرجال، كما أن الاحتفاظ بالنساء لا خصوصية له في ذلك ليعتمدوا عليه. فإنّ ﴿**يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**﴾ يعني الحفاظ على النساء وإبقاؤهم - بالطبع ليس بنحو دائم ومطلقًا، بل لفترة، لجيل أو أقل من جيل - لأجل القضاء على النسل، لأنه ظهر لهم أن هذا النسل ثابت قوي مقتدر.

١١٩ - انظروا فهؤلاء كانوا بني إسرائيل. تلك السلالة والعنصر المختار المعاند والمواجه، وهم الصابرون على المصائب؛ كانت السلطة الفرعونية لقرون متمادية تحكم هؤلاء - أظن أنها استمرت أربعة قرون - الذين كان مركزهم بيت المقدس وأتي بهم - أو هم جاءُوا - من مصر منذ زمن النبي يوسف وبقيوا هناك! كانت

١ | سورة **البقرة**، الآية ٤٩.
٢ | عبر سماحة الإمام القائد حفظه الله بـ الاستقامة العرقية أو الاستقامة القومية.

الحكومة حكومة كفر وهؤلاء كانوا من العناصر المؤمنة. فتلك الحكومة قد عملت على تعزيز وحفظ الجيل اليعقوبي والإسحاقي وسننهم وعاداتهم، ولكنّ هؤلاء ضلوا وفسدوا! لماذا؟ لأنهم ما استقاموا [لم يحفظوا الاستقامة] وقد غفلوا عن الهداية إلى الصراط المستقيم. ١٣٧٦/١٢/١٤

نمط الاستقامة

١٢٠ - كان الرسول صلى الله عليه وآله رسول العلم في ذلك المجتمع الخالي من العلم. كان رسول العدل في مجتمع لا تشم فيه رائحةً للعدالة، ويهيمن فيه الأقوياء والجبابرة والزعماء المتعجرفون على أرواح الناس وأموالهم. كان رسول الأخلاق والتسامح والصفح والإنصاف والمحبة في مجتمع عانى شحًّا وقحطًا حقيقيًّا في هذه العناصر. كان مجتمعًا عنيفًا، متجبرًا، خاضعًا لمنطق القوة، بعيدًا عن الأخلاق والمعنوية والعلم، منقادًا للأهواء النفسية والعصبيات الجاهلية وأنواع التكبر الفارغ غير المبرر.

١٢١ - في مثل هذا المناخ المتحجر الصعب، وفي مثل هذا الوضع المتصخر الخالي من أية مياه أو زروع نمت هذه الغرسة طوال ثلاث عشرة سنة، في تلك الظروف العصيبة وانتهت تلك الأعوام الثلاثة عشر بتأسيس حكومة وتشكيل مجتمع يقوم على أساس العلم والعدل والتوحيد والمعنوية والأخلاق والكرامة. أبدل الذلة عزةً، واستبدل العداوة بالأخوة، والعصيبة بالتسامح والتعقل، والجهل بالعلم، وأوجد قاعدة متينة ولبنة محكمة استطاع المسلمون على أساسها ولقرون طويلة أن يتّسم بقمة التحضّر في العالم والارتقاء إلى قمم ومراتب غير مسبوقة في تاريخ الإنسانية.

ولم يستمر أمد هذه الحكومة لأكثر من عشرة أعوام. لاحظوا كم هو ثلاثة عشر عامًا مضافًا إلى عشر سنوات في عمر الأمم. إنها بمثابة لحظة واحدة أو ساعة عابرة. في مثل تلك الفترة القصيرة، ظهرت حركة هائلة يمكن القول إنها شطرت التاريخ إلى مرحلتين: مرحلة

ما قبل الإسلام ومرحلة ما بعد الإسلام. وأخذت بيد الإنسانية إلى الأمام ورسخت دعائم الأخلاق، وتركت للبشرية دروسًا لا تنسى.

١٢٢ - إن الذي ضمن هذه النجاحات هو بالطبع عناصر متضافرة كثيرة، لكن على رأسها هو ذلك العنصر المحكم الراسخ الطافح بالمعنوية والنقاء ومعرفة الخالق والاتكال عليه، أي وجود الرسول صلى الله عليه وآله نفسه. كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أعلم أهل مكة وأعقلهم. كان قبل البعثة أكرم الناس في تلك المنطقة وأشرفهم وأحسنهم أخلاقًا. وقد شمل اللطف الإلهي هذا الإنسان المميّز بين أولئك الناس وألقيت تلك الأعباء على عاتقه، فقد اختبره الله، وكان الله يعرف عبده ويعلم على عاتق من يضع هذا العبء، صمد الرسول واستقام. وقد أضحت هذه الاستقامة، التي ترافقت مع المعرفة العميقة بالهدف الذي يتحرك نحوه والطريق الذي يسلكه، سندًا وعونًا لكل خطوات التطور والتحول التي قطعها الرسول ولازدهار هذه الحركة العظيمة. نعم، الحق منتصر ولكن بشروط. وإن شرطا انتصار الحق : الدفاع عن الحق؛ والاستقامة في طريق الحق...

١٢٣ - في الطور الأول من البعثة، وبعد مضي ثلاث سنوات أو أكثر - حيث كانت الدعوة سرية - استطاع الرسول صلى الله عليه وآله أن يجتذب للإسلام ثلاثين أو أربعين شخصًا. وبعد ذلك جاء الأمر الإلهي: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾[1]. أعلن دعوتك وانزل إلى الساحة وارفع الراية واجعل عملك علنًا. نزل الرسول إلى الساحة وحدث ما تعرفونه حيث دبّ الرعب في قلوب أكابر قريش وصناديدها وأثرياء ذلك المجتمع وأقويائه. وإن أول شيء فعلوه هو تطميع الرسول الأكرم. جاءوا لسيدنا أبي طالب وقالوا له إذا كان ابن أخيك يريد الزعامة جعلناه زعيمًا مطلقًا، وإذا أراد الثروة أعطيناه منها ما يجعله أثرانا، وإذا أراد أن يكون ملكًا اخترناه ملكًا علينا، ولكن قل له ليقلع عن كلامه هذا.

١ | سورة **الحجر**، الآيتان ٩٤ - ٩٥.

وكان أبو طالب يخاف على حياة الرسول ويتوجس من مؤامراتهم ضده، فجاء إلى الرسول وروى له رسالة أكابر مكة، وربما نصحه وأوصاه بأن يتنازل بعض الشيء: لماذا الصمود والإصرار إلى هذه الدرجة؛ هذا غير ضروري. فقال الرسول: والله يا عم لو وضعت الشمسٍ في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه»[1] وجاء في الرواية أيضًا: «ثم أغرورقت عيناه من الدمع».. فاضت العيون المباركة للرسول بالدمع ونهض من مجلسه. وحين شاهد أبو طالب هذا الإيمان والثبات تغيّرت حاله بشدة وقال: «يا بن أخي اذهب وقل ما أحببت».. سر وراء هدفك وغايتك. «والله لا أسلمنّك بشيء».

١٢٤ - **هذا الصمود يصنع صمودًا**. وهذه الاستقامة من الرسول ثبّتت جذور الاستقامة لدى أبي طالب. وهذا الالتزام بالهدف وعدم تهيّب العدو، وعدم الطمع بما في أيدي الأعداء، وعدم الانسداد للامتيازات التي يريد أن يمنحها الأعداء مقابل إيقاف هذه الحركة، تخلق صمودًا وسكينة وثقة بالطريق وبالهدف وبالإله الذي يتعلق به هذا الهدف؛ لذلك استطاع المسلمون، وهم يومئذ ليسوا أكثر من ثلاثين أو أربعين شخصًا، أن يثبتوا مقابل كل تلك المشاكل والصعاب ويزداد عددهم يومًا بعد يوم. فقد كانوا يشاهدون في مكة ما يصنع المشركون بعمارٍ وبلالٍ وكيف يعاملون سميةَ وياسرًا ويعذبونهما ويقتلونهما. كانوا يرون كل هذا ومع ذلك يؤمنون برسالة النبي. هكذا، هو تقدم الحق. لا يتقدّم الحق في محض ظروف الدعة والراحة والأمن والأمان، ولا ترفع رايته والمناداة به في محض الظروف الطيبة[2]. يتقدم الحق حينما يبدي صاحب الحق وأتباعه الاستقامة والثبات في طريق تقدم الحق.

١٢٥ - تقول الآية القرآنية: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾. ليس معنى أشداء على الكفار أن يكونوا في

١ | في رواية أخرى: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي لأعرض عن هذا الأمر لا أفعله حتى أظهره الله أو يذهب بما فيه».

٢ | أو بصيغة اخرى: لا يتقدم الحق فقط وبمجرد توفر حالة الدعة والأمن ورفع رايته والمناداة به..

حالة حرب دائمة مع الكفار. ﴿**أَشِدَّاء**﴾؛ الشدة هنا تعني المتانة والصمود وعدم الانهيار. ثمة معدنٌ يصدأ ويتآكل ويُنخر ويتلف. وثمة معدن لا يتآكل ولا يصدأ ولا يتهرأ رغم تقادم القرون عليه. هذا هو معنى ﴿**أَشِدَّاء**﴾. الشدة معناها القوة والمتانة. فتارةً تكون القوة والصلابة في ساحة الحرب فتبرز بشكل معين؛ وقد تكون في ساحة الحوار [والمحاججة] مع العدو فتبرز بشكل آخر. لاحظوا كيف كان الرسول يتحدث مع عدوه في الحروب حينما كان يجب عليه أن يتحدث. كانت خطة النبي حينها زاخرة بالصلابة والثبات في كل مفاصلها وأجزائها[1]. في معركة الأحزاب، دخل النبي في حوار مع الطرف المقابل، ولكن أي حوار؟! اقرأوا التاريخ. فإذا ما كانت ثمة معركة فكانت بشدة وصلابة؛ وإذا كان ثمة حوار كان مع الشدة؛ وإذا كان ثمة تعامل مع شدة وصلابة. هذا هو معنى ﴿**أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ**﴾.

١٢٦ - ﴿**رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾ أي إذا كانوا فيما بينهم [مع بعضهم] كانوا مرنين أودّاء ليّني الجانب بعيدين عن الشدة والصلابة. فهنا التعاطف وبذل القلوب وكسبها، وهنا ينبغي التعامل بودّ ورأفة وإظهار التعاطف والرحمة.

١٢٧ - إن الصمود الذي ظهر في بداية البعثة قد أنتج تلك الاستقامة العجيبة ثلاث سنوات في شعب أبي طالب. ليس هذا مزاحًا. بقيوا ثلاث سنوات في وادٍ بجوار مكة بلا ماء ولا نبات وتحت الشمس المحرقة. فقد عاش الرسول وأبو طالب والسيدة خديجة، وكل المسلمين وأُسَرِهِم في هذا الشعب بين الجبلين. وقد سدّوا عليهم الطرق والمنافذ كي لا يصلهم طعام.

أحيانًا كان بوسعهم أن يدخلوا المدينة في أيام الموسم – والتي كانت أيامًا حرة لا حرب فيها حسب العادات الجاهلية – لكن بمجرد أن يهموا بشراء شيء من حانوت كان أبو جهل وأبو لهب وسائر زعماء مكة يبثون عملاءهم وخدمهم وأبناءهم ويأمرونهم أن يدفعوا ضعف

١ | بمعنى كان موقف النبي ثابتًا صلبًا راسخًا من أوله إلى آخره أو من ألفه إلى يائه.

الثمن للشيء الذي يريد المسلمون شراءه كي يمنعوهم منه. لقد أمضوا ثلاث سنوات في مثل هكذا أوضاع قاسية. فهل هذا هزل؟

إنها الاستقامة الأولى وذلك العمود الصلب للخيمة، و«القلب المتوكل على الله» الذي أوجد مثل تلك الصلابة في هذه الأجواء وأهّل الجميع للصبر والصمود! كان الأطفال يبكون من شدة الجوع من الليل إلى الصباح وكانت أصوات بكائهم تصل مسامع كفار قريش من شعب أبي طالب وكانت قلوب الضعفاء منهم ترق لحالهم لكنهم لا يجرأون على مساعدتهم خوفًا من الأقوياء. لكن المسلمين وهم يرون أبناءهم يتلوّون أمامهم لم يتزلزلوا أبدًا؛ وكم قد ذاقوا طعم الموت والمرض والجوع في الشعب وفي موضع آخر. يقول الإمام علي لابنه العزيز محمد بن الحنفية حين أعطاه الراية يوم الجمل: «تزول الجبال ولا تزل»[1]. إنها نصيحة الرسول ووصيته من أجل أن يبقى المرء صلبًا ولا تتزلزل عزيمته، وهذا هو سبيل نهضة الأمة الإسلامية وبعثتها. إنه درس الرسول لنا. هذا ما تُعلمنا إياه البعثة.

١٢٨ - إن الجلوس والحديث عن آيات القرآن وهبوط جبرائيل وبعث النبي بالرسالة وأن نفرح ونسرّ لأن قد آمن فلان ولم يؤمن فلان، فهذا لا يعالج مشكلة. المسألة هي أن نستلهم الدروس من هذه الحادثة التي هي أم كل الأحداث في فترة حياة الرسول المباركة. كل هذه الأعوام الثلاثة والعشرين دروس.

ذات مرة قلت لبعض الأصدقاء إن علينا دراسة حياة الرسول بالملّيمتر (ملم). كل لحظة في حياته حدثٌ ودرسٌ وتجلٍّ إنسانيّ عظيم. وهكذا هو الحال بالنسبة لكل هذه السنوات الثلاثة والعشرين. ليقرأ شبابنا تاريخ حياة الرسول من المصادر الموثوقة ويروا ما الذي حدث.

إن أمةً بهذه العظمة قد ظهرت إلى الوجود – واليوم أيضًا تكمن أفضل المقولات وأفضل الحلول والسبل، وأفضل الدروس، وأفضل

١ | نهج البلاغة، الخطبة ١١.

الوصفات العلاجية للبشرية في منظومة الأمة الإسلامية – ظهرت بهذا الشكل ونمت وتجذّرت. وإلّا لن نتقدم إلى الأمام لمجرد أن الحق معنا. الحق مع الاستقامة. ١٣٨٦/٥/٩

الاستقامة الحسينية والاستقامة الخمينية

١٢٩ - ثمّة نمطان من النصر: نصر يلمسه الإنسان بنفسه؛ ومن مصاديقه: إقامة الحكومة والقضاء على أعداء الثورة وهذا ما شاهده الإمام (قدس سره) بأمّ عينه، والنصر الآخر يتّسم بالثبات والديمومة – وهو أكثر أهميّة من النوع الأول – أي أن ينتصر الخط والفكر والمنهج. وهذا هو النصر الذي ناله الأنبياء – في نهاية الأمر – مع ما تحمّلوه في حياتهم من مرارة وعذاب.

وهذا النصر عبارة عن غلبة فكر وعقيدة ومنهج رجل عظيم ومفكّر، وهذا النصر ناله الإمام أيضًا. وإنّ دوام ذكراه وتجدد انعقاد مثل هذا الاجتماع [الحشد الجماهيري][1] في كل عام وبهذه الدرجة من الحماس، يصبّ في إطار هذا المعنى.

١٣٠ - أود هنا عرض موضوع بشأن نهضة إمامنا الكبير باعتباره حاملَ درس لنا، وأدعو ذوي الفكر والرأي السياسي وأصحاب النظر في المسائل الكبرى أن يدرسوا هذا الموضوع ويشبعوه بحثًا.

أنتم على وعي بأنّ لحركة الإمام (قدس سره) أوجه شبه كثيرة بالنهضة الحسينيّة، وتُقارب أنْ تكون صورة مستقاة منها ونموذجًا مستخلصًا عنها. ومع أنّ الحركة الأصلية – أي حركة الإمام الحسين عليه السلام – قد انتهت باستشهاد الإمام الحسين وجميع أتباعه وجميع رجالها؛ فيما آلت حركة الإمام الخميني إلى انتصار الإمام؛ إلاّ أنّ هذا لا يعدّ فارقًا جوهريًّا لأنّ للحركتين مضمونًا واحدًا وفكرًا واحدًا، وكلتاهما محكومتان بسياق ومشروع واحد. ولكن أدى تفاوت المقتضيات إلى أن يؤول مصير تلك إلى استشهاد الإمام الحسين

١ | مخاطبًا الحشود المليونية في الذكرى السنوية الثامنة لرحيل الإمام الخميني قدس سره.

عليه السلام، بينما خُتمت هذه بقبض إمامنا لزمام الحكم. وهذا على العموم أمر جلي وواضح. من جملة الخصائص البارزة في كلتا الحركتين هو جانب «الاستقامة» وهذه الكلمة لا ينبغي المرور على مغزاها مرور الكرام لأنّها على قدر كبير من الأهمية.

١٣١ - الاستقامة في فكر الإمام الحسين عليه السلام ونهجه تعني العزم والتصميم على عدم الانصياع ليزيد وحكمه الجائر. ومن هنا، انطلقت المواجهة وبوادر التصدّي: عدم الاستسلام لحكومة فاسدة حرفت نهج الدين بالكامل. بهذه النيّة، سار الإمام من المدينة، لكنه في مكة حينما لمس وجود الناصر قرن مسيرته تلك بالعزم على الثورة. وإلاّ فالجوهر الأصلي لموقفه المعارض هو الوقوف بوجه حكومة لا يتأتّى قبولها أو تحملها[1] وفقًا للموازين الحسينية. ١٤/٣/١٣٧٥ - ١٤/١/١٤١٧

١٣٢ - فكيف تجلّت استقامة الإمام الحسين عليه السلام؟ هل إن استقامته هي في المعركة؟ حسن؛ الجميع يثبتون في الحرب؛ فالذين يخوضون غمار المعركة لا بدّ أن يثبتوا - وقد يكونون من أصحاب الباطل - . فكل الحروب في العالم؛ وكل الذين يذهبون إلى ميادين الحرب ويُقْتَلُون ولا يتزحزحون عن مواقعهم خطوة واحدة؛ فهذه أيضًا استقامة! ليس هذا المقدار والمستوى من الاستقامة هو ما فعله وقصده الإمام الحسين وسيد الشهداء! ينبغي الذهاب إلى الاستقامات الحسينية الخاصة.

١٣٣ - كان لدى الإمام الحسين هدفٌ نيّر واضح؛ لكن الآخرين[2] كانوا يشككون بهذا الهدف الواحد تلو الآخر. وهؤلاء لم يكونوا من عامة الناس؛ كانوا من شخصيات الدرجة الأولى في عالم الإسلام؛ مثل: عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس؛ أشخاص لو طالعتم اليوم تاريخهم لرأيتم أنهم على قدر كبير من الشأن في عالم الإسلام.

١ | أو: غير مقبولة ولا يمكن تحملها وفقًا للموازين الحسينية.
٢ | من الصحابة والوجوه.

١٣٤ - وهؤلاء كانوا يلتقون الإمام الحسين عليه السلام الواحد تلو الآخر، ويناقشونه في هذا الهدف ويشككون فيه[1]! قالوا له: أيها السيد! ما هو الدليل على أن هذا اليوم هو اليوم الذي يجب عليكم أن تذهبوا وتقفوا في وجه يزيد؟ وعددوا شواهد كثيرة لإثبات نظريتهم بحيث كانت تهزّ من يسمعها!

قالوا له: أنت كابن النبي اذهب وبلّغ الأحكام الإلهية؛ أليس هذا أفضل لك من أن تُقتل؟ أليس الأفضل أن تبقى حيًّا، - تحدّث وتبين الأحكام وتعظ؟ - من أن تُقْتَلْ ثمّ يأتي ذلك الرجل الظالم وينشد الزغاريد والأشعار على قبرك ويبدّل كلماتك؟ وإذا مدّ الله تعالى في عمرك ٢٠ سنة أخرى؛ ففي هذه السنوات سيكون حجم المعارف التي ستبينها عظيمًا وكبيرًا؛ وهذا أفضل من ذاك!

١٣٥ - انظروا، ليس من السهل أبدًا ان يخلّص الإنسان نفسه من ورطة هذه إشكالات ومصيدة هذه التشكيكات!

كانوا يقولون للإمام عليه السلام: الآن وقد عزمت على الرحيل؛ ارحل؛ في ختام المطاف سَتَرِدْ ميدان الجهاد وتبرز إلى القتل؛ لكن إلى أين تأخذ هذه النسوة وأولئك الأطفال؟ كيف ستكون عليه الحال؟ لماذا تذهب وتضع الناس على المذبح؟ لماذا تذهب إلى الكوفة؟

١٣٦ - نعم؛ هذه الإشكالات ترتعد لها فرائص الإنسان. لقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام وفهم حجم ومدى صعوبة القضية. قالوا له: حسن؛ أيها الإمام، عد وبايع يزيدًا. في النهاية قم وبايع؛ أأنت أفضل من الإمام الحسن عليه السلام! ما هي الموجبات والأسباب التي تدفعك لأن تذهب وتضع نفسك في هذه المعركة الكبيرة؟!

١٣٧ - لقد واجه الإمام الحسين عليه السلام هذا النوع من الشبهات

١ | مناقشة عبد الله بن الزبير مع ابي عبد الله الحسين عليه السلام: **شرح الأخبار**، الجزء ٣، الصفحة ١٤٣؛ **الكامل**، الجزء ٤، الصفحة ٣٨؛ **بحار الأنوار**، الجزء ٤٤، الصفحة ٣٦٤. مناقشة عبد الله بن جعفر مع ابي عبد الله الحسين: **الفتوح**، الجزء ٥، الصفحة ٦٧؛ **الإرشاد**، الجزء ٢، الصفحتان ٦٨-٦٩.

والإشكالات بشكل مستمر ومتواصل[١] – من حين خروجه من المدينة وحتى لحظة وصوله إلى مكة وإلى أن وصل إلى كربلاء، ومن لحظة وروده كربلاء وإلى يوم عاشوراء – من قبل شخصيات عاقلة لها شأنها، وناقشته بخلفية العقل المدبّر الناظر إلى المصالح وهو ليس غريبًا أبدًا عن العناصر القيمية!

في ذلك الوقت، وقف الإمام الحسين عليه السلام أمامهم ثابتًا – وهو الشخصية المجسّدة للقيم – ؛ أي أنه لم ينسَ الهدف، ولم تدفعه هذه الكلمات إلى ترك الخط المستقيم الذي يعرفه هو؛ وهم لا يعرفونه[٢].

١٣٨ - فالإمام الحسين عليه السلام وقف أوّل الأمر بوجه هذه الحكومة، في وقتٍ لم تكن المشاكل قد برزت بعد، ثم غدا يواجه المشاكل الواحدة تلو الأخرى. فكانت مسألة الاضطرار للخروج من مكة، ثم اندلاع المعركة في كربلاء وما تلاها من الضغوط التي تعرّض لها في تلك الواقعة.

أحد الأمور المهمة التي تعترض سبيل المرء في المواقف الكبرى هي الأعذار الشرعية. فالفروض أو التكاليف توجب على الإنسان أن يؤدّيها، ولكن حينما يستلزم مثل هذا العمل وقوع إشكال كبير – كأن يقتل فيه على سبيل المثال أشخاصٌ كثيرون – هنا يشعر المرء أنّه لم يعد مكلّفًا.

كما إنّ الأعذار الشرعية التي تتالت في وجه الإمام الحسينعليه السلام كانت كفيلة لصرف أي إنسان سطحيّ الرؤية عن هذا السبيل؛ فقد واجه أولًا نكول أهل الكوفة ومقتل مسلم بن عقيل. وهنا كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يقول: إنَّ العذر بات شرعيًّا وقد سقط التكليف، فأنا كنت عازمًا على عدم البيعة،

١ | **الطبقات الكبرى**، الجزء ١، الصفحات ٤٤٤-٤٤٧؛ **أنساب الاشراف**، الجزء ٣، الصفحة ١٦٣؛ **تاريخ الطبري**، الجزء ٤، الصفحات ٢٥٣، و ٢٨٦-٢٨٧؛ **مروج الذهب**، الجزء ٣، الصفحة ٦٧؛ **مناقب آل أبي طالب**، الجزء ٣، الصفحات ٥٦ و٦٠؛ **دلائل الإمامة**، الصفحة ١٨٢؛ **مقتل الحسين**، الخوارزمي، الجزء ١، الصفحات ٢٧١-٢٧٣؛..

٢ | في لقاء أعضاء الشورى المركزية، الجهاد الجامعي، ١٣٧٦/١٠/٨. (١٩٩٧/١٢/٢٩). =

ولكن تبيّن لي أنّ موقفًا كهذا لا يمكن الاستمرار عليه في مثل هذه الأوضاع والظروف، والناس لا طاقة لهم على التحمّل. إذن، فالتكليف ساقط وأنا أبايع مكرهًا.

١٣٩ - المرحلة الثانية هي واقعة كربلاء بذاتها، حيث كان بمقدور الإمام الحسين عليه السلام عند مواجهة ذلك الموقف أن يتصرف على شاكلة الإنسان الذي يحلّ معضلة المواقف الكبرى بمثل هذا المنطق ويقول: إنّ هؤلاء النسوة والصبية لا قبل لهم بتحمل هذه الصحراء المحرقة، وعلى هذا فالتكليف مرفوع. فيميل نحو التسليم ويقبل بما لم يكن قبله حتى ذلك الحين. أو حتى بعد اندلاع القتال في اليوم العاشر واستشهاد ثلة من أصحابه، فهناك تكاثرت عليه المصائب وبات بإمكانه التذرع بأنَّ القتال لم يعد ممكنًا، ولا إمكانية للاستمرار، ولا محيص من التراجع. أو حينما تكشّف للإمام الحسين عليه السلام بأنّه سيستشهد، ومن بعد استشهاده ستبقى حُرَم الله وحُرَم النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام بيد الرجال الأجانب. وهنا، يعرض له موضوع الشرف والعرض. وكان له - باعتباره إنسانًا ذا غيرة - القول بارتفاع التكليف: لأنني إذا واصلت هذا الطريق وقُتِلتُ فإنَّ النساء من آل الرسول وبنات أمير المؤمنين وأطهر نساء الإسلام سيقعن سبايا بيد الأعداء من الرجال الذين لا أصل لهم ولا فصل ولا يفقهون شيئًا من معاني الشرف والغيرة؛ إذن فالتكليف مرفوع.

١٤٠ - لو شاء الإمام الحسين عليه السلام النظر إلى بعض الحوادث شديدة الألم والمصائب المرة كحادثة استشهاد ابنه «علي الأصغر» وسبي النساء وعطش الصبية ومقتل الشبان وغيرها من الحوادث الأخرى المروّعة في كربلاء، بمنظار المتشرّع العادي ويتغاضى عن عظمة دوره ورسالته، كان باستطاعته التراجع خطوة بعد خطوة، ثم يقول سقط التكليف عني، والآن لا مناص من مبايعة يزيد، وإنّ «الضرورات تبيح المحظورات». إلاّ أنّه عليه السلام لم يتصرف على هذه الشاكلة. هذه هي استقامة الإمام الحسين عليه السلام وهذا هو معنى الاستقامة.

ليست الاستقامة بمعنى تحمّل المشاكل في أي موضع كان، لأنّ تحمّل المصائب بالنسبة للإنسان الفذ العظيم أيسر من تحمل المسائل التي تبدو في المقاييس – المقاييس الشرعيّة والعرفيّة والعقليّة البسيطة – خلافًا للمصلحة، وإن تحمّلها أصعب من تحمّل سائر المصائب. ١٣٧٥/٣/١٤

١٤١ - افرضوا أنهم عرضوا القضية على الإمام الحسين عليه السلام على الشكل التالي: تريد أن تجاهد في سبيل الله، هذا جيد جدًّا، تريد مواجهة يزيد، بالطبع هذا جيد أيضًا، تريد أن تضحي بنفسك، وأنت مستعد وحاضر، هذا جيد جدًا، لكن ذلك الطفل ذي الستة أشهر الذي كان يتململ من شدة العطش، بأي مقياس ودليل يظهر على هذا النحو؟! قل كلمة وأرح هذا الطفل!

لاحظوا، فالاستقامة تظهر وتتجلى على هذا النحو، أي عندما تعترض طريق الإنسان فجأة مسألة، يمكن أن تجعله،حتى الفذ والفطن[1]، عرضة للشك والتردد. ١٣٧٥/٣/١٤

١٤٢ – نشاهد في الأفلام ونقرأ في القصص أنه عندما يهاجم العدو ويقتحم، تدبّ الحمية ويبادر أي شخص عادي يصيبه الحماس [والغيرة] ويتوجه ليقاتل العدو. فهل كل هؤلاء من المقاتلين في المعارك والحروب التي وقعت طوال التاريخ الذين برزوا لقتال أعدائهم وثبتوا إلى أن قتلوا نوابغ؟ لا، فهؤلاء من الناس العاديين. فليس كل ذلك الحماس والحمية نبوغًا، سواء ما يأتي دفعة واحدة وينتهي أو ما يستمر أو كل ما يأتي بتبعه.

ليس هذا النوع من الاستقامة هو ما نذكره في حق الإمام الحسين عليه السلام. فاستقامة الإمام الحسين عليه السلام هي في محلّ آخر. إذ ليس المقصود من استقامته عليه السلام في يوم عاشوراء، أن يتلقى السيوف لتبلغ جراح جسده الشريف سبعين جرحًا ونيفًا[2].

١ | في لقاء قادة ومسؤولي الحرس الثوري،١٣٧٦/١٢/١٤ – ١٩٩٨/٣/٥.
٢ | **تاريخ الطبري**، الجزء ٤، الصفحة ٣٤٦،**الأمالي**، الطوسي، الصفحات ٦٧٦–٦٧٧، **بحار الأنوار**، الجزء ٤٥، الصفحة ٥٧.

ليست هذه من نوع الاستقامة التي ننشدها وللإمام الحسين العظيم عليه السلام. أجل! فكل جندي شجاع باستطاعته القيام بمثل هذا العمل.

١٤٣ - إن استقامة الإمام الحسين هي كما ترون في عمله، تكمن [في أنه مقبل] على طفل كعلي الأصغر مفتق النحر من شدة العطش، وعند سيدة مبجلة كزينب عليها السلام تُضرب بسياط عتاة الكوفة، تخرج أسيرة، يسلبونها جلبابها وحجابها وربما حليها وقلائدها! فكر في ذلك! هل بإمكانك لو كنت في هذا الموقف، وقالوا لك: «حسنٌ جدًّا! أنت شجاع، تريد الجهاد والمواجهة، لك ذلك، لكن انظر بأي ثمن وقيمة!» فكم سيكون بمقدورك أن تظهر من الاستقامة؟ هنا في هذا الموقف بعينه تعرف الاستقامة الحسينية.

الاستقامة الحسينية هي أنه عندما يُعرف الهدف ويُشخّص ويقيّم ويعلم مدى قيمته وعظمتها فيصمد من أجله، في الوقت الذي ترتعد فرائص الأشخاص العاديين وأصحاب الكرم والشجاعة والنخوة وكرام الناس. لو كان هناك شخص آخر مكان الإمام الحسين عليه السلام لوقف وقال: أنا في النهاية مستعد للتضحية بنفسي في هذا الطريق، لكن هنا في هذه الصحراء وفي هذا العطش، كيف لي الوقوف وفي البين طفل رضيع وسيدة مكرمة؟![1].. ١٣٧٧/٢/٢٨

١٤٤ - تارة يقال للمرء: لا تسلك هذا الطريق لأنك قد تتعرض للتعذيب والألم. فالإنسان القوي يقول: إني سالك هذا الطريق! ولا ضير في ذلك. وتارة يقال لآخر: لا تسلك هذا المسلك لعلك تُقتل. ترى الإنسان الفذ يقول: إنّي سالكه ولا أبالي بالقتل. ولكن تارة أخرى قد لا يقتصر الحديث على مجرد القتل والتعذيب والحرمان، بل يقال: لا تذهب، فقد يُقتل على أثر حركتك هذه عدد من الناس. وهنا، يُعرض على بساط البحث موضوع أرواح الآخرين، فيقال له:

١ | كلمته في لقاء الهيئة المشرفة على إقامة مراسم ذكرى رحيل الإمام الخميني، ١٣٧٧/٢/٢٨- ١٩٩٨/٤/١٨.

لا تَسِر في هذا الطريق، فمن المحتمل أن يواجه الكثير من النساء والرجال والأطفال مصاعب جمّة وعنتًا كبيرًا من جرّاء مسيرك هذا، وإن أرواح الناس هنا على المحك. هنا ترتعد فرائص الذين لا يبالون بالقتل [المقبلون على الموت، فكيف بغيرهم]، أمّا الذين لا ترتعد فرائصهم، فهم أوّلًا: في أعلى درجة من البصيرة وعلى بيّنة من ضخامة العمل الذي يؤدونه. وثانيًا: لهم من قوة النفس [الصبر] ما لا يتسرب الوهن إليها. وهاتان الميزتان تجلّتا في شخص الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. لذلك كانت واقعة كربلاء كشمس سطعت في دياجي التاريخ، وهي ما انفكّت ساطعة وستبقى كذلك أبد الدهر[١].

١٤٥ - وما أريد الوصول إليه هنا هو: أن إمامنا الخميني الكبير قد حذا حذو الإمام الحسين عليه السلام في هذه الخاصيّة[٢] بنحو تام. لذلك نجحت خصوصية الإمام هذه؛ أولًا في إيصال الثورة إلى شاطئ النصر، وثانيًا أصبحت فيما بعد سببًا في ضمان انتصارها وديمومتها بعد رحيله، انتصار فكره ونهجه.

إنّ انتصار فكره ونهجه الذي يتجلى في اجتماعكم الحاشد هذا، له انعكاس أوسع على مستوى العالم ويتمثّل في توجّه الشعوب إلى الإسلام وإلى خط الإمام (قدس سره). وهذه الانتصارات إنّما هي ثمرة الاستقامة.

١٤٦ - في أحد الأيام، قالوا للإمام: إذا ما واصلت هذه النهضة فسيغلقون الحوزة العلميّة في قم. وهنا لم يقتصر الحديث على القتل لكي يقول الإمام: لا أبالي بالقتل، فالكثيرون على استعداد للتضحية بأنفسهم، ولكن حينما يقال إنّ عملك هذا قد ينتهي بإغلاق حوزة قم، ترتعد فرائص الجميع، لكن الإمام لم ترتعد فرائصه ولم ينثنِ عن مساره بل تابع طريقه.

ثم إنّهم قالوا له في يوم آخر: إذا أكملت هذا الطريق فسيثيرون

١ | كلمته في جموع غفيرة من زوار مرقد الإمام الخميني، ١٣٧٥/٣/١٤ ش.
٢ | أو: في هاتين الخصوصيتين حسب السياق السابق.

ضدك كبار العلماء والمراجع، ومعنى هذا إيجاد الاختلاف في العالم الإسلامي.

في مثل هذا الموقف، ترتعد فرائص الكثيرين، إلاّ الإمام لم يرتعب أو يهتز واستمر في مسيرته حتّى لحظة انتصار الثورة.

قيل للإمام مرّات ومرّات: إنّك تحثّ الشعب الإيراني على الوقوف بوجه النظام البهلوي، فمن المسؤول عن هذه الدماء التي تُراق؟ أي أنهم وضعوا في رقبته الدماء، دماء الشباب. ١٣٧٥/٣/١٤ ١٤١٧/١/١٤

١٤٧ - بعد واقعة الخامس عشر من خرداد[١]، حينها قال لي أحد المراجع الكبار البارزين: «يا فلان! من يتحمل مسؤولية دماء شهداء الخامس عشر من خرداد؟» كان دليله أن غير المكترثين ضعاف النفوس والإيمان لا يقفون بوجه العدو! فالذين نزلوا إلى الشوارع هم خيرة شباب بلادنا وقد قدمناهم قرابين على مذبح القتل! أفهل هذا صحيح؟! وفي هذا المقام، يحسن قول «ازدادت الأوحال لتنزلق الأفيال»[٢] انظروا ولاحظوا، هنا يفهم الإنسان قيمة الإمام رضوان الله عليه وكم هو أعظم من الجميع! قلت في نفسي: «نعم، الفرق بين إمامنا وأنت هو هذا الأمر بالذات»، «استقامة الإمام» تعني هذا! بمعنى أن الاستقامة تبرز وتكون في أدق اللحظات وأكثرها حساسية وعندما يتخلى الأصدقاء عن رفيقهم فيشعر أنه وحيدًا فريدًا، هنا الاستقامة! قال الإمام ذات مرة: «لو تركني الشعب الإيراني كله وبقي الخميني وحيدًا سيبقى صامدًا» وقد أعلن الإمام ذلك صراحة! وهذا ما أثمر الاستقامة لدى الناس بتبعه، وجعل اللامبالين مهتمين وضعيفي الإيمان مؤمنين. إذا ما أردنا الاستمرار في هذا الطريق فلن يتم ذلك من دون الاستقامة وهي ستكون الشعلة ذاتها ونقطة التحوّل. ١٣٧٧/٢/٢٨

١ | ١٥ خرداد (١٣٦٣ش) الموافق للعام ١٩٦٣م.

٢ | من بيت شعر لسعدي الشيرازي الشاعر المعروف وهو: سئل أحدهم لما لا تنزل المدن . فقال إنها مليئة بالوجوه المليحة (أي يخاف النزول خشية الغواية).. وبقية الشعر: انزلقت الأفيال في كثرة الأوحال..

١٤٨ - في العام ١٣٤٢ ش [١٩٦٣] بعد أن خرجت من السجن – ولعله قد مضى على حادثة الخامس عشر من خرداد عام ١٣٤٢ستة إلى سبعة أشهر – ذهبت إلى أحد كبار المراجع، كان ودودًا ولطيفًا جدًّا ويظهر أنه لم يكن راضيًا عن هذه الحادثة. من جملة الكلمات التي ذكرها أنه «قُتل في الخامس عشر من خرداد [عندما قام الإمام بحركته تلك] خيرة شبابنا» وكان دليله وتوضيحه لهذا الأمر حيث قال «إن فئة من الناس هم من الشباب، والشباب هم أفضل الناس، لأنهم أهل نشاط وعمل، وبين فئة الشباب جمع متدين وآخر غير متدين. وأفضلهم المتدينون، ومن بين هؤلاء المتدينين فئة من أهل النخوة والشجاعة وفئة أخرى غير ذلك، وإن الذين أُريقت دماؤهم في الخامس عشر من خرداد كانوا من فئة الشباب المتدينين ذوي المروءة والشجاعة. كم عدد هؤلاء في بلدنا؟ لقد قتلوا جميعهم!»

لاحظوا، بعد سنتين من هذه الحادثة تحمّل هذا الشخص بصعوبة بالغة وبشق الأنفس قدرًا من المواجهة ومواصلة النضال، ثم بعد ذلك ودّع النضال وانزوى إلى آخر عمره! فالشك والترديد بالنسبة للكبار هو من هذا القبيل. ١٣٧٦/١٢/١٤

١٤٩ - هكذا كان نمط التفكير حينذاك. ولا ريب أنّ هذا التفكير يؤدي إلى إيجاد الضغوط التي قد تصرف أيّ شخص عن هذا الطريق وعن مواصلة التحرك. إلاّ أنّ الإمام (قدس سره) استقام. وفي أمثال تلك المواقف كان يُلاحظ سمو روحه وعظمة بصيرته. ١٣٧٥/٣/١٤

١٥١ - ما يعدّ درسًا لنا هو ما يرجع إلى الفترة التالية لانتصار الثورة الإسلامية، إذ يجب على الجميع الالتفات إلى هذه النقطة. وكما ذكرت ينبغي للعلماء والمفكرين والمحللين السياسيين، ومن لديهم القدرة على التحليل، أن يدرسوا هذه النقطة لأنّها مهمّة حقًّا.

حسنٌ، لقد قامت الجمهورية الإسلامية. وكانت المواجهة حتّى ذلك اليوم مع النظام الشاهنشاهي، وقد اتّسع نطاقها، وتبدّلت صيغتها

بُعيد إقامة النظام الإسلامي وتأسيس الجمهورية الإسلاميّة. أمّا اتساع نطاقها، فقد ابتدأ منذ أن أفصح الأعداء العالميون علنًا عن وقوفهم بوجه نظام الجمهورية الإسلامية. هؤلاء الأعداء هم من نسميّهم بالاستكبار العالمي، الذي يشمل جميع القوى المتغطرسة والمتجبّرة في العالم، وجميع الوجوه الوقحة المتسلطة على الشعوب. هذا هو الاستكبار العالمي.

ولكن لماذا بدأوا يواجهون الجمهورية الإسلاميّة؟ وخلاصة الجواب عن هذا التساؤل أنّهم رأوا الخطر محدقًا بمصالحهم وتوجّهاتهم التوسّعية، وأنّ الحضور المعنوي والفكري للجمهورية الإسلامية في البلدان الإسلامية يهدّد هيمنتهم على تلك البلدان، وما شابه ذلك من الأسباب. وعلى كل حال، فقد بدأوا بمواجهة صعبة وشديدة.

١٥٢ - وكانت الخطوات تتوالى بحيث لو أنّ إنسانًا ضعيفًا كان في موقع الإمام رضوان الله عليه، في أيّة خطوة من خطوات تلك المواجهة، لبادر لإيقاف تلك الحركة انطلاقًا من وجود العذر والمانع، ولقال: لا يمكن مواجهة الاستكبار الذي يحوز على هذا الشأن من القوّة والمقدرة، وأنّه لا مفر لنا من التراجع مكرهين. إلاّ أنّ الإمام لم يتراجع.

١٥٣ - حتى تتّضح أهمية هذه القضية، لاحظوا المقاطع الثلاثة التالية منها وهي:

بدايةً: الهجوم السياسي الشامل ضد إيران: فجميع الأجهزة الإعلاميّة هاجمتنا في عدّة فترات. وفي بعض الأحيان، تؤدي الهجمات السياسيّة على البلدان إلى شلّها وإرهاقها، وهي غالبًا ما تكون مؤثرة. واليوم حيث هيمن الإعلام الإذاعي والتلفازي على العالم بأسره، بات أمرًا تخشاه الدول إلى حدٍّ بعيد لما يتركه من تأثير على شعوبها.

وبدأ الأعداء بشن مثل هذا الهجوم ضد نظام الجمهورية الإسلامية من كل جهة، وكان من الطبيعي أن لا يهتز شعبنا بما لديه من بصيرة وثبات. لكن الإمام لم يَقُل: ما دام الجميع قد تظافروا ضدنا فعلينا

بالتراجع. لم يقل: إنّنا قادرون على مواجهة أمريكا فقط، فكيف لنا بمواجهة أمريكا وروسيا معًا. وذلك لأنّ العالم الذي كان منقسمًا إلى قطبين، تحالفا معًا وتضافرا ضدنا. لكن الإمام استقام ولم يتراجع عن كلامه وشعاره ونهجه، ولم يتفوّه بكلمة واحدة ممّا أراده الأعداء. هذه استقامة حسينيّة، هي بمقاييس العصر شبيهة بمواقف الإمام الحسين عليه السلام.

١٥٤ - وحينما اندلعت الحرب المفروضة، كان الوضع على هذه الشاكلة أيضًا. فالشعب الذي ورث كل ذلك الدمار من العهد البائد، وكان بحاجة إلى العمل والإعمار، تعرض فجأة لهجوم العدو، وتعطّل ما كان بين يديه من بنًى وإمكانات، كالسكك الحديديّة والمصافي وصادرات النفط ومصانع الحديد. ولا شكّ أنّ كل من يواجه مثل هذا الوضع يستسلم أمامه لا سيّما وأنّ الطرف المقابل لم يكن النظام العراقي وحده بل كان كما يعلم الجميع النظام العراقي مضافًا إليه الاتحاد السوفياتي وفرنسا والناتو والخبراء الأمريكيين وغيرهم. ولو أنّ الإمام (رضوان الله عليه) كان ضعيفًا آنذاك لقال: «لقد رُفع عنا التكليف، هؤلاء يريدون أن لا نؤكد كثيرًا على أحكام الإسلام، حسنًا فلا نؤكد عليها. ويريدون ألا نعادي إسرائيل، حسنٌ، لا نعاديها لأن الضغوط قويّة». لم يقل الإمام شيئًا من هذا القبيل بل أصرّ على موقفه.

١٥٥ – وعلى سبيل المثال، قد يقال للإمام: أنتم أهل حرب وأصحاب استقامة، وصدّام رجل سيء جدًّا. لكن في النهاية طهران – قبة الإسلام – هي تحت القصف الجوي الدائم. فكم من الأطفال الذين يصرعون! والحوامِل اللواتي يرتعبن! وتلك البيوت التي تهدم ويشرد أهلها! قل كلمة وأنهِ الحرب! قبلنا القرار الدولي! كان هذا الأسلوب من الكلام في أعوام ١٩٨٦ و٨٧ م. هذه هي الشكوك التي تصبح استقامة الكبار عندها معروفة، وعندها يمكن أن يصبح الإنسان محل ثناء وتقدير، سواء استقام أو لم يستقم، حافظ على الصراط المستقيم أم لا، بقي في خط الهداية أم لم يبق. ١٣٧٥/٣/١٤

١٥٦ - وحتّى أن قرار «وقف إطلاق النار» الذي وافق الإمام عليه لم يكن نتيجة تلك الضغوط، بل وافق عليه بسبب المشاكل الاقتصادية التي عرضها المسؤولون الاقتصاديون في البلاد آنذاك وبيّنوا له أنّ الدولة غير قادرة على الاستمرار بالحرب بكل هذه التكاليف، فاضطر الإمام إلى الموافقة على قرار وقف الحرب.

إذن، فقبول القرار لم يكن مردّه هجوم العدو أو تهديد أمريكا التي كان من المحتمل أن تتدخل في الحرب. فأمريكا كانت تتدخل في الحرب حتّى من قبل هذا. ولو أنّ العالم تدخّل بأجمعه في الحرب، لم يكن الإمام (رضوان الله عليه) لينثني بتلك السهولة. فالقضية كانت تتعلق بالوضع الداخلي. ١٣٧٥/٣/١٤

١٥٧ - في وقت من الأوقات، وُضع الإمام (قدس سره) أمام هذه الصورة: هذه أمريكا، وقضية جواسيس السفارة، ومسألة الحرب وكل يوم هناك معركة وجبهة، وتلك القضايا مع الدول، ومسألة الاتحاد السوفياتي! نحن مخالفون لأمريكا في كل هذه الأمور ونعارضها وما زلنا، والاتحاد السوفياتي على مرمى حجر منا والعراق نفسه في قبضة الاتحاد السوفياتي! هذه «اللاشرقية واللاغربية» والثبات عليها أمر جيد جدًّا، لكن سيدنا، حبذا لو توقفوا ترديد شعار «لا شرقية» لبضعة أيام! والحال أن هذا الشعار موجود في وجدانكم فلا ترددوه علنًا! ولا تصرحوا به! دعونا الآن نراعي المصلحة في جانب ما! في المحصلة هذا بلد، له قيادة، - وليس جميع الناس كبارًا وصغارًا في مستوى واحد - ، وليس لديهم فهم واحد للمعرفة، راعوا واعملوا على المداراة هذا الأمر!!

كان كل ذلك يطرق سمع الإمام ويراه. ولا يُتصورنّ أنه لم تُنقل هذه الأمور للإمام، أبدًا، لقد قيلت حقيقةً وطلبوا ذلك منه.

١٥٨ - أذكر حادثة حصلت مع الإمام (قدس سره) ولا يعرف بها أحد سوى الذين كانوا حاضرين حينها، وأظن أنه لم يتحدث بها أحد. قيل للإمام أمرُ وعرضوا عليه مسألة، أجاب الإمام: حسنًا! إذن، أتنحى جانبًا واختاروا شخصًا آخر ليتابع العمل وافعلوا ما شئتم!

معنى ذلك أن الأمور كانت تصل إلى هذا الحد!. بالطبع، كانت تلك القضية قضية الحرب، وهي أحد الجوانب الخطرة المتعلقة بالحرب! لذلك لم يذكرها أحدُ ولا يعرف بها أحد. لا أعرف إذا كان الأخوة – الحاضرين حينها – يذكرونها أم لا، أنا أذكرها جيدًا. حينها خرجتُ ودوّنت أنه عندما كانت تناقش أوضاع البلاد كان رأي فلان كذا ورأي فلان كذا، وكان أول كلام للإمام[1]: جيد، إذًا أتنحى جانبًا! الحمد لله كانت ردة فعلنا أنه استطعنا أن نقوم بشيء ما إزاء ردة فعل الإمام. ١٣٧٦/١٠/٨

١٥٩ - لم يحصل خلال حياة الإمام المباركة رضوان الله عليه التي امتدت لعشرة سنوات، من بعد انتصار الثورة، أن يتردّد لحظة واحدة بسبب قوة وضخامة تهديد العدو – في أي بُعد من الأبعاد – أي أنّه كان يتمتع بتلك الروح الحسينيّة نفسها. عادةً، تقترن الحرب بالخسائر، وكانت حياة الإنسان عزيزة على الإمام، فهو يبكي أحيانًا على الإنسان الذي يعاني ويتألم، وأحيانًا تترقرق الدموع في عينيه. وهذا ما شاهدناه مرّات ومرّات. فقد كان إنسانًا رحيمًا وعطوفًا، وقلبه طافح بالإنسانيّة والمحبّة. لكنّ هذا القلب الطافح بالمحبّة لم يرتعش يومًا أمام التهديد – تهديد المدن بالقصف الجوي – ولم يَزِلّ ولم يتراجع أو يتنازل.

١٦٠ - أدرك أعداء الثورة كلهم، طوال فترة السنوات العشر هذه، ولمسوا بالتجربة أنّ الإمام لا يمكن إرعابه. وإنّها لنعمة كبرى بأن يشعر العدو بأنَّ هذا الرجل لا يمكن إزاحته من الساحة بالخوف والتهديد. وقد أدرك الجميع من خلال الشخصية الألمعية التي كان يتحلّى بها الإمام أنّه رجل لا يمكن إخراجه من الساحة، ولا يمكن تهديده بالضغوط، وإن التهديد العملي أيضًا لا يجدي نفعًا في ثنيه عن منهجه، لذلك اضطروا إلى التكيّف مع الثورة. ١٣٧٥/٣/١٤

١٦١ – لأن الإمام صمد واستقام، فهو اليوم قيمة مجسّدة. كما أن الشعب الإيراني الذي صمد وثبت خلف الإمام خلال تلك السنوات

١ | وكان كلامه الحاسم.

العشر[١] يمثل اليوم قيمة. فأي عمل أردنا القيام به اليوم وأي جهنم[٢] – لا سمح الله أردنا ورودها فإن العشر سنوات تلك ستبقى كشريط لامع مشعٍّ ولا يمكن مَحْوَها وتخريبها. إذًا، كان أول عمل قاموا به بعد رحيلِ الإمام الخميني (قدس سره) مباشرة – وللأسف فقد بدأت به بعض صحفنا – هو أنهم بدأوا بالتشكيك بمسائل وقضايا تلك السنوات العشر، حتى أنهم شكّكوا بها أصلًا! ولكنهم لحسن الحظ ما استطاعوا ولن يستطيعوا. من الضرورات العصرية لكل مرحلة هذه الذكرى: أنه كلما ابتعدنا زمانيًّا عن ذلك المقطع وتلك المرحلة سيتضح إشعاعها وتلألؤها أكثر! وهذا ببركة تلك الاستقامة وببركة استقامة الناس خلف ذلك القائد.

١٦٢ - أقول لكم أيها الإخوة الثوريين الأعزاء: الاستقامة ضرورية؛ ليست الاستقامة أن نحفظ اسمها [وظاهرها] فحسب! أبدًا، لذا نرى جماعة قد بقيت [على الخط]، ولا ينقصها شيء في الظاهر إلا أنها خالية في الباطن! عندما يستيقظ الإنسان من الغفلة، يرى ويشاهد هذا. أقول لكم هذا الكلام وأوجهه للجميع، خاصة الخواص منهم: اسعوا إلى حفظ هذا الركن وهذا العامود بقوة وصلابة، وثبتوا هذا السقف على هذا الوتد – سقف الثورة، سقف القيم وسقف المجتمع الإسلامي الحقيقي سمّوه ما شئتم – فإذا ما ابتعد الجميع عن هذا السقف بمعنى إذا ما نزعت حيطانه وبقيت أعمدته وأوتاده فلن يتزلزل، وليضرب مئة معول وأزميل جدرانه الآجرية ذات الطبقة الواحدة، فلن تكون هناك مشكلة. إلا أنه إذا ما اهتز عامود واحد فلا محال سيهتزّ ذلك السقف بذلك المقدار نفسه.

١٦٣ - لا ترتعبوا، لا تتخلّوا عن القيم الثورية والإسلامية – شكلها وإطارها الصحيح – بأي قيمة وثمن، وهذا الكلام فوق المسائل السياسية والحزبية واليومية.

أبعدوا أنفسكم عن كل ما هو رائج في العرف السياسي في العالم،

١ | السنوات العشر من عمر الإمام الشريف بعد انتصار الثورة عام ١٩٧٩.
٢ | منتقدًا بعض الجماعات التي تحاول التغريد خارج سرب الثورة والإمام والشعب..

[وهـؤلاء] من خلال وساوسهم لا يريدون أن تصل هذه القضايا [الصحيحة] إلى مسامعنا – الوساوس السياسية والوساوس الدولية – . لنفترض أن عمل مجموعة خبيرة في أمريكا يتركز على حل مشاكل البلدان والحكومات التي لها علاقات وقضايا مع أمريكا، فاسم هذه المجموعة هو «الوسواس السياسي أو الوسواس الدبلوماسي».

١٦٤ - فعلى سبيل المثال، قد يقومون بحركة ما على سبيل إجراء مباراة في لعبة «بينغ بونك»، مع الصين في عهد «تشون لاي». وكان ذلك بمثابة مقدمة لمد جسور العلاقات على نحو تدريجي ولا أحد يشعر بأن شيئًا قد حصل. اقرأوا مذكرات «نيكسون»، فقد ألف كتابًا أسماه «القادة» وقد ترجم إلى الفارسية وفيه كتب مذكراته مع «تشون لاي».

من الأمور التي يتحدّث عنها في الكتاب – وما أتذكره الآن – تلك اللقاءات التي عقدها مع «جوين لاي» نفسه وزيارته التاريخية إلى الصين التي أدت إلى فتح العلاقات مع الصين وكسب صداقتها! تأملوا في بداية نشوء هذه العلاقة وأين بدأت! لم يشعر أحد بذلك! بمعنى أن المخاطبين بهذه الوسوسة والأطراف الذين هم عرضة لها، يشعرون في نهاية الأمر أن ضرورات الحياة قد عرضت ولا سبيل لهم غير ذلك، لكن عملاء السياسة وأربابها في العالم يعلمون ذلك ويعرفون ماذا يفعلون وأن لدى هؤلاء خيارات ومجالات. لاحظتم؟ احذروا الوقوع في مطبّات وكمائن هذه الوساوس. وما قد يتصوّر أنّه من الضرورات الوقتية – ولعل لذلك ضرورة بمعنى من المعاني – فلا ينبغي أن يشتبه علينا الأمر ونخلطه مع الموانع الواقعية. لا، فهذه من بين الأمور والأشياء التي تضمحلّ وتذهب مع وجود الاستقامة. بالطبع، ليس معنى كلامنا هنا أنه يوجد اليوم في بلادنا أشخاص تشبه حالتهم حالة «تشون لاي» في ذلك الزمان! أبدًا ولحسن الحظ.. وهنا، ذكرت هذه المسألة كمثال من بين عشرات المسائل والأمثلة.

١٦٥ - أنتم تشكلون العناصر والجماعة الحاسمة. فأنتم أصحاب الإرادة والعمل الواقعي والتصميم الحقيقي، حتى لو كان هناك شخص مسؤول آخر في لحظة أخرى يتخذ القرار ويطبق وينفذ، إلا أنه في واقع الأمر أنتم من تصممون وتتخذون القرار.

١٦٦ - اسعوا لتكونوا قاعدة محكمة متينة تسند سقف الثورة حتى لا تصبح عرضة للاهتزاز. احفظوا القيم الثورية، يعني تلك الأشياء ذاتها التي رآها الإمام بنفسه واعتبرها من ضمن أهدافه، جسّدوا هذه الأهداف واحفظوها. ليس الحفاظ على هذه الأهداف بمعنى التوقف والثبات وعدم التقدم في الزمن، أبدًا، بل أنكم ترون اليوم بحمد الله أنه هناك الكثير من التقدم الذي حققناه في مجموعة النظام، وفي نفس الوقت حافظنا على مبادئنا وأصولنا.

إن ما يريده العدو هو أن نرتكب اليوم ذلك الخطأ الذي حصل عام ١٩٨٠ بنحو مختلف! في ذلك اليوم، كانوا يشيعون أن تيار حزب الله والتيار الثوري لا ينسجم مع العلم والتجربة، واليوم يريدون أيضًا الإيحاء بأن تيار الثورة وأصحاب الاتجاه القيمي غير مطلعين على ضرورات الزمان وحاجات المجتمع ووسائل تقدم البلاد! أبدًا، هذا غير صحيح، وهذا خطأ! إنّ أتباع التيار المبدئي هم على اطلاع تام ومعرفة قوية بمسائل التنمية والتقدم من مختلف الجهات ويعرفون ذلك الشيء الذي يجعلنا في قمة العزة، ويعرفون أن ذلك لا يتحقق إلا بالحفاظ على الأصول والقيم. ١٣٧٦/١٠/٨

١٦٨ - إنّ ما يمكن استنتاجه من بحثنا - وهذا الاستنتاج طبعًا قابل للتعميم وللتأمل - مسألتان، أولًا: إنّ من جملة الخطوط البارزة، بل والخط المميز لثورة عاشوراء هو استقامة الإمام الحسين عليه السلام. والاستنتاج الآخر هو أنّ إمامنا الكبير (رضوان الله عليه) اتخذ الاستقامة الحسينية كمنهج له في نهضته وفي نمط حياته، ولذلك استطاع ضمان استمرارية الجمهورية الإسلاميّة، وصدّ العدو عن أسلوب الضغط والتهديد، لأنّه بيّن للعدو بأنَّ الضغط والتهديد والهجوم لا يجدي نفعًا، وأنّ هذا القائد - والثورة التي يقودها - ليس

بالرجل الذي تشبه مثل هذه الأفعال. هاتان المسألتان هما خلاصة البحث الذي كنت أودّ التعرّض له. ١٣٧٥/٣/١٤

آفات الاستقامة

١٦٩ - لن يأتينا شخص ويطلب منا التراجع عن الثورة، لن يقوم شخص ويطلب منا صراحة هذا الأمر، لنجيبه: لن نتخلى عن نهج الثورة سنصمد، لا أيها السيد لن نتراجع!. أبدًا، ليست المسألة هكذا.

هؤلاء سيطرحون قضايا دقيقة ومسائل متشابهة وتلك الأشياء التي تحتاج – لاتخاذ القرار بشأنها – إلى رشد فكري وفكر متقدم نيِّر، ووعي مع العزم الراسخ والتصميم. وهنا، تكتسب مسألة الهداية إلى الطريق المستقيم و«الصراط المستقيم» أهمية كبيرة.

أعزائي! إن أول شيء ضروري لكم هو البصيرة، البصيرة! لا تستخفّوا بها. لا تصرفوا نظركم عن البصيرة أنتم وأبناؤكم.

١٧٠ - طالما هناك في هذه البلاد جماعة مؤمنة حاضرة للتضحية بأنفسها في سبيل هذا العمل، فهذا البناء محكم ثابت! إن جانبًا من سعيي هو أن لا تصيب الأَرَضَة هذه الأوتاد المحكمة التي تستقرّ عليها هذه الخيمة!

وصيّتي الدائمة: الزهد! و«أن لا نتلوث بالدنيا!» وهذا لأهمية القضية.

البحث هنا هو: لدينا خيمة وتحملها أوتاد منتصبة، فإذا ما وصلت إليها الأرضة – لا سمح الله لن يعد بإمكاننا فعل شيء. حتى لو اقتُلِعت المسامير منها، ليس الأمر مهمًّا، ولو أصاب شرخٌ زاوية منها، نخيطها ونصلحها، ليس مهمًّا، إلا أن أعمدة هذه الخيمة – التي هي أوتاد محكمة تحمل هذا البناء – ينبغي أن تبقى ثابتة ولا تتزلزل. ليس من الضرورة أن ننظر كثيرًا إلى الوجه السيئ للقضايا والمبالغة فيها، أبدًا، الحمد لله! إن أركان الثورة وأعمدتها ثابتة محكمة جيدًا.

١٧١ - نحن جميعًا ما زلنا أصغر من أن نفهم عظمة هذه الثورة – وهذا الكلام ينطبق عليّ أكثر مما ينطبق عليكم – فعلى سبيل

المثال إذا كنتم بصدد صعود جبل، لن تروا عظمته إلا إذا ابتعدتم عنه ووقفتم في مكان عالٍ جدًّا – مع وجود مسافة مقبولة لتتمكنوا من رؤيته واستطعتم الإشراف على مختلف أطرافه وزواياه. عندما يسير الإنسان في جبل ليس بمقدوره تخمين حجم هذا الجبل، ومن الطبيعي أن يشعر بالصعوبة والتعب والعناء [أثناء السير]. أما الشخص البعيد عنه فلا يشعر بشيء من ذلك – التعب والشدة والتعرّق وإدماء القلب وسحب الأنفاس – إلا أنه يدرك عظمة الجبل وكبره.

١٧٢ - أنا وإياكم – [على سبيل الفرض] – عندما نسير في هذا الجبل، فماذا ندرك من عظمته؟ إن هذه العظمة هي ذاتها التي جعلت كلا القوّتين العظيمتين – القطبين في ذلك الزمن أمريكا والاتحاد السوفياتي – يتعاونان لتحطيمه وإزالته، لكنهما ما استطاعا إلى ذلك سبيلًا!

١٧٣ - لا تقولوا: كان الإمام موجودًا في ذلك اليوم، فالإمام موجود الآن أيضًا. ليس إمامنا (قدس سره) ذلك الشخص الذي إذا رحل عن هذه الدنيا يكون قد ذهب وأفل. [أبدًا] لم يرحل الإمام! بعض الناس ينتهون برحيلهم وفوتهم، فهل أن الإمام هو كذلك؟ الإمام حاضر الآن، بكلماته، بروحه، باسمه وأنفاسه. الإمام حاضر وهو يقود هذه البلاد إلى الأمام.

١٧٤ - تحدّثت حول تاريخ صدر الإسلام وذكرت هذا الكلام مرارًا فيما مضى من السنوات، كنت أقول: قام المجتمع الإسلامي في تلك السنوات الأولى بالفتوحات وتقدم بذلك النحو ثم وصل إلى ازدهار العلم وأقام تلك الحضارة – حيث كان القرن الرابع الهجري قرن إشعاع الحضارة والمدنية والعلم – التي كانت رمية[1] يد النبي صلى الله عليه وآله! بالطبع كان القرن الرابع الهجري مصادفًا لقرنين من القرون الوسطى (العاشر والحادي عشر) في أوروبا. يطلق الأوروبيون تسمية «القرون الوسطى» ويقلّدهم بذلك بعض

١ | أو: ضربة يد النبي صلى الله عليه وآله.

الكتاب في بلدنا! أيها كانت القرون الوسطى؟ كانت قرون أوروبا الوسطى، وكانت قرونًا مظلمة قاسية حالكة، ولكن القرن الرابع بالنسبة لنا كان قرن إشعاع وتلألؤ بلغ المجتمع الإسلامي فيه أوج إشعاعه وازدهاره.

كنت حينها أقول أن فتوحات المسلمين والفتوحات العلمية في ذلك العصر كانت رَمْية النبي صلى الله عليه وآله، الرمية تعني ذلك الحجر الذي تطلقه وكلما دفعته بقوة أكبر كلما قطع مسافات أكبر وتقدم أكثر!

١٧٥ - ولقد كانت رَمْية الإمام (رضوان الله عليه) خلف هذه الثورة. ليست المسألة أن الإمام اليوم غير موجود، الإمام موجود. لذلك ترون بعد رحيله أن مؤامرات أمريكا المختلفة ومتنوعة الأشكال وكذلك الرجعية ومؤامرات الداخل بأنواعه وأشكاله كلها قد باءت بالفشل! ولنفترض اليوم أن شخصًا كتب مقالة في صحيفة، حسنٌ، فليكتب! ذلك لا يعني أن كل شيء قد اهتز، وبعضهم يستولي عليهم العنف والوحشية فيأتون ويقولون: أيها السيد! انظر ماذا يكتبون! ألا تسمعون ماذا يقولون؟ ألا ترون الشعارات والأقوال التي يرددها فلان؟

بالطبع أرى ذلك وإن أعيننا مفتوحة.

١٧٦ - فإذن أنتم ترون، النقطة الأولى هي أن تعلموا أن رؤيتي [نظري] ليست رؤية مبنية على التساهل والتغاضي، ليست من أجل إرضاء هذا وذاك، بل حقيقة القضية هي هذا. وفي نهاية المطاف، تأتي حقيقة أخرى مباشرة إلى جانب هذا! وهي أنه إذا ما كان هناك تيار ماء بحجم خرطوم مياه الحمام - فخرطوم المياه شيء بسيط صغير! برأيي ليس لدينا أفضل من خرطوم الماء كمثال نضربه على الضعة والضعف - عندما يتدفق على ساتر ترابي بارتفاع ١٥ متر لا دفاع له - لا باطون ولا أوتاد ولا يوجد شخص يقف عليه يصلح ما تخربه المياه فيهيل التراب على الأمكنة التي تفرغ وتنهار - فسيتمكن الخرطوم من هذا الساتر الترابي عاجلًا أم آجلًا!

وإن الشيء الذي بإمكانه أن يقف سدًّا مانعًا أمامه هو «الصمود» والاستقامة!

الاستقامة مع البنية القوية ومع المواظبة والمراقبة. إذ يجب أن يكون ذا بنية قوية وكذلك ينبغي المراقبة، لأنه عندما يطرأ الانهيار يجب الاصلاح فورًا. وأنا هنا لا أريد لأحد أن ينام على وسادة من حرير لأقول إنه لا خطر في البين يهددنا، فارتاحوا وناموا! أبدًا، أنا أقول لا خطر في البين يهددنا فاصمدوا بقوة وصلابة واعملوا، لا خطر يهددنا، فتابعوا السير، لا تتصوروا أنه لا مجال للسقوط بعد الآن، لا أبدًا! فكثيرون كانوا جيدين وسقطوا، ومن الممكن أن يضعف القوي فيذهب ويسقط. إن أول شيء نواجهه أيضًا ذلك الشيطان الذي في داخلنا، الشيطان الخبيث.

١٧٧ - ليتكم تطلعون أكثر على الصحيفة السجادية، وإن شاء الله أنتم مطلعون. اقرؤوا الصحيفة السجادية، ففي أدعيتها ذلك المستوى من الدقة والظرافة المناسبة لوضعنا أنا وأنتم والتي لا حد لها! ماذا فعل ذاك الإمام العظيم في هذا الكتاب العظيم! اقرؤوا الصحيفة السجادية مع ترجمتها [الفارسية]. حبذا لو أنكم تعرفون العربية. برأيي: إن أحد الأعمال الواجبة كثيرًا أن يتعلم الجميع العربية بذلك الشكل الذي يمكن للقارئ أن يفهم النصوص العربية[1].

١٧٨ - ينبهنا ذلك العظيم في الدعاء الثاني والثلاثين من الصحيفة السجادية إلى هذا الشيطان الداخلي. فيقول «إذا قارفت معصيتك واستوجبت بسوء سعيي سخطك، فتَلَ عني عذار غدره وتلقّاني بكلمة كفره» فشيطان الإنسان هذا يخدعه، ويدعه لوحده أمام الله. يترك الإنسان لوحده أمام مساءلة الله وعذابه وعواقب أعماله السيئة!

في البداية، ينبغي أن نلتجئ إلى الله منه، يجب أن نحارب شيطان النفس هذا ونواجهه - وهذا هو الأكثر صعوبة من الكل - ثم بعد

١ | الكلام هنا موجه إلى الأخوة الإيرانيين حيث لا يعرفون العربية.

ذلك المواجهة مع شياطين الخارج. ١٣٧٦/١٢/١٤

١٧٩ – والمفردة الأخرى الواردة في **القرآن** هي «النسيان»، وقد جاءت بألفاظ متعددة، وإن المهُول والأشد وقعًا من غيره هو «نسيان النفس»، ففي الآية ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[1]، فنسيان النفس في العرف السياسي إنما يعني نسيان الهوية، وإنه لأمر سيّء – ولبئس المآل أن ينسى قوم هويتهم وتاريخهم وثقافتهم ولغتهم، وما عاقبة ذلك إلا الذل والشقاء! – بيد أن خطر نسيان النفس في العرف الأخلاقي[2] يفوق بكثير ما هو عليه في البعد السياسي، لما يعنيه من غفلة المرء عن هويته والغاية من وجوده والغفلة عن سريرته وقلبه وروحه وتناسيها، أي الاستسلام لتيار مادي فاسد يجرفه نحو مستنقع موحل، يفقد الإنسان فيه أية مقاومة إزاء مسيرة السوء والفساد والشر.

﴿**فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ**﴾، أي إنّ الإنسان يقع في شراك اللامبالاة والتيه بحيث يجهل الهدف من مجيئه إلى الدنيا في الأساس، شأنه في ذلك شأن الطفل الذي يقضي وطرًا من عمره لاهيًا لا يفكّر بمصيره ولا أهمية لديه إلا لهذه البرهة الزمنية أو تلك. إننا وبعد هذه الستين أو السبعين عامًا لا محالة ميتون، ولكن ما الذي سيحل بعد ذلك؟ وما كان الهدف من هذه الحياة؟ وما الداعي من مجيئنا هذا وبقائنا في هذه الدنيا ومن ثم رحيلنا عنها؟ فمن الخطورة بمكان عدم التفكير والتأمل بذلك.

١٨٠ - ﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ والفسق يعني الانسلاخ عن الشيء نتيجة فساده وتعفنه، ويقال لقشرة حبة التمر (الرطب) إذا انسلخت عنها «فَسَقت»، ومنها جاءت كلمة «فِسْق»، أي انسلاخ الإنسان عن جميع خصاله وعن إيمانه بسبب هذا الإهمال واللامبالاة. وعليه، فإنّ النسيان من الآفات التي تهدد الاستقامة.

١٨١ - المفردة الأخرى الواردة في **القرآن الكريم** وهي ما تقضّ

١ | سورة الحشر، الآية ١٩.
٢ | أو: على الصعيد الأخلاقي.

مضجعي أحيانًا: «الزيغ»، فقد ورد في سورة **آل عمران** ﴿**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾[١]، أي لا تترك قلوبنا تزيغ وتنحرف عن صراط الحق إلى الباطل. **والقرآن** هنا ينقل دعاء عباد الله. يقول تعالى في سورة **الصف** بخصوص بني إسرائيل: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ**﴾[٢]، وكأن في هذه القضية فعلًا وانفعالًا وإقدامًا مزدوجًا، أحد طرفيه بيد الإنسان نفسه، أما نتائجه وعواقبه فهي بيد الله سبحانه، ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا**﴾، أي إنهم خطوا خطوة منحرفة أوقعتهم في منحدر الزيغ، حينها ﴿**أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ أي أضلّهم الله وأزاحهم عن جادة الصواب، وما أدراك ما تعنيه هذه الإزاحة الإلهية! إنها تعني سلب التوفيق الإلهي.

هذا ما ورد بحق بني إسرائيل وهو لا يختص بهم فقط، فبنو إسرائيل بالرغم من أنهم عاصروا فرعون وشهدوا حقّانية موسى ورأوا بأمّ أعينهم كيف أن الله سبحانه أجرى هذه الحركة العملاقة على يدي عبده موسى بن عمران عليه السلام، وبنو إسرائيل الذين شاهدوا بأعينهم البحر وعساكر فرعون وتلك الأحداث المذهلة المدهشة، فإنهم وقعوا أسرى الأهواء النفسية والغفلة – وهو النسيان نفسه الذي تقدّم الحديث عنه – فانزلقوا «زاغوا» في هذا المنحدر، ففي هذه الآية يخاطبهم موسى ﴿**لِمَ تُؤْذُونَنِي**﴾[٣]؟! وفي سورة **الأحزاب** يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللهِ وَجِيهًا**﴾[٤] لا تكونوا كبني إسرائيل الذين آذوا موسى، وهذا الخطاب موجه لي ولكم أيضًا.

فالزيغ الذي وقعوا به عبارة عن الاستسلام للأهواء والشهوات والنزوع نحو المادية وجمع الثروة والنزوات الجنسية وسائر الأمور التي هي مصدر بلائنا، ويقابله من الله تعالى سلب رحمته وتوفيقه

١ | سورة آل عمران، الآية ٨.
٢ | سورة الصف، الآية ٥.
٣ | سورة الصف، الآية ٥.
٤ | سورة الأحزاب، الآية ٦٩.

التي كان يغدق بها علينا.

إنّ أيّ تحرك خاطئ يصدر منّا وأية خطوة بعيدة عن الصواب والعدالة نقدم عليها وأي فعل نمارسه ناجمًا عن النوازع والأهواء النفسية، إنما يسير بنا خطوة نحو لجّة الفساد والابتعاد عن الله سبحانه ﴿**أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ**﴾[١]، وهذا الانزلاق والزيغ إنما يأتي تترًا وعلى دفعات، وهنا تكمن خطورته.

١٨٢ - فعاقبة الانزلاق تنقص عمل الإنسان بادئ الأمر ثم تأخذ أخلاقه وسجاياه بالاهتزاز والتزلزل والتغيّر، ويتحول من كان صادقًا وفيًّا وذا شعور بالمسؤولية، تدريجيًّا، إلى إنسان متذبذب عديم الوفاء وغير مسؤول، ويطال التبدّل أخلاقه أيضًا. وفي المرحلة اللاحقة، يبدأ التبدّل في عقائد الإنسان. ثم إن هذا الفساد الذي كنا ننظر إليه يومًا بعين الاحتقار يأخذ بتغيير هويتنا وتدمير أخلاقنا شيئًا فشيئًا. يقول تعالى في إحدى آيات **القرآن الكريم**: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللهَ مَا وَعَدُوهُ**﴾[٢]أي إن الله تعالى قد ابتلى جماعةً بالنفاق بسبب الوعود التي أخلفوها. وهذه هي المعادلة التي يعتمدها الباري تعالى في تعامله مع الإنسان، أي إنها - في واقع الأمر - منوطة بأعمالنا وترجع إليها، فنحن خلال أعمالنا نحول دون أن تشملنا الرحمة الإلهية، ولئن حُرمنا من الرحمة الإلهية، فإننا ندنو أكثر فأكثر نحو الفساد والضلال. إننا نقرأ في الدعاء «اللهم إني أسألك موجبات رحمتك»، فالإنسان يسأل الله موجبات رحمته، ومن الطبيعي أن لا تنزل علينا الرحمة الإلهية إن فُقِدت هذه الموجبات من أعمالنا، وهذا هو الزيغ.

١٨٣ - ماذا ينبغي علينا فعله؟ ما نشاهده في **القرآن الكريم** هو ما يعاكس تلك الآفات بالظبط، إنه «الذكر»، وهو لا ينحصر في الأوراد وما شابهها، فهي إحدى وسائل الذكر الذي يعني ذكر الله وذكر التكليف والنعمة الإلهية ﴿**وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء**

١ | سورة الصف، الآية ٥.
٢ | سورة التوبة، الآية ٧٧.

﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[١]، ولو أنكم تمعّنتم جيدًا في **القرآن الكريم** لوجدتم أن الإشارة وردت في مواطن متعددة إلى «ذكر نعمة الله»، ونعمة الله ليست أجمعها تعني المأكل والمشرب وما إلى ذلك – وإن بدت في أعيننا صغيرة، وهي ليست كذلك بل هي عظيمة للغاية – بل إن لله نعمًا عظمى على بني الإنسان ونحن منهم، أن نتذكرها، ومنها ذكر التكليف، ذكر النعمة، ذكر العهد والميثاق، فكلنا ملزم بعهد وميثاق مع الله ومع الشعب، كلٌّ حسب عمله ووظيفته، سواء من كان في مجلس الشورى أو من كان في الوزارة. فأنت كرئيس للجمهورية أو كرئيس للسلطة القضائية أو كمسؤول القوات المسلحة، وكذلك بالنسبة لي، فكل منا ملزم بعهد وميثاق، بأي نحو كان، أمام الشعب وأمام النظام. فلنتذكر عهدنا وميثاقنا، وإيانا ونكث العهد، ولنتذكر يوم الحساب والقيام إلى الله، فالحياة عابرة سريعة الانقضاء، وسنقف جميعًا بين يدي رب العالمين، وحينها يتعين علينا تقديم ما بجعبتنا من جواب! فلنتذكر ذلك أيضًا. ١٣٨٠/٩/٢١

مثال تاريخي وبضع نقاط [ملاحظات]

١٨٤ - تحسم مقاومة وصمود جميع جبهات البشر الكبرى في العالم في الأساس في نقطة الصمود والمقاومة. ففي أي حرب بين جبهتين، يكون النصر حليف الجبهة التي تكون فيها هذه النقطة الأكثر صلابةً وثباتًا. فصمود النقطة المركزية في كل جبهة ومعركة يعني أنها ستكون مستعدة لتحمل الدمار والقتل وإراقة الدماء والمشقات والخسائر، لأن هناك تشكيل عظيم بعنوان «الجبهة». هذه القضية كانت منذ بداية التاريخ وما زالت إلى اليوم، وفي الأصل، فإن التفسير والتحليل الصحيح للتاريخ هو هذا، أي حضور ثنائي «الحق والباطل»، والخير والشر. ١٣٧٤/٥/٢

١٨٥ - لقد قاوم الأئمة عليهم السلام مدة تقارب الـ ٢٥٠ عامًا

١ | سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

وحدثت خلال هذه «المدّة» حادثة مرّة: صعود أعداء أمير المؤمنين عليه السلام إلى المنبر وسبّه وشتمه، إلا أنهم عليهم السلام صبروا. تخللت هذه الأعوام الـ «٢٥٠» ٣٥ سنة من الضغط الشديد في زمن الإمام السجاد عليه السلام حيث «ارتدّ الناس بعد الحسين عليه السلام إلا ثلاث نفر: سلمان وأبو ذرّ والمقداد»[١] ارتد الجميع، وبقيت جماعة معدودة، إلا أن هذا المجاهد العاشق لسبيل الله – أي إمام المسلمين – لم ييأس، أكمل السير في الطريق.

١٨٦ - ... في أيّة لحظة ينزع أتباع الحق إلى الضعف والتراخي، سيقوى العدو في اللحظة نفسها ويتأخر انتصار الحق ويقترب انتصار الباطل. فلنتعلم ذلك من الإمام الصادق عليه السلام، فقد واجه وصابر مدة ٣٤ سنة، مع مشاكل ومصاعب مختلفة واجهته خلال هذه الفترة، فقد بدأت مواجهة النهضة الإسلامية ابتداء من العام ٤١ هـ وانتهت في العام ٥٧، أي أنها استمرت ستة عشر سنة، لكن مواجهة الإمام الصادق عليه السلام ومقاومته بقيت ٣٤ سنة ويا لها من مواجهة صعبة. وقد تعرّض الإمام عليه السلام خلال هذه المدة لأقسى معاملة وسلوك قام به شخص [الحاكم والخليفة آنذاك] وقد أبعده ونفاه مرات عدة.

وإن الأربعة آلاف طالب الذين تتلمذوا على يديه عليه السلام – إذ لم يكن الأمر كاليوم دروس ومدارس ومدرسين – كانوا أفرادًا يأتون من أماكن بعيدة ويذهبون إلى المكان المبعد إليه الإمام حيث كان يلتقي بهم بصعوبة، وكانوا يتعلمون منه كلمة وكلمتين ويتخفّون بالتقية ويخفون عملهم تحت الضغط والرقابة. وكان الإمام الصادق عليه السلام خلال كل هذه المدة الطويلة صلبًا ثابتًا على الخط الواضح لهذه المواجهة شديدة الصعوبة وكذلك كان أصحابه.

كانت فترة السنوات الأولى التي تقارب العشرين سنة تقريبًا – خلال الأربعة والثلاثين سنة التي أمضاها الإمام – ضمن مرحلة بني

١ | الشيخ الكليني، **الكافي**، تصحيح علي أكبر الغفاري (طهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة ٤، ١٣٦٥ هـ. ش.)، الجزء ٢، الصفحة ٢٤٤.

أمية، وكانت بداياتها صعبة، أي في زمن هشام بن عبد الملك الذي كان أحد حكام بني أمية الدهاة وبعد هلاك عبد الملك، اضطربت الأوضاع وانقلبت رأسًا على عقب.

شكّل وجود خلفاء ضعاف وحكومات قصيرة العمر فرصةً للإمام الصادق، ومع ذلك لم يغفل هؤلاء عن الإمام، حتى أن الوليد بن يزيد الفاجر الفاسق المعربد شارب الخمر لم يغفل عن الإمام الصادق عليه السلام. ففي غمرة سكره ومجونه كان في ذهنه وفكره أن هناك إمامًا صادقًا يهدد أساس حكومته. وقد وقعت في أواخر هذه السنوات مواجهة مفصلية قاسية، إذ نهضت حركة ورفعت شعاراتها باسم الإمام الصادق عليه السلام، وقاموا في العديد من المدن في إيران، وفي الري وخراسان ومناطق أخرى وجمعوا شيعة أهل البيت عليه السلام وواجهوا أجهزة الخلافة؛ ولكن مقتنصي الفرص جاؤوا واستفادوا من هذه المواجهة لمصالحهم وقطفوا ثمارها. استلمت سلالة بني العباس الحكم، وخلال السنوات الثلاث والأربع الأولى انشغلوا بمشاكلهم ونزاعاتهم الداخلية أو في مواجهة بني أمية، فلم يستطيعوا فعل شيء. وعندما وصل المنصور إلى الحكم، استؤنف التضييق والضغط على الإمام وقد مارسوه باستمرار، بالطبع هناك روايات تحدّثت عن ذهاب الإمام إلى المنصور العباسي أو عن إحضاره إليه [بالإكراه]، وإن بعض الأحاديث التي دارت بينهما صحيحة وبعضها الآخر غير صحيح، فتلك الأمور التي تظهر أو تتحدث عن ضعف الإمام وخضوعه واستسلامه في قبال ضغوطات المنصور هي بالتأكيد غير صحيحة ولا تنسجم مع حياة ذلك الإمام العظيم ومع روحيته ولا يمكن القبول بها أبدًا.

ولكن الضغط كان موجودًا حقًّا، وكان الإمام عليه السلام ملتفتا أيضًا وحذرًا، وهذا الدعاء الذي ينقل عن الإمام الصادق في هكذا محن وشدائد، هو نفسه درس وتوجّه والتفات «**ربّ كم من نعمة أنعمت بها علي قلّ لك عندها شكري وكم من بليّة ابتلتني بها قلّ**

لك عندها صبري، فيا من قلّ عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قلّ عند بليته صبري فلم يخذلني»[١].

هذا هو الحق، وهذه إشارة إلى شدة الضغوط التي كانت تمارس على الإمام عليه السلام، حيث لم يصب ولم يتسرب الشك والتردد لحظة واحدة إلى تلك القامة الثابتة الشامخة طوال هذه السنين الأربع والثلاثين.

وقد صبر على المحن والحرمان ودافع عن الإسلام الصحيح، وعن المواجهة الحقة والحكومة العلوية وعن تلك الحركة المقدسة والمباركة التي كانت تكليفه ووظيفته، واستمر وأكمل الطريق. ولو أنه لم يكمل وتوقف لما تعرض للقتل فدسوا السمّ له، هذا هو درس. ينبغي الاستمرار في العمل، وإن الاستقامة أمر مهم. ١٣٦٧/٣/١٤

١٨٧ - قامت ثورات عديدة في القرن العشرين في أماكن مختلفة من العالم، بالطبع كانت جميعها ثورات غير دينية وغير إسلامية وغالبًا ما كانت يسار اشتراكي. وإن أغلب هذه الثورات كانت تصل إلى طريق مسدود بعد ١٠ أو ١٥ سنة من قيامها أو أنها كانت تُفرغ من محتواها وتصبح مخالفة للمبادئ التي قامت لأجلها أو أنها تصبح ألعوبة بيد أولئك الذين قامت ضدهم وحاربتهم. وقد ذهبتُ أثناء فترة رئاستي للجمهورية الإسلامية لزيارة هذه البلدان التي حدثت فيها مثل هكذا ثورات وقد شاهدت عن قرب وضع هذه الحكومات التي يقال عنها اصطلاحًا أنها ثورية. [فوجدت] أن ذلك الشيء نفسه قد حصل، أي أن هذه الثورات قد غدت ضدها[٢] وقد انحرف مسارها. لماذا؟ لأنهم لم يستقيموا على طريقها ولم يتحملوا الصعوبات والشدائد، لذلك استحوذت عليهم الضغوطات الدولية والقلاقل والفوضى. ١٣٨٠/٨/١٠

١٩٠ - تنجح الأمة عندما تثبت على كلمتها، وعندما لا تخرجها

١ | المتقي الهندي، **كنز العمّال** (بيروت: مؤسسة الرسالة،١٩٨٩م/١٤٠٩هـ)، الجزء ٢، الصفحة ١٢٤.

٢ | أي أصبحت على طرف النقيض.

التهويلات والاضطرابات التي يفتعلها العدو من الساحة، وتنجح الأمة عندما لا يُصاب مسؤولوها ونخبها ووجوهها العلمية بلوثة الركون إلى الراحة والدعة والتوجه الدنيوي والأمراض النفسية كالحسد والمنافسة وأمثالها.

تصل تلك الأمة إلى أعتاب التوفيق والنجاح حين يصون شعبها ما لديه من استقامة ووعي ومعرفة إلى النهاية، وإن سبب عدم استطاعتهم التغلب على الثورة الإسلامية هي هذه الأشياء. فكل ناحية برزت فيها مظاهر مقاومة الشعب الإيراني كانت تلك الناحية عرضة لهجمات أعنف وأشد. انظروا، لقد ركزوا حملاتهم على إيمان الشعب وعقائده وعلى بعض مضامين الدستور الضامن لحفظ الإسلام والإيمان وإسلامية النظام. بالطبع، إن التقصير والتساهل وعدم الإكتراث والركون إلى الدنيا والمادية للأسف يساعد حملات العدو الإعلامية ضدنا. ١٣٨٠/٨/١٠

١٩١ - ينبغي أن يكون الملاك في أهدافنا ومبانينا[١] هو ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[٢]. ولا يجوز العدول بأي وجه من الوجوه عن هذه القيم، فالأهداف أهداف إلهية وإن أي شك وتردد أو ارتداد عن هذه الأهداف غير جائز، لكن في المناهج والأساليب، فيجب أن يكون التكامل والإصلاح وتغيير وعزل الأخطاء من ضمن الأعمال الدائمة والبرامج المستمرة عندنا، فلننظر أي أسلوب يعتريه الخطأ والضعف، ولو اعتدنا عليه، فنقوم بتبديله أو إصلاحه. ينبغي التنبه والدقة لكي لا تتبدل أمكنة ومواضع هذه العبارات والمفردات، بمعنى أنه عندما نذكر الاستقامة في دائرة الأهداف، ينبغي أن لا نخلط بين موضع «الهدف» وموضع «المنهج.» فالاستقامة في المناهج والأساليب ليست ضرورية، إنما الاستقامة لازمة في الأهداف. إن مسألة «التجربة والخطأ» قاعدة سارية في الأعمال[٣]، بالتأكيد ينبغي الاستفادة من التجارب وأن يكون لدينا تجربة ناجحة

١ | أي الأسس والمبادئ..
٢ | سورة **هود**، الآية ١١٢.
٣ | لا إشكال في ذلك.

ولا نريد أن نجرّب على الدوام مع احتمال الخطأ. أما في دائرة الأهداف، فينبغي أن نقف ثابتين ولا نتراجع ولو خطوة واحدة. بالطبع، الانحراف عن كل منهما خطأ[١].

تارة، يأتي بعضهم فيدخل تغييرات على الأهداف باسم الفكر التجديدي والإصلاح، إن إعادة النظر في الأهداف ليست من الإصلاح، هو تراجع وانحراف عن السبيل، وهو رجعية. واليوم إذا ما رفعنا أيدينا عن الأهداف العليا للثورة الإسلامية – سواء في المجالات الثقافية أو الاقتصادية أو في الساحات السياسية الحكومية – وتراجعنا وتوجهنا الوجهة التي تطلبها الدنيا منّا – دنيا المادة والزعامة والسلطة، الدنيا التي هي بقبضة الشيطان – ، فهذا من الرجعية، رجوع إلى الماضي. ففي السابق، أي عهد الطاغوت[٢]، كانت هذه الأهداف هي الحاكمة، ولكن بأدوات فاسدة جدًّا وقبيحة وتابعة وملحقة. يجب أن لا نقبل هذه الرجعية. فأهدافنا أهداف إلهية، إنها [إقامة] حكومة الله والتوحيد والتوجه نحو المجتمع الديني الحقيقي وسيادة الأحكام الإلهية. بالطبع، ينبغي في المقابل أن لا نبتلى – تحت شعار الصلابة والمتانة – بالتحجر ونهمل المناهج التي اختبرناها وأصلحنا ضعفها وأخطاءها ولا نشدد عليها ولا نهتم.

وعليه، فأنا أوافق تمامًا على شعار الإصلاح، الإصلاح في المناهج والأساليب، والاستقامة في الأهداف والمبادئ.

بالطبع، هناك من يريد، باسم الإصلاح، أن يرفع يده ويترك المباني والقواعد تمامًا كما يريد الغرب. أنتم تلاحظون أنهم ركزوا في وسائل إعلامهم وفي الإعلام العالمي على الإصلاح في إيران. فهؤلاء لا يريدون أن نصلح الأخطاء إذا ما وجدت في مجال الاقتصاد والثقافة والإعلام، بل يريدون أن نغيّر النظر في حاكمية شرع الله وحاكمية الله. وهذا هو طرز الإصلاح الذي كنا نشاهده دائمًا في خدمة أهداف الاستكبار في إيران. فـ«رضا خان» جاء أيضًا بعنوان الإصلاح

١ | أي الانحراف عن المنهج وعن الأهداف.
٢ | الحكم الشاهنشاهي البائد.

وقد أعرب عن ذلك! فأن نرفع أيدينا عن المباني والأسس، وأن نعيد النظر في الأهداف، فهذا ليس إصلاحا، هو فساد.

معنى الإصلاح[١] أن نعيد النظر في الأساليب والمناهج مع الحفاظ على الأهداف العليا والصراحة والوضوح في بيانها وعرضها – فلا ينبغي أن نقع في التقية أو نمارسها في الإعلان عن هذه الأهداف والقيم والمباني، فنحن اليوم دولة كبيرة وقوة يساندها الشعب الذي يقف خلفها، فهنا الموقع موقع بيان الحقيقة في مباني الإسلام وفي حاكمية الله، يجب أن نبيّن الحقيقة ونعرضها – وأن نعيد النظر ونرى ما هي الأعمال التي يجب القيام بها وإنجازها ولم نقم بها، وما هي الأعمال التي لا ينبغي القيام بها وقمنا بها. ١٣٨٣/٦/٣١

١٩٢ - الاستقامة مفهومٌ عامٌ جدًّا، فالجميع يتصورون ويظنون أنهم سيستقيمون ويثبتون! والجميع يعتبرون كل شيء استقامة! بينما هناك أعمال وأشياء ليست من الاستقامة بشيء، فهناك عمل صعب وشاق لكنه ليس استقامة.

إن الاستقامة بالنسبة لأي إنسان هي الصمود والوقوف في الموضع والحالة التي يتعرض فيها لأشد الضغوط والمتاعب وأكثرها صعوبة: الضغط الجسدي والضغط الشأني [الشأن والحيثية] وضغط هوى النفس، هذه هي الاستقامة. ١٣٧٦/١٢/٢٣

١٩٣ - يشيع الوسواسون الخناسون من خلال أبواقهم الإعلامية العالمية كلها ويتبعهم عملاؤهم وأذنابهم في داخل المجتمع الإسلامي أن زمن المقاومة طويل [وعسير] ويأخذ وقتًا كثيرًا. لم يدم طويلًا، وما زال علينا اليوم أن نقاوم كثيرًا، واليوم إذا ما استطعنا إكمال وتطبيق قيمنا وطموحاتنا وآمالنا بصورة تامة في المجتمع من خلال تشكيل الحكومة الإسلامية، فلدينا المزيد من الوقت والسبيل، ينبغي أن نسعى ونجدّ.

إن أعظم أهداف الاستكبار العالمي هو إعاقة تشكيل الحكومة

١ | أي إمكانية أن نعيد النظر في مناهجنا وأساليبنا.

الإسلامية ومنعها من إكمال بناء نفسها وصناعة ذاتها بناءً للأنظمة والأحكام الإسلامية، وأن تربي الناس وتصنع الإنسان. وإن ذاك الشيء الذي يريدون إرغامنا على التراجع عنه هو استقامتنا. الاستقامة في ميدان الحرب، وفي ميدان السياسة، الاستقامة في المواجهة الشاملة لأبناء الشعب... شعبنا من أفضل الشعوب وأمتنا من أفضل الأمم، لكن الموسوسين والخناسين هم دائمًا يوسوسون ويجب علينا إبطال هذه الوساوس...

١٩٤ - ... ينبغي الاستمرار بهذه الحركة. لطالما طلبوا منا، خلال تلك الخمسة عشر سنة من المواجهة: أيها السادة توقفوا اتركوا الأمر، كانوا يهددوننا بالقوة، فأمامكم الضرب والهجوم، المخرز. كان العمل صعبًا جدًّا في ذلك الوقت، إلا أن المقاومة حققت إنجازات وأبدعت العمل، وسدّت السبل على العدو.

إن لدى الجمهورية الإسلامية اليوم شعبًا سيحلّ المسائل بمقاومة تامة واستقامة. مهما كانت الحرب، حربًا عسكرية أم سياسية، تشتد وتضعف، فلا يصح الانتظار والتوقع في أي حرب أن هناك طرفًا هو المنتصر دائمًا - حتى لو كان طرف الحق - والطرف المقابل هو المهزوم دائمًا، هذا لا يحصل. الحرب كماء البحر، كموج البحر فيها مد وجزر «وتلك الأيام نداولها بين الناس»، فكما يتداول النصر بين أيدي الناس كذلك الهزيمة، وإن الشيء الذي يحسم ويحدد المصير عاملان: ملازمة الحق والاستقامة. ١٣٦٧/٣/١٩

استنتاج

١٩٥ - أما الاستنتاج! حسنٌ، فنحن أتباع نهج وخط إمامنا العظيم، أود أن أبيّن لأبناء الشعب الإيراني الكريم والعزيز أنهم حققوا خلال السبعة عشر عامًا من بداية الثورة وإلى يومنا هذا[1] تقدّمًا كبيرًا على الرغم من ضغوط الأعداء وتهديداتهم. ولا يمكن لأحد أن ينكر ما حققته الأيادي المخلصة والسواعد المقتدرة من تقدّم خلال هذه

١ | يعود تاريخ الكلمة إلى العام ١٩٩٦م.

المدّة في القطاعات المختلفة. فإيران اليوم ليست كما كانت عليه في أيام الحكم الشاهنشاهي الجائر من تخلف واضطراب وحرمان. فالخدمة والعمل الذي أنجز في هذا البلد خلال هذه المدة من عمر الثورة، لم يتحقق طوال عهد ذلك النظام المهترئ. هذه نقطة أولى.

١٩٦ - والنقطة الأخرى، أنّ هذا التقدم قد حصل في وقت كُنّا فيه على الدوام عرضة لتهديد الأعداء، وأعني بهم أمريكا وأعوانها في المجالات السياسية والاقتصادية، فقد هددونا بالحصار الاقتصادي وبالموت جوعًا تارةً، وأنّ طريق البناء سيغلق في هذا البلد تارةً أخرى، وعشرات التهديدات الأخرى. وأنّ كل هذا التقدم قد أنجز – بحمد الله – في ظل التهديد والعداء والضغوط.

١٩٧ - والنقطة الثالثة هي: أن يعلم أعزائي، وإخواني وأخواتي، وأبناء الشعب المجيد، بأنّ الهدف الأساسي لأمريكا والاستكبار اليوم هو إرغام الثورة والجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني على التراجع عن كلامه وعن كلام الإمام. وهي ما انفكت تركّز مساعيها على هذا الجانب، لماذا؟ لأنّها ترى أنّ رسالة الإمام أيقظت الشعوب الإسلامية.

انظروا كيف تأثرت شعوب العالم المختلفة وخاصة الشعوب الإسلامية برسالة الإمام!.

١٩٨ - وقد أدرك الاستكبار أنّه إذا أراد للشعوب البقاء في سبات، وصرفها عن الطريق الصحيح وملازمة مكانها، فليس أمامه سوى أن يقوم بعمل يجعلها ترى أنّ إيران الإسلامية وإيران الإمام تراجعت عن نهجها، لكي يوقع الجميع في اليأس ويثنيهم عن عزمهم. وقد أدرك الاستكبار هذه الحقيقة وكرّس كل جهوده من أجلها.

يضغطون اليوم على الجمهورية الإسلامية من جميع الجهات، لأجل أن تبدي اللين إزاء إسرائيل، والتنازل عن رفع الشعارات الإسلاميّة، وعدم التحدث بهذا القدر عن الإسلام والقرآن – وهما القاسم

المشترك بين الشعوب الإسلاميّة، لقد كانت كل هذه الضغوط من أجل ذلك.

١٩٩ - إذا أراد الشعب الإيراني مواصلة طريق العزة والتقدم والتنمية والبناء والرفاه، وبلوغ النتيجة المرجوة[١] فالسبيل إلى ذلك هو الاستقامة والصمود في مقابل الأعداء والاستكبار.

حقق الشعب الإيراني خلال هذه السنوات إنجازات كبرى، ومن البديهي أن يحافظ عليها.. وإنّ السبيل الوحيد الذي يتيح لشعب إيران والمسؤولين صيانة هذه الإنجازات، وتقديم المزيد من العطاء يكمن في مواصلة النهج الذي اختطه الإمام بمسيرته، وهو نهج الاستقامة والصمود بوجه مطامع الأعداء وبوجه الهراء والثرثرة الذي تتفوه به حفنة أفراد من خلف الحدود وتفصح فيه عن مطامعها بهذا الشعب.

ولكن ما هو «خط الإمام ونهجه» الذي يتكرر ذكره؟ إذا قلنا «إنّ خط الإمام هو الإسلام والثورة»، فهذا الموضوع يعتبر طرحًا عامًّا. من الواضح أنّ خط الإمام هو خط الثورة والإسلام، وما من شخص لديه اعتراض على الإسلام والثورة. وإن العامل القادر على تحقيق غاية هذا الرجل الفذ – الذي يعد أبا لهذه الثورة وبانيًا لإيران الإسلامية – هي الاستقامة التي أبداها هذا الرجل العظيم بسلوكه، ولم يتنازل أمام الأعداء ولم يَرهبهم، ولم يتزلزل أمام التهديدات. وليس بوسع أحد اتهام الإمام بأنَّ ما فعله كان خلافًا للتدبير السليم، أبدًا. فلو أنّ جميع عقلاء العالم دقّقوا وحلّلوا لأدركوا أنّ السبيل الصحيح هو السبيل الذي سلكه ذلك الرجل، وهو السبيل المؤدي إلى أهدافه. وكل من له هذا الهدف فطريقه هو الطريق نفسه الذي سار عليه هذا الشخص العظيم.

٢٠٠ - يجب على الشعب الإيراني بأسره وعلى جميع المسؤولين وجميع القطاعات المختلفة اتخاذ صمود الإمام بوجه طموحات

١ | استطراد القائد: كما حصل خلال هذه السنوات بحمد الله من تقدم ونشاط في القطاعات المختلفة بفضل السواعد المقتدرة وببركة الخدمة التي تؤدّيها الجمهورية الإسلاميّة.

الأعداء قدوة لها. وإذا شاءت الشعوب الأخرى بلوغ مرحلة مرموقة فطريقها هُو ذا. وإذا أريد لقضية فلسطين أن تُحلّ، فطريق الحل يكمن في هذه الاستقامة وفي هذا الصمود. وإذا أريد للقضايا المختلفة الناتجة عن التدخّل الاستكباري في منطقتنا أن تحل، فطريقها هو هذه الاستقامة.

وليعلم الشعب الإيراني أنّه لولا هذه الاستقامة، ولو لم يُبدِ إمامكم هذه الاستقامة، لما كانت اليوم أراضي إيران بأيديكم، ولغيّر العدو هذه الحدود، ولبقيت قدم المعتدي تطأ أرضكم، ولكان هذا مصدر عار أبدي على الشعب الإيراني. فاستقامة هذا الرجل وصموده هو الذي حال دون ذلك.

واليوم أيضًا، إذا أردتم لإيران العزة والرفعة، وإذا أردتم لأهداف الإمام – وهي أهداف الإسلام والثورة والأهداف الأساسية لشعب إيران – أن تتحقق، فالسبيل إلى ذلك هو الصمود بوجه أطماع العدو...

يقف اليوم جميع أبناء الشعب، كزبر الحديد بوجه أطماع العدو، ولا يهتزون قيد أنملة أمام تهديداتهم. وهذا هو طريق العزة وطريق السلامة. ١٣٧٥/٣/١٤

٢٠٢ - ها هي اليوم قد تحققت يقظة العالم الإسلامي وافتضح أعداء الإسلام، فلا بد من مواصلة هذا الدرب الذي بإمكانه البلوغ بهذا الشعب إلى أهدافه الحقيقية، أي تلك المجموعة من الأهداف المتمثلة بالعزة والمعنويات، الاقتدار، الرفاه، والشموخ العلمي، تلكم الأمور التي ينشدها ويعشقها كل شعب، وهو ما سيوصلنا إلى ذلك الطريق الصائب الذي مضى به أبناء الثورة والإمام. غاية الأمر أن ذلك مشروط بالاستقامة التي تعني عدم تضييع الطريق، وعدم الانخداع بالمظاهر المادية، وعدم الانقياد للأهواء والنزوات، وعدم التخلي عن الأوامر والفرائض الأخلاقية والمعنوية وآداب الإسلام، وعدم الانكباب على اللذات وحب الدعة، فهذه الأمور أساس العمل، ويتعين أولًا أن يلاحظها المسؤولون من الطراز الأول والثاني في البلاد وكبار المسؤولين والقادة، ثم من بيدهم العناصر المؤمنة التي

تتطلع للاحتفاظ لنفسها بمفخرة تقدم النظام الإسلامي وتحقق الأهداف الإسلامية أمام الله والبشر والتاريخ. ١٣٨١/٧/١٧

ملحق: الفتنة

٢٠٣ - وردت في نهج البلاغة مجموعة كلمات كثيرًا ما يُستند إليها؛ منها «الفتنة»؛ في النتيجة إن ما نفهمه من الفتنة أنها «حالة التلوث بالغبار» وإن خاصية الفضاء الملوّث هو ما تقولونه وتذكرونه، أي أشخاص بعضهم لا يعرف بعضًا. كذلك فإن خصوصية الغارة الليلية هي هذه؛ يغير العدو ليلًا بمجموعة قليلة على المخيم، ثم ينسحب بسرعة ويربض جانبًا، وجماعتنا (أصحابنا) في سبات؛ وعند الإفاقة تسلّ السيوف ويقاتلون عدوًّا وهميًّا؛ هذه هي الفتنة. عندها لا تتعجبون كثيرًا؛ فالفضاء ملوث بالغبار وتحدث مثل هذه الوقائع. في مثل هكذا ظرف، تسمعون مقولة: «اقتتل موسى مع موسى». وعندما تنجلي (غبار) الفتنة، يرى الإنسان الاصطفاف، فيرى من الذي وقع أرضًا ومن الذي نجا منها وحفظ نفسه. ١٣٧٩/٢/٢٤

٢٠٤ - الفتنة هو ذاك الغبار الذي يتحرك الناس في فضائه بعيون مغلفة يخبطون بأيديهم، فهم لا يشاؤون ذلك ولا يدرون. الفتنة هي نفسها التي تُوجِد في مجتمع جوًّا وفضاءً تجعل الناس لا يتعرّف بعضهم على وجوه بعض، فيرفع الأصدقاء والأخوة سيوفهم بعضهم على بعض وينزلون ذبحًا وتقتيلًا بعضهم ببعض؛ هذه هي الفتنة. ١٣٦٢/٤/٧

٢٠٥ - الحرب ليست فتنة؛ الحرب التي يذهب فيها الإنسان إلى الشهادة أو ليؤازر ويكون إلى جانب الشهداء، أو ليصبح جريحًا أو يغدو معوقًا، فيلحقه الوعد الإلهي، فكل نتائجها حسنة. ﴿**هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا**

إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾[١] النصر أو الشهادة؛ وكذا الهزيمة والانكسار هي نصر أيضًا. ليست من الفتنة ولا يقال لها فتنة. تحضر الفتنة وتوجد عندما يفقد الإنسان البصيرة، لا يعي ماذا يحدث، هو الانحراف والضياع، وكلما تحرك يبقى في مكانه الأول لا يلوي على شيء، هذا ما يقال له الفتنة، إنه الغبار والتلوث به فلا انقشاع للأفق ولا وضوح للمستقبل. ١٣٦١/١٢/١٩

٢٠٦ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنما بدءُ وقوع الفتن أهواءٌ تُتَّبَع وأحكامٌ تُبتدعْ يُخالَف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجالٌ رجالاً على غير دين الله**»[٢]. يبين الإمام علي عليه السلام منشأ الفتن. من أين تنهض؟ أين هو مركز الفوضى والاضطراب والضياع والاعوجاج في المجتمع؟ الفتنة هي ذاك التشرّد والضياع والتخبط الذي يظهر في المجتمع فيصرف الناس ويجرّهم إلى الحيرة والتيه وضلال الطريق، ويزيل الخطوط الواضحة ويضيعها أمام أعين الكثيرين من قصيري النظر. وفي النتيجة، تُوجِدُ امتحانًا كبيرًا في المجتمع، امتحان الرؤية والمعرفة والتشخيص والاختيار.

من أين ينشأ هذا التخبط؟ «**إنما بدء وقوع الفتن أهواءٌ تتبع**»؛ تقع الفتن عندما تطاع الأهواء وهوس النفس وتسويلاتها. الأهواء موجودة لدى الجميع، والأهواء النفسانية موجودة لدى الناس بشكل مضمر ومكنون؛ إلا أن المرتجى والمتوقع من إنسان مؤمن يتّجه نحو التكامل أن يُلقي هذه الأهواء جانبًا عندما يظهر تنافر وتضاد بينها وبين الفكر الصحيح والسبيل المعروض بواسطة أدلّاء الطريق، أي الأنبياء والعقل، العقل الإنساني؛ وأن لا يسلك طريق هذه الأهواء.

٢٠٧ - عندما لا تُؤدَّى هذه الوظيفة الإنسانية ويُسلك سبيل الهوى «**وأحكام تبتدع**» وتختلق أحكام وأنظمة في المجتمع لا تناسب فطرة الإنسان وطبيعته ولا تستند إلى أصول الدين؛ تظهر الفتن وتبدأ «**إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها**

١ | سورة التوبة، الآية ٥٢.
٢ | نهج البلاغة، الخطبة ٥٠.

كتاب الله»؛ ففي هذه الأحكام وهذه الأنظمة والخطوط – التي ظهرت في المجتمع نتيجة اتباع الأهواء والرغبات والشهوات – يخالف كتاب الله. وينحّى هذا المشعل جانبًا وهو ما ينبغي أن يرشد ويهدي «**ويتولى عليها رجالٌ رجالًا على غير دين الله**» تبتدع هذه الأحكام والقوانين بطريقة تجعل أشخاصًا، ليسوا أهلًا وغير كفوئين ولا تتوفر فيهم المؤهلات والشروط المطلوبة، حكامًا وولاةً.

٢٠٨ - هذه بداية الفتن وقد ذُمّت الفتنة في القرآن بلسان صريح وقاطع؛ ففي موضع منه جاء ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾[١] وفي موضع آخر: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾[٢].

٢٠٩ - يتمّ التركيز في حديث أمير المؤمنين عليه السلام على هذا المطلب؛ وهو أنّ النتيجة الباطلة للأنظمة التي تنشأ وتصدر نتيجة الأهواء؛ والتي لا تراعي مباني وأصول كتاب الله أن تجد رجالًا يمكن أن يتولوا الحكومة والزعامة ولا أهلية لديهم لهذا المنصب وهذه أكبر فاجعة. وإن أكبر فاجعة في تاريخ البشر قد أوجدها تولي أناسٍ غير صالحين؛ لذلك ترون أنه ومنذ صدر الإسلام وإلى اليوم أن أكثر الاختلافات والمواجهات التي وقعت بين الحق والباطل وبين الأطراف والتيارات المختلفة كانت حول مسألة الإمامة والولاية والحكومة، وأنه طوال التاريخ كان الفراعنة والطواغيت والجبارون الذين شوّهوا التاريخ وحرفوه هم أنفسهم الحاكمين بغير حق، وهذا أصل مسلّم به.

٢١٠ - ليست مسألة اختيار الوالي والحاكم بالقضية الصغيرة والحقيرة. فالدّقة في هذه المسألة، فرض واجب لا يقبل الترك، وليس موردًا مستسهلًا، وليس محلًّا لغض الطرف عن الأصول، ومكانًا لعدم الأخذ بالاعتبار الانحرافات حتى لو كانت في زوايا وموارد صغيرة جدًّا ودقيقة، لأن هذه الزاوية الصغيرة نفسها والمحدودة التي لا تلفت نظركم اليوم كثيرًا، ستوجِد في حياة الناس

١ | سورة البقرة، الآية ٢١٧.
٢ | سورة البقرة، الآية ١٩١.

فيما بعد، مع مرور الوقت، دائرةً واسعة وفضاءً رحبًا من الانحراف وهذا الشيء سيأتي بالفجائع لمستقبل التاريخ؛ لذلك من غير المسموح غضّ الطرف وإغماض العيون وعدم الملاحظة والدقة ولا مجال لتجاهل الشروط والضوابط؛ فلو تجرأ الإنسان في أي مكان آخر على مخالفة الأنظمة والشروط، فلا ينبغي أن تجره هذه الجرأة إلى المخالفة في هذه المسألة، ينبغي معرفة الشروط والضوابط ومراعاتهما. ٥٨/١٠/١٧

٢١١ - ويقول الإمام علي في هذه الخطبة نفسها لو أنّ الحق ظهر للناس واضحًا جليًّا لما استطاع أحد التفوّه بشيء ضدّ الحق. ولو ظهر الباطل بشكل واضح لما مال الناس نحوه؛ «ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان»؛ فالذين يريدون إضلال الناس لا يعرضون الباطل خالصًا بل يمزجون الحق بالباطل فتكون النتيجة: «فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه». يشتبه الحق حتى على أنصار الحق؛ عندئذٍ تصبح البصيرة أوّل واجباتنا.

يجب أن لا نسمح بامتزاج الحق والباطل. ١٣٨٨/٧/١٥

٢١٢ - «**واحذروا بوائق النقمة وتثبتوا في قتام العشوة**» انتبهوا واحفظوا طريقكم في الفضاء الحالك بالفتن المملوء بالغبار. «العشوة» مأخوذة من هذا المعنى «الدوخة والدوار»؛ و«قتام» أيضًا بهذا المعنى؛ يعني أن يواظب الإنسان ولا يضلّ طريقه وسط الغبار المنتشر والجو الملوث والمناخ المليء بالضباب؛ لأنه في الفضاء الصافي يقلّ احتمال ضلال الطريق، «واعوجاج الفتنة». احذروا أن تضلوا الطريق عندما تقبل الفتنة باعوجاجها.

٢١٣ - «**عند طلوع جنينها وظهور كمينها**». عندما تُظهر الفتنة مخبوءاتها ومكنوناتها تظهر عواملها الموجودة داخلها بغتة. ليس الأمر أن نقول إنه عندما تظهر الفتنة نقف أمامها؛ أبدًا. تظهر الفتنة بعد الجنين والكمين؛ بمعنى أنها تكون مخفية ومغطاة في البداية؛ تُوجدها عوامل وعناصر وقد حان وقت ظهورها. وبعد ذلك، يصعب الرجوع عن هذه العوامل، بمعنى أن الرجوع والعودة سيأخذ وقتًا.

لذلك يجب السعي كي لا تتوفر عوامل الفتنة.

«**وانتصاب قطبها ومدار رحاها**»[١] تستحوذ هذه العبارة، من الجهة الأدبية والبلاغية، على مستوىً رفيع من الجمال والروعة. وفي الحقيقة؛ فإن ما يبعث على الدهشة أن شخصًا [كأمير المؤمنين عليه السلام] عندما يتكلم فإن كل ما يجري على لسانه يكون في غاية الجمال والذوق الأدبي؛ فهذه العبارات تريد الإشارة إلى أنه عندما تستيقظ الفتنة وتخرج من مكمنها وتظهر نفسها وتهجم عليك فجأة؛ قبل ذلك تكون أنت قد أوجدتَ في داخلك عناصرها وعواملها. لذا، ينبغي الحذر والتيقظ. بمعنى أنه يجب أن لا تحدث هذه الغفلة[٢]. فعندما لا نكون غافلين؛ يعني أننا متنبّهون ومدركون للاتجاه والهدف عند السير إليه. ولو تقدمنا وسرنا ونحن في سكر وغفلة، فسنرى أنفسنا فجأة في حقل ألغام وعندها لن يكون من السهولة العودة والرجوع. يرى الإنسان أحيانًا أنه وقع في حادثة لن يتيسر له الخروج منها بسهولة؛ أما إذا كان ملتفتًا وحذرًا منذ البداية ولم يصبه السكر، يمكنه التقدّم. ذُكر في هذه الخطبة وفيها آثار سكر النعمة. ١٣٧٤/١١/٤

٢١٤ - [إشارة إلى فتنة زمن بني صدر][٣]... إن خاصية الفتنة هي الشبهة، ووقود الشبهة الشك والتردد، ونتيجة الشك التوقف، ولازمة التوقّف في أي حركة اجتماعية التخلّف. هؤلاء [الأعداء] يريدون ذلك. فمن الفتنة يبدأ المفسدون[٤].

٢١٥ - ما هو الشيء الذي يقضي على الفتنة حتى لا تظهر الشبهات؟ المعرفة والوعي؛ البصيرة؛ وإن بصيرة الناس قد أخمدت غبار الفتنة؛ وقد لاحظتم أن الحركة التي قامت بها الناس جعلت آمال كل المتربصين بالثورة سرابًا. أقول لكم بضرس قاطع، إن أعداء

١ | **نهج البلاغة**؛ الخطبة١٥١.
٢ | السكر حتى الثمالة.
٣ | أول رئيس جمهورية في إيران؛ بعد انتصار الثورة بداية الثمانينات؛ وقد خان الثورة والشعب وتآمر وفر خارج البلاد.
٤ | بمعنى يستغل المفسدون الفتنة وينهضون فيها.

الثورة وأجهزة التآمر العالمي هم في جَلَد وليس لديهم سبيلًا غير ذلك[١].

فما إن تظهر بوادر أي حركة شعبية يتآمرون عليها ويئدونها بمهدها، يخططون، يبثون الدسائس. هذا هو عملهم، وفي أيديهم أموالٌ طائلة. إن رسالة وأهداف الأجهزة التجسسية هو ضمان المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية للقوى العظمى؛ ليس لديهم عمل غير ذلك، لذلك فهم يغذّون معارضي الثورة. وإذا ما فقدوا التواصل مع شخصٍ أو تيارٍ أو حركة يذهبون إلى شخصٍ آخر وحركةٍ أخرى، لذلك لا تظنوا يومًا أن مؤامرات أعداء الثورة ليست في كمين وأنهم لا يتربصون بكم الدوائر، كونوا دائمًا متيقظين وحافظوا على وعيكم ومعرفتكم. وهذه وصية الإسلام لنا. إن قول أمير المؤمنين عليه السلام دائما: «**من نام لم يَنَم عنه**». إذا خلدتم إلى النوم، فالعدو المتربص بكم يقظ. لقد سدّدتم لطمة إلى أعداء الثورة؛ لكن عليكم أن تبقوا قبضاتكم مستعدة للدفاع ... لذلك؛ كونوا على أهبة الاستعداد، تنبهوا واعلموا أن الدقة والنظر الثاقب والوعي، وأنّ كون أصحاب القلوب البصيرة والأعين المبصرة على معرفة بأي حركة خفيّة للعدو باستطاعتها أن تقضي على أعداء الثورة؛ واحفظوا هذه الدقة والفطنة والوعي واليقظة. ١٣٦٢/١١/١٠

٢١٦ - لقد شبّهت الفتنة بالغبار؛ فعندما يقع اشتباك ومواجهة بين جماعتين وترون الغبار قد بلغ عنان السماء يصعب هنا تشخيص العدو من الصديق، هذه هي الفتنة. بالطبع، ذكرتُ أن التشخيص أثناء تصاعد الغبار صعب لكنه ليس محال؛ بمعنى أن الإنسان الواعي المدرك والحاذق الموفق والذي لا ينظر إلى الأمور ببساطة واستخفاف بإمكانه – في خضمّ الأمر – أن يدقق ويميز هنا. يستطيع تشخيص الصديق من العدو، من خلال الشعارات والسلوك واللباس ومن العلامات والقرائن المختلفة.

في الخلاصة، التنبه والحذر أمر ضروري. وإن الناس الغافلين

١ | أي غير الفتنة.

والسطحيين الذين لا يفعّلون قواهم العقلية يحبون في المسائل هكذا: أن يشخصوا بنظرة أولى؛ يحدّدون شيئًا يتبعونه ولا يسعون وراء الحقيقة، فهؤلاء قد سقطوا في فخّ الفتنة. ١٣٦٥/٣/١٢

٢١٧ - إذًا لا يقال إن الإنسان في الفتنة لا يستطيع الظفر بالحق والباطل؛ وإلا ما كان على الناس تكليف! لماذا؟ لأن الإنسان يستطيع أن يميز الحق عن الباطل في زمن الفتنة؛ لكن بشرط التدبّر والتفكّر والقياس الصحيح للظروف والأحوال وعدم اتباع هوى النفس. وإذا ما نحى الإنسان، في زمن الفتنة، الحب والبغض الشخصي والسطحي جانبًا، بإمكانه أن يجد الحق. لكن الأمر صعبٌ، ليس سهلًا؛ فالكثيرون يتزلزلون في الفتنة؛ هذه هي الفتنة؛ شأنها شأن الغبار المنبعث في جوّ السماء؛ فعندما تشتبك مجموعتان؛ ويملأ الغبار عنان السماء فلن يفهم القادم حديثًا حقيقة الأمر ولن يستطيع تمييز عدوه من صديقه، وغالبًا ما ينخدع؛ ولكن إذا التفت هذا الشخص الداخل إلى هذه الساحة ولاحظ الإشارات والعلامات التي علّمه إياها أصدقاؤه وبحث في هذه العلامات سيعرف؛ وعلى جميع الأحوال يختلف الأمر فيما لو كان الجو صافيًا دون غبار. ١٣٦٥/٣/٩

٢١٨ - بالطبع لا فتنة من فتن التاريخ تبقى إلى الأبد؛ عندما يرقد الغبار وينقشع الجو فتنظر جماعة لترى نفسها على الطريق لحسن الحظ؛ هؤلاء قد انتبهوا ولم يحيدوا عن الطريق. وجماعة أخرى تنظر فترى أنها قريبة من جادة الحق وعلى أطرافها وحواشيها، وجماعة أخرى تنظر فترى أنه قد ألقي بها في الفلوات والصحارى لوحدها، فمهما علا صراخها لن يأتيها أحد؛ فهي قد ابتعدت. إلا أن الذين وقفوا بعيدين عن الجادة الصحيحة وكذلك الذين أصبحوا على جانبيها، فإن عقلاءهم وذوي الفهم فيهم يأتون وينهضون مباشرة ويبحثون عن الطريق فيجدونه؛ لكن أهل العناد واللجاجة، يكملون سبيلهم [الطريق الخاطئ]. حسن! أنت وجدت نفسك قد وقعت بعيدًا عن الجادة الصحيحة؛ وجدت نفسك قد أخطأت، لما لا زلت تصرّ؟! حسنٌ، اذهب واسلك الجادة؛ اعرف قدر هذه اللحظة فالجوّ قد صفا والشمس سطعت؛ والغبار رقد؛ بعضهم لا يهتم بهذا الأمر.

٢١٩ - طبعًا، فالله تعالى يتمُّ الحجة دائمًا، ولا يدع للناس عليه سبيلًا وحجّة ليقولوا إنك لم تتمّ الحجة علينا، ولم تبعث هاديًا ولذلك ضللنا وسلكنا في الطريق الخطأ. وكثيرًا ما يذكر هذا المعنى في القرآن. إذ يمكن رؤية يد الآية الإلهية في كلّ مكان، لكن ذلك يحتاج إلى عين مفتوحة. إذا لم نفتح أعيننا، فلن نرى هلال الليلة الأولى من الشهر، لكن الهلال موجود. يجب أن نفتح أعيننا وننظر وندقّق ونستثمر جميع إمكاناتنا حتى نرى هذه الحقيقة التي وضعها الله أمام أعيننا.

المهمّ هو أن يمارس الإنسان هذا الجهاد، إنه جهاد لصالح الإنسان نفسه. والله تعالى يمدّه بالعون. ١٣٨٨/١٠/١٩

٢٢٠ - في قضايا الفتنة الأخيرة هذه[١]، أخطأ بعضهم بسبب عدم البصيرة. حصل ادّعاء بالتزوير في انتخابات حاشدة وعظيمة، حسنًا، إن طريقه واضح. فإذا اعتقد أحدٌ أنّ هناك تزويرًا، عليه أولًا أن يستدلّ، أن يقدّم دليلًا على وجود التزوير، ثمّ بعد أن يقدّم دليلًا أو لا يقدّم، القانون هو الذي يحدّد طريقة المتابعة، يمكنه أن يتقدّم بشكوى. ينبغي التحقيق وإعادة النظر، من خلال أشخاصٍ محايدين لينظروا كي يتبينوا وجود التزوير أو عدمه، هذا هو سبيله الوحيد. إن لم يرضخ شخصٌ للقانون ولم يقبل به – مع أني ساعدت كثيرًا: فقد قمت بتمديد المهلة القانونية، حتى قلنا لهؤلاء فليأتوا ويعيدوا فرز الأصوات أمام عدسات التلفاز – يكون قد تمرّد[٢]... يرجى الانتباه. ليس الهدف أن نعطي رأينا بالقضايا الماضية، نحن هنا نضرب مثلًا. إذن، اكتساب البصيرة ليس بالأمر الصعب. إذا نظرتم فسترون أنّ هناك طريقًا معقولًا وقانونيًّا ومن يتهرّب ويقوم بعمل يسبّب الأضرار للبلد، فهو يُسَدِّدْ ضربة للمصالح الوطنية، ومن الواضح أنّ هذا الشخص مدان بالمعايير العادلة وغير المتحيزة، هذا شيء واضح. فلاحظوا إذن، إن المطالبة بالبصيرة ليست مطالبة بأمرٍ

١ | مشيرًا إلى انتخابات لعام ٢٠٠٩ (وسميت فتنة عام ١٣٨٨) وما رافقها من أحداث محورها ادعاء التزوير والدعم الإعلامي واللوجستي والسياسي للجماعات المعترضة...

٢ | شعارات مدوية يطلقها الحضور بالحفظ للقائد والموت لأعداء ولاية الفقيه.

صعب وغير ممكن.

... تكليف شبابنا اليوم في هذا المجال ثقيل، ليس المطلوب منكم فقط أن تعرفوا أنتم الحقيقة، بل إنّ عليكم أن تجعلوا جوّكم ومحيطكم الخارجي ذا بصيرة أيضًا وأن توضحوا القضايا للآخرين.

هناك نقطة أساس وهي أن الباطل لا يظهر دائمًا أمام الإنسان بشكل واضح وجليّ ليعرف الإنسان بأن هذا هو الباطل، غالبًا ما ينزل الباطل إلى الميدان بلباس الحق أو بجزء من الحق.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا بَدْء وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاء تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتابُ اللهِ»، إلى أن قال: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ البَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ»، أي أن الحق والباطل لو كانا صريحين واضحين وسط الميدان لما بقي مجال للاختلاف، فالجميع يحبّ الحق ويكره الباطل، «وَلكِن يُؤْخَذُ مِنْ هذَا ضِغْثٌ، وَمِنْ هذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ»، يخلط جزء من الحق مع جزء من الباطل فلا يكونان متمايزين وعندها يشتبه الأمر على المخاطبين. فيجب مراقبة هذا بشكل جيد.

طبعًا، هناك من يشتبه. لا يمكن اعتبار الجميع مقصّرين. نحن رأينا كيف أنّ بعضهم قد أخذ أموالًا بعنوان هدية أو بعنوان تودّد وتقدير، فأخذوها منهم ولم يفهموا أنّ هذا اسمه رشوة. ما يجري في عالم الواقع يشبه بعضه بعضًا، لكنّ التفطّن إلى أن اسم هذا رشوة أو لا، هو المهم. أنت توافقت معه على أن تنجز عملًا بناء على رغبته، هو يأتي ويقبّل يدك ويدفع لك مالًا. حسنًا، هذا اسمه رشوة، والرشوة الحرام هي هذه.

٢٢١ - المؤمن دائمًا في حالة مواجهة: حتى ماذا؟ ﴿**حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾[1] طالما هناك فتنة تتصاعد في الأرض؛ فهو دائمًا في

١ | سورة البقرة، الآية ١٩٣.

حالة مواجهة؛ فالمواجهة قد تكون أحيانًا في صورة هجوم، وأحيانًا بصورة دفاع. لذلك جاء في إحدى الروايات: «المؤمن مجاهد»[١]؛ المؤمن مشغول دائمًا بالجهاد والمواجهة، في دولة الحق بنحو وفي دولة الباطل بنحو آخر. ففي دولة الباطل، تكون المواجهة من خلال التنظيم والتدبير والمواجهة السرية، وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها المؤمنون دائمًا. أي أنه في دولة الباطل بالتقية، وفي دولة الحق بالسيف. ١٣٥٩/٦/٢١

٢٢٢ - إن الذي ينشط في العمل السياسي، ومن يقوم بالعمل الثقافي والفكري، وذلك الذي يقوم بالعمل العسكري، هو حالة مواجهة مع العدو إما علنًا وجهًا لوجه أو في مواجهة عدو مخفي ومستتر خلف ستار. على أي حال، لا ينفصل المؤمن عن المواجهة؛ وإن عبء المواجهة ثقيل جدًّا؛ بمعنى أنه لا عبء أثقل من عبء الحرب والقتال وبلاؤهما صعبٌ؛ لأن آثارهما لا تقتصر على الجراح والألم والمعاناة؛ فالإخفاقات والخوف والرعب، والارتعاب، تقف دائمًا على رأس طريق المواجهة، وإن المجاهد الحقيقي هو الذي لا يستولي عليه الرعب؛ وإن الشرط الأول للمواجهة والقتال هو عدم الخوف؛ أن لا يشعر المؤمن بالخوف أمام أي عدو؛ وما قد سمعتموه من الإمام رضوان الله عليه حيث كان يردد دائمًا: إن ما لدينا وما نقصده هو رضى الله تعالى، سواء وصلنا إلى النتيجة أم لم نصل؛ الهدف هو أن نؤدي تكليفنا؛ عندما يصبح فكر الإنسان على هذا النحو فلن يرتعب. لذلك، فإن المواجهة (الحرب) هي أصعب وأشد من كل بلاءات الحياة واختباراتها. ١٣٥٩/٦/٢١

٢٢٣ - [مشيرًا إلى فتنة ١٨ تير ١٣٧٨ (١٩٩٩)] الفتنة هي هذه. إذا ما أردنا الغوص في تحليل اجتماعي لقضايا من هذا القبيل فعلينا البحث عن الجذور. فيما يرتبط بالفتنة يخطئون كذلك في التعرف على الجذور. وقد رأيت وأسمع وأرى ماذا يقولون وماذا يكتبون؛ فأحيانًا تكون معرفة الجذور غير صحيحة: وتكون جزءًا من الفتنة.

١ | وسائل الشيعة، الجزء ١٦، الصفحة ٢٠٩.

إذًا فالمشكلة ليست ناشئة من أن هناك شخص يتصور أنه ينبغي أن نحارب كل من هو معارض للدين، وإذا فعل ذلك فإنه يكون قد أوقع نفسه في التهلكة. فالمسألة لا تبدأ من هناك بل من هنا: من يعارض الدين ومن لا يعارضه! الفتنة هي من هنا. لذلك عندما يأتينا شخص ويقول: أيها السيد فليتم محاربة كل من يخالف الدين، فهذا ليس منشأ القضية، وإن المنشأ هو ذلك الشخص الذي يثير الغبار، وعند ذلك لا أستطيع رؤيتك أنت – كصديق لي – في الغبار ولا أعرفك. فأرى جسمًا شبحًا، لكن لا أعرف من هو. راقبوا الفتنة ولتروا من أين تأتي إثارة الغبار! ذلك هو المهم. ٢٢/٢/ ١٣٧٩

٢٢٤ - وأشير إلى نقطةٍ أخرى هي أنّ بعضهم يُسيء فهم هذه العبارة «كن في الفتنة كابن اللّبون لا ظهر فيُركَب ولا ضرعٌ فيُحلَب»[١] ويتوهّمون أنّ معناها هو أنّ الفتنة إذا اشتعلت وتشابهت الأمور فعليك الاعتزال. ليس معنى هذه العبارة مما يفيد الاعتزال إطلاقًا. بل معناها أن لا يستطيع صاحب الفتنة استخدامك على الإطلاق. «لا ظهرٌ فيُركب ولا ضرعٌ فيُحلَب» لا يستطيع أن يركبك ولا يستطيع أن يحلبك؛ ينبغي الحذر.

٢٢٥ - في حرب صفين، لدينا في جانب عمار بن ياسر الذي كان يخطب في الناس دومًا – انظروا الأعمال والآثار الخاصة بصفّين – وكان في هذا الطرف الجيش وفي ذلك الطرف جيشٌ مع مجموعات مختلفة، فقد كانت تلك الساحة ساحة فتنة حقًّا، حيث تحاربت فئتان من المسلمين وكانت فتنة كبرى اشتبهت على البعض، وكان عمّار ينوِّر الأذهان دومًا. يذهب إلى هذا الجانب وإلى ذاك الجانب ويتحدّث ويخطب في جماعات مختلفة – . من جانبٍ آخر، تشير الروايات إلى أنّ جماعة «نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود» جاءوا إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقالوا: «يا أمير المؤمنين – وكانوا يعترفون به أميرًا للمؤمنين – إنّا قد شككنا في هذا القتال»[٢]. فابعثنا إلى الحدود والثغور لكي لا نشترك في هذا

١ | نهج البلاغة، الكلمات القصار.
٢ | واقعة صفّين، الصفحة ١٥.

القتال! هذا الاعتزال هو بحدّ ذاته «ضرع فيحلب» و«ظهر فيركب»! فالصمت، والاعتزال، وعدم التحدّث يتحوَّل أحيانًا إلى ممارسات تساعد الفتنة. على الجميع في الفتنة، ممارسة التنوير والإرشاد، وعلى الجميع التحلّي بالبصيرة. ٢٠٠٩/٩/٢٤ ١٣٨٨/٧/٢

٢٢٦ - في أي وقت احتمل وقوع الفتن والمؤامرات: يجب العمل على إخمادها وإحباطها بالتبيين والتوعية. أينما وجد المبيّن والمبصّر والموضّح تُغلّ يدُ صاحب الفتنة وتقصر. وأينما أطلق الكلام جزافًا دونما هدف، والعمل دونما هدف، وأطلق النيران دون هدف؛ ووجه الاتهام دون هدف فهذا من دواعي سرور صاحب الفتنة لأن الساحة تمتلئ بالفوضى حينها. ١٣٧٨/٥/٨

٢٢٧ - عندما تقرأون ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾[١]؛ فالأمر بالنسبة لكم واضح إذ تعرفون جيدًا معنى ذلك؛ أي: واجهوا الاستكبار العالمي وقاتلوه وجاهدوه حتى تذهب الفتنة. وعندما تقرأون في القرآن في موضعين ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾[٢] أو ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾[٣] فهو واضح لكم. أليست الفتنة أسوأ من القتل؟ ما هي الفتنة؟ الفتنة هي الأعمال التي يقوم بها الاستكبار العالمي. الفتنة تعني أنه عندما يثور شعب فهو يريد أن يكون مستقلًّا، وأن يعيش بعقيدته وفكره فتأتي أيادي الاستكبار من الأنظمة التي في ظاهرها إسلامية والتي ليست إسلامية وكذا الأنظمة القريبة والبعيدة وتعمل وتسعى بشكل دائم للحؤول دون ذلك، حسن هذه هي الفتنة في الأخير. ١٣٦٤/٩/٢٨

٢٢٨ - ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾؛ إذا لم تنهضوا إلى الفتنة لتقضوا عليها فهي ستأتي إليكم، فليعلم الشعب الإيراني أن مؤامرات الاستكبار العالمي لن تتوقف لا اليوم ولا غدٍ ولا بعد غدٍ. يجب أن نجهز أنفسنا لمواجهة حرب طويلة الأمد معهم. قد لا تكون هذه الحرب حربًا عسكرية دائمًا؛ وقد لا تكون حربًا اقتصادية؛ حتى إنها

١ | سورة الأنفال، الآية ٣٩.
٢ | سورة البقرة، الآية ٢١٧.
٣ | سورة البقرة، الآية ١٩١.

قد لا تكون بمعنى الاصطفاف السياسي الواضح؛ لكن توجد أساليب أكثر خطورة للمواجهة. ١٣٦١/١/١٠

فتنة الجمل وفتنة الخوارج

٢٢٩ - الفتنة هي العنوان البارز في الأحداث التي تدعو إلى الاعتبار وهي درسٌ. عندما نطالع حياة أمير المؤمنين عليه السلام خلال فترة حكومته التي دامت أربع سنوات وعشرة أشهر، نرى فتنًا كبيرةً ألقت بظلالها على حياة الناس، خلال تلك الفترة القصيرة، وسلبت منهم قوة البصيرة والوعي. ١٣٦٥/٣/١٢

٢٣٠ - وإن الذين نجوا من الفتنة في مرحلة حكومة أمير المؤمنين عليه السلام هم أولئك الذين تحلّوا بالفطنة والوعي؛ وهذه خاصية الفتنة. يمكن القول إن الخصوصية الرئيسية لزمن أمير المؤمنين عليه السلام هي طغيان فتن عمياء طخياء كقطع الليل المظلم - كما عبر النبي صلى الله عليه وآله - ظللت حياة الناس في ذلك الوقت. ١٣٦٥/٣/٩

٢٣١ - وكان من بين الفتن التي ميزت حياة أمير المؤمنين عليه السلام وأخطرها - من بين فتن ثلاث كبرى - هي الفتنة الأخيرة؛ أي فتنة الخوارج وأصحاب النهروان؛ مع أنه عندما ينظر الإنسان يرى في الظاهر أن الفتنتين الأخريتين كانتا أكثر خطرًا ودموية ورعبًا وأكثر قسوة. ففي الفتنة الأولى، اصطفّ مقابل أمير المؤمنين عليه السلام بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله، وهي شخصيات بارزة ووجيهة في عالم الإسلام أيضًا، بالإضافة إلى زوجة النبي صلى الله عليه وآله وآخرين. كما أن مدينةً أو قسمًا من المجتمع الإسلامي كانت تنفصل عن المدينة، لأن البصرة التي كانت بوابة إيران، كانوا قد أصبحوا عمليًّا مسلطين عليها في معركة الجمل. فلو أنهم استولوا على البصرة وخرجت من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فيكون الإمام علي عليه السلام قد فقد إيران في الحقيقة. إذًا انظروا مدى أهمية القضية. فالمعركة كانت معركة دموية، قتل

فيها عشرون ألفًا. ١٢/٣/١٣٦٥

٢٣٢ - فيما يتعلق بواقعة طلحة والزبير وعائشة مع أمير المؤمنين عليه السلام. حسن، ماذا يجب على الناس أن تفعل؟ هذه الحادثة كانت من موارد الفتنة التي ذكرتها. لم تكن عائشة شخصًا عاديًّا، وكذلك طلحة والزبير، كان الزبير خارجًا من المعركة والتقى به شخص وقتله وأخذ سيفه وحمله إلى أمير المؤمنين عليه السلام؛ ما إن وقعت عينا أمير المؤمنين على سيف الزبير حتى كاد يبكي، نظر عليه السلام إلى سيف الزبير وقال: عجبًا لقد قتل؟ تأسف أمير المؤمنين عليه السلام على قتل الزبير؛ ثم نظر إلى سيف الزبير وقال لطالما أزال هذا السيف غبار الغمّ عن وجه النبي صلى الله عليه وآله. أمثال هؤلاء لم يكونوا أشخاصًا عاديين. ماذا يفعل الناس هنا؟ ما هو السبيل والحل؟ هذه هي الفتنة بعينها، هذا هو الغبار والدخان.

٢٣٣ - لا يصح أن تقارنوا معركة الجمل بمعركة بدر. فهؤلاء – أصحاب النبي صلى الله عليه وآله – كانوا حول النبي وفي كنفه ويعرفون جيدًا ما هي الجهة المقابلة لهم، نعم يعرفون! إن هؤلاء كفار، ويصدحون (أعلُ هبل) ويعبدون الأصنام وهم معروفون وممتازون عن غيرهم الذين يحيون لله ويجاهدون في سبيله. حسنٌ؛ كانت الحرب بين هاتين الفئتين؛ وكانت واضحة جليَة؛ إلا أن الذين كانوا في جهة طلحة والزبير – في النهروان – هل كانوا يعبدون هبل ويرددون (أعلُ هبل)؛ أبدًا فهؤلاء كانوا: ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وهو الزبير، وكان طلحة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله القدامى ومن أوائل الذين سبقوا في الإسلام وقبلوا دعوة النبي صلى الله عليه وآله وهاجروا معه صلى الله عليه وآله وحاربوا وذادوا عنه؛ وكانوا في زمن الخلفاء الثلاثة من الوجوه وذوي الشأن، وتمتعوا بالاحترام والتقدير الكبير؛ هؤلاء وقفوا في وجه علي عليه السلام.

٢٣٤ - حسن، هنا يغرق الإنسان البسيط والذي يفتقد القدرة على التحليل ويعلق؛ وإذا لم يقع في فخ أعداء علي عليه السلام، فعلى الأقل سينزع إلى الانزواء والعزلة. وكما يقال اليوم: (انهزم فاعتزل

جانبًا) سيقولون: لقد أُخذنا، هذه خاصية الإنسان السطحي والبسيط، لكن ألا يوجد هنا سبيل لمعرفة الحقيقة؟ لما لا! في الإسلام أصول، فلننظر إلى شخصية الإمام علي عليه السلام في قبال طلحة والزبير ولنقارن وضعَ علي عليه السلام مع وضع هذين الرجلين فسيُعرف الحق ويستبين؛ ليس المراد أن ننظر ونقول هذا علي عليه السلام؛ لأنه إذا ما جاء شخص وقال: هذا علي، فسيأتي آخر ويقول: ذاك طلحة.

انظروا إلى الأصول الإسلامية؛ إنّ طلحة والزبير صاحبا ثروات يعجزان عن عدّها؛ بينما علي بن أبي طالب عليه السلام ما زال يعيش حياة جندي متواضعة مثلما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وآله. أليس هذا معيارًا وميزانًا؟ عندما جاؤوا إليه ليسلّموه الخلافة قال لهم: دعوني والتمسوا غيري، كنت طوال خمسة وعشرين سنة وزيرًا للخلفاء؛ اذهبوا إلى غيري واجعلوه خليفة وأكون أنا وزيرًا له[1]. لم يكن حريصًا على جاهٍ أو منصبٍ أو موقع.

أما هذان الشخصان، فقد جاءا على جناحي السرعة من المدينة إلى مكة ومنها إلى البصرة طلبًا للجاه والمقام والمال، وجلبا معهما آلاف الأشخاص؛ ألا يصير هذا فارقًا ومائزًا؟ فأمير المؤمنين عليه السلام كان ذلك الشخص الذي لم يبذل أي جهد أو وسع للوصول إلى الوجاهة والسلطة والمحبوبية والسمعة. لكن هذين الرجلين عندما وصلا البصرة؛ وعند حلول وقت الصلاة؛ فمن منهما سيصلي إمامًا؟ من يتقدم؟

إذا وقف طلحة فالزبير غير راضٍ؛ وإذا وقف الأخير فالأول غير راضٍ! حصلت منازعة بينهما. ثم قدم مروان بن الحكم وسألهما من يتقدم إلى الصلاة؟ أنتما اثنان فليتقدم أحدكما. جاء محمد بن طلحة وقال: فليتقدم أبا محمد – أي والده – فجاء عبد الله بن الزبير وقال: لا، يصلي بنا أبا عبد الله – أي والده وحصلت منازعة بين

١ | عبّر القائد: مستشارًا له. ونص الرواية : دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان. لا تقدم له القلوب ولا تثبت عليه العقول. **نهج البلاغة**، الخطبة ٩٢.

هذين الشابين. ثم في الختام جاءت عائشة، وتدخلت في القضية وقالت لمروان بن الحكم خربت الديار! أنت بهذا الطرح توقع النزاع بين هذين، ولّي جانبًا، فليصلّ أحدهما اليوم ويصلي الآخر غدًا؛ يأتي أحدهما الليلة والآخر في الليلة التالية؛ حُلَّ النزاع بينهما بهذه الطريقة.

حسن؛ كانت الناس حينها تراقب وتنظر؛ ألا ينبغي أن تفهم وتميّز؟ وتدرك؟ فأمير المؤمنين إذا ما تحدّث عن الدنيا فحياته وسلوكه ينبئ عن ذلك ويدّل على أنه لا رغبة له بها ولا أنس. أما الآخرون فإنه بإمكانهما الحديث عن الدنيا إلا أنّ حياتهما لا تشير إلى ذلك ولا تتطابق معه. ١٢٦٥/٣/٩

٢٣٥ - في معركة صفّين، وقف في قبال أمير المؤمنين عليه السلام حاكمٌ متجبّر ظالم تمتّع بالقوة والنفوذ، مثل معاوية ومعه ولاية الشام تلك البلاد (الولاية) الغنية والقوية؛ وكان لمعاوية نفوذ حقيقي فيها؛ وليس كما يُتَوَهّمْ أنه لم يكن له محبوبية في تلك البلاد؛ لا أبدًا! كان له ذلك في واقع الأمر، فالمال وفير، وكذا الحنكة والدهاء المطلوب في الأعمال والمواجهة السياسية، ومعه أشخاص معروفون كعمرو بن العاص، وحربٌ قاسية دامية طالت قرابة المئة يوم، قتل فيها عشرات آلاف الأشخاص؛ وكانت حربًا على قدر كبير من الأهمية؛ وهنا، كما يظهر، كانت الفتنة أيضًا خطيرة وكبيرة، وشكلت الشام وجيشها خطرًا كبيرًا على علي عليه السلام.

٢٣٦ - مع وجود كل هذه الظروف، إلا أن فتنة الخوارج كانت - في نظري - أكثر خطورة وأهمية من هذين العاملين[1]؛ فقد كان المعارضون لأمير المؤمنين عليه السلام في هذين الحدثين في الأساس يسعون وراء مصالحهم السياسية وطمعهم بالسلطة والنفوذ؛ وكان هناك اختلافٌ جوهريٌ بينهم وبين أمير المؤمنين عليه السلام؛ إلا أن الأمر في النهروان لم يكن كذلك؛ فهؤلاء - المعارضون - أنفسهم كانوا من أهل الإسلام ومن محبي علي وإلى

١ | خطر الشام ومعاوية وصفين، وخطر حرب الجمل. (حسب سياق الكلام)

جانبه وقد حاربوا معاوية وأهل الجمل. وقد انزلقوا؛ وهنا الأمر أهم وأخطر.

٢٣٧ - فيما يتعلق بمعاوية ومعركة صفين؛ إن الذين أصبحوا في مواجهة الإمام علي عليه السلام لا يعرفون كثيرًا عن الإسلام، وهذه حقبة من الزمن كما كانت الشام واحدة من الولايات الواسعة التي كانت بيد الرومان وقد استولى عليها المسلمون في زمن الخليفة الثاني؛ وكان أول من جعل واليًا عليها شقيق معاوية – يزيد بن أبي سفيان – وقد شكّلت عائلة بني سفيان وأبناء أبي سفيان القنوات الوحيدة للإسلام مع الناس في تلك المنطقة، وفي الأساس، لم يكن الناس يعرفون الكثير عن الإسلام. وكان الإعلام الأموي الطاغي على تلك البلاد، يشيع أن الإسلام قد اختصر في مجموعة أشخاص، وهم الأصحاب المقرّبين للنبي صلى الله عليه وآله، أحدهم وأهمهم هو معاوية، على سبيل المثال. إضافة إلى أنه لم يكن يسمع شيء عن العمل الإسلامي، والزهد الإسلامي والأخلاق والأحكام الإسلامية، ولا خبر عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. كانوا حديثي العهد في الإسلام ولم يكن لديهم حتى ذلك الوقت ذلك القدر من المعرفة والارتباط بالإسلام والأحكام والمسائل الإسلامية، وكان من الطبيعي أن يصوّروا لهم أن ذلك الشخص – الذي اسمه علي بن أبي طالب عليه السلام والذي رفع في الكوفة لواء معارضة معاوية، – لا يصلي أصلًا. كان من السهل بمكان على الأبواق الأموية أن تبلّغ هؤلاء وتفهمهم ذلك، وهكذا صدّقوا به. ولذلك عندما وصل الخبر أن علي بن أبي طالب عليه السلام قد قتل في المسجد وفي المحراب تعجب بعض هؤلاء وذهلوا! وتساءلوا هل يذهب علي إلى المسجد؟! وا عجبًا! أيذهب إلى محراب الصلاة؟! ماذا كان لديه في المحراب؟ ولا عجب كذلك إذا لم يؤثر كلام علي كثيرًا في هؤلاء الناس؛ ولا همّ، وليست المسألة إثارة الدهشة والعجب.

٢٣٨ - إن واقعة الجمل وإن لم تكن تشبه واقعة الشام وصفين ١٠٠% إلا أن هناك وجه شبه بينهما؛ كانت هناك جماعة لديها طموحات وتوقعات رهبوا واستحوذوا على ولاية (منطقة). كانت

البصرة في هذا الإطار على هذا النحو أيضًا؛ فقد كانت من المناطق التي دخلت حديثًا في الإسلام وليس لها سابقة قديمة؛ لذلك، كانت هاتان الفتنتان من النوع الذي لم يكن الاشتباك والتقاتل فيها عميق بين نمطين من أصحاب الإيمان المخلص. لكن النهروان كانت على عكس ذلك.

فلو غضّينا النظر عن مجموعة الأشخاص الذين كانوا على رأس الطليعة – وهؤلاء كانوا من الخبثاء والفاسدين وسيئي النوايا – فبقية الأشخاص الذين صاروا في مواجهة عليعليه السلام ووقفوا في قباله وشهروا سيوفهم عليه، كانوا في الواقع أصحاب إيمان عميق وبصدق؛ كانوا من الحافظين لآيات القرآن؛ ومن الذين يُقتلون في سبيل إيمانهم وعقائدهم؛ فهذا مؤلم حقًّا!. وهذه هي الفتنة المؤلمة والعمياء الغليظة؛ وهي الفتنة الأشد خطرًا. ١٣٦٥/٣/١٢

٢٣٩ - المعضلة الأساسية في حياة أمير المؤمنين عليه السلام كانت مسألة الخوارجالذين هم حديثي العهد في الإسلام وكانوا يمتلكون مشاعر إسلامية لكن يفتقدون للوعي الإسلامي، أساس القضية هي هذه.

كان النبي صلى الله عليه وآله؛ خلال مرحلة الثلاثة عشر سنة في مكة أم خلال فترة العشر سنوات في المدينة؛ يعمل على تربية المسلمين وتوعيتهم لحظة بلحظة.

وكان معلم الوحي يرعى أمورهم ويوجه الناس خطوة بخطوة، في مختلف المسائل والقضايا: فيما يتعلق بالمعارف الإسلامية، وتجلي هذه المعارف في أعمال المسلمين وسلوكهم، فيما يتعلق بتوجه المجتمع الإسلامي، وما يتعلق بالتعامل مع التيارات الصديقة والعدوّة، فيما يتعلّق بمعرفة الأعداء والأصدقاء، وكل المسائل المطروحة في الإسلام. لذلك، فالجيل الذي تربى ونما مع النبي صلى الله عليه وآله كان جيلًا لديه الوعي والمعرفة العميقة بالإسلام. مضت ٢٥ سنة من ذلك العصر، حصلت خلالها فتوحات عظيمة في عالم الإسلام، وضُمّت بلدان كالعراق إلى الدولة الإسلامية،

ودخلت أجيال جديدة في الإسلام لم تكن قد عاصرت حياة النبي صلى الله عليه وآله. كان لدى هؤلاء العواطف والمشاعر الإسلامية والإيمان الإسلامي، لكن الوعي والإدراك فلا. لم يتعرفوا على التجارب السابقة والقضايا السالفة، وماذا جرى لهذه النهضة العظيمة منذ اليوم الأول وإلى زمانهم ووقتهم الحاضر. فقد تعرفوا على قضايا الإسلام وسمعوا عنها على ألسنة لم تكن جميعها باعثة على الاطمئنان ومحل ثقة، ولم تكن جميع هذه الألسن تتكلم وتخبر عن إدراك ومعرفة وغيرها لذا، فالتربية الإسلامية بنمط عصر حياة النبي صلى الله عليه وآله في مرحلة وعصر وصول الخلافة إلى أمير المؤمنين لم تكن مستوعبة الجميع بالحد الأدنى وكانت هناك طبقات واسعة من الناس لديهم عواطف إسلامية ومحبة للإسلام وملتزمة به أيضًا، ولديهم أيضًا الإيمان إلى حد معقول ومقبول، لكن المعرفة والوعي فلا. وإن مشكلة الخوارج نشأت أساسًا من هنا.

٢٤١ – أكثر ما تكون الحاجة إلى البصيرة في الزمن الذي يقلّ فيه الوعي والإدراك لدى الناس أو يفتقدون الوعي من الأساس وفي زمن التلوث بغبار الفتنة. ففي ذلك الوقت، يقع الكثيرون في الخطأ. لكن ما هي نتيجة هكذا أخطاء؟ النتيجة بتعبيره ظهرت جماعة سطحية الإيمان متحجرة تدّعي التقدس وقفت في قبال أمير المؤمنين عليه السلام، تمسكت بآية من القرآن وحرفتها وأعملت شيطنتها لكي تجعل هؤلاء يصطفون في جبهة قبال أمير المؤمنين عليه السلام؛ وهؤلاء شكلوا ضربة لروح المجتمع الإسلامي؛ قساة متحجرين، سيئي الخلق، متكبرين، وكانت هذه من المشاكل الكبرى التي واجهت أمير المؤمنين عليه السلام.

٢٤٢ – المشكلة الكبرى التي يقول عنها أمير المؤمنين عليه السلام «فإني فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري»[1].

١٣٦٨/٢/١١

٢٤٣ – لدي حساسية كبيرة فيما يتعلق بالخوارج. ولقد طالعت

١ | نهج البلاغة، الخطبة ٩٣.

الكثير حول تاريخهم وحياتهم. يشبّههم بعض العلماء – بالتعبير المعروف – بالمتنسكين المتحجرين[1]. لكن هذا التشبيه خطأ. لأن الخوارج في الأصل ليسوا هكذا. فالمتعبدون المتحجرون المنزوون لا شأن لهم بأحد ولا يقبلون أي كلام جديد من أحد؛ فأين هؤلاء من الخوارج؟ هؤلاء الخوارج الذين تحركوا واتخذوا اتجاهًا وسلكوا طريقًا ووقفوا في الساحة يقتلون ويقرون ويضربون. فما هذا الكلام؟ فلو أنهم وضعوا عباءة التعبد على رؤوسهم واتخذوا زاوية قبعوا فيها لم يكن لأمير المؤمنين أن يواجههم.

٢٤٤ – نهضت جماعة من أصحاب عبد الله بن مسعود في المعركة وقالت: «لا لك ولا عليك». والله العالم هل أن ابن مسعود كان من هؤلاء أم لا، هناك اختلاف في المسألة. لكن في ذهني أن عبد الله بن مسعود نفسه كان منهم للأسف. فقد كان أصحابه من المتقدسين المتعبدين. جاؤوا إلى أمير المؤمنين وقالوا له إن كنت تريد الذهاب لمحاربة الكفار وأهل الروم وبقية الأماكن فنحن معك نقاتل بين يديك؛ أما إذا كنت تريد محاربة المسلمين – أهل الشام والبصرة – فلسنا معك، ونقاتلك. ماذا سيفعل أمير المؤمنين مع هؤلاء؟ هل قتلهم أمير المؤمنين؟ أبدًا. حتى إنه لم يسئ معاملتهم. قالوا له أرسلنا إلى أطراف البلاد لندافع عن الحدود، قبل أمير المؤمنين وبعثهم إلى الحدود ليحرسوها. أرسل مجموعة إلى جهة خراسان. ومنهم حسبما نقلوا ربيع بن الخيثم – معروف في مشهد بالخواجة ربيع – . هكذا تعامل معهم أمير المؤمنين، لم يسئ معاملتهم، تركهم يذهبون.

٢٤٥ – هؤلاء المتقدسين لم يكونوا على هذه الشاكلة؛ كان لديهم جهل مركب. أي إنهم انطلاقًا من رؤية ضيقة الأفق وقصيرة النظر خاطئة اتخذوا لأنفسهم اتجاهًا دينيًّا وراحوا في سبيل هذا الدين يضربون ويقتلون ويواجهون! بالطبع كان رؤساؤهم والبارزين فيهم يقفون في الخلف أمثال الأشعث بن قيس ومحمد بن الأشعث الذين

١ | أو المتعبدين المتحجرين. أو الزهاد والمتنسكين.

كانوا دائمًا خلف الجبهة، وجعلوا في المقدمة جماعة من الناس الجاهلين السطحيين بعد أن عبّؤوهم بمسائل خاطئة وجهزوهم بالسيوف وأمروهم بالتقدم إلى الأمام؛ فواجهوا وقتلوا وقتلوا، كابن ملجم مثلًا.

فلا يظنن أحد أن ابن ملجم كان رجلا فطنًا ذكيًّا؛ كان رجلا أحمقًا لكنهم عبّؤوه ضد أمير المؤمنيين وغدا من الكفار. وبعثوه إلى الكوفة لقتل أمير المؤمنين. وكانت حصلت حادثة الحب مصادفة، وجعلته يتحمس أكثر ويضاعف همته لتنفيذ مهمته. كان الخوارج على هذه الشاكلة، وبقوا هكذا. ١٣٧٠/١/٢٦

٢٤٦ – في معركة النهروان نفسها، برز شخص من الخوارج ليواجه أحد أصحاب أمير المؤمنين وجهًا لوجه وشخصًا لشخص، وكان الآخر أقوى منه. فجهز رمحًا وطعن صدره الخارجي. ففي الوقت الذي نفد الرمح من صدره وخرج من قفاه ويد ذلك الجندي العلوي تحكم قبضتها على طرف السهم ومع ذلك، يقرأ الآية: ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾[1]، أي إني يا رب سعيد بلقائك. هذا ليس ألمًا؟ كان حافظًا للقرآن، ومضحيًا في طريق ما يعتقد، ولسوء الفهم هذه هي الفتنة.

٢٤٧ - لذلك، من وجهة نظري فإنّ مسألة النهروان تستحقّ أن نلتفت إليها، وأن ندقّق ونتعمّق فيها. الآن،ما هي قضيّة الخوارج؟ من أين بدأت؟ كان على رأس الخوارج أشخاص منحرفين من ناحية الفكر والرؤية، كانوا منحرفون وخبثاء. من جملة الأشخاص الذين كانوا على رأس الخوارج، شخص باسم «ذو الثديّة». وصل هذا الشخص إلى الرسول صلى الله عليه وآله في حرب حنين عندما كان صلى الله عليه وآله يقسّم الغنائم بين المسلمين، فنادى أن «يا رسول الله اعدل»، نظر الرسول صلى الله عليه وآله إليه **نظرة عتاب واستغفار وقال**: جيّد، إذا أنا لم أعدل فمن الذي سيعدل؟ ما هذا الكلام؟

١ | سورة طه، الآية ٨٤.

لاحظوا، هذا بُعدٌ ونموذجٌ، هو فهم ناقص للإسلام، إدراك غير تام وخاطئ، هذا جزء من الحقيقة، حينها كان هذا الإيمان المتعصب الذي يعود إلى الإيمان الناقص المرفق بالتعصب الأعمى والأصم حيث لم يكن جاهزًا لسماع شيء من أي شخص ولم يكن جاهزًا لتصحيح وإصلاح نفسه؛ هذا أساس الانحراف الكبير. ونشاهد هذا الإيمان نفسه في الأشخاص الأدنى والأصغر منهم، أي الذين كانوا يخدمونهم؛ هكذا تربّى هؤلاء.

عندما يقال فلان نصف علم؛ هذا هو نصف العلم. سمع شيئًا أو كما نقول نحن الطلبة «حفظت شيئًا وغابت عنك أشياء». سمع آية، وتعلّم معنى الآية، سمع حديثًا واطّلع على معرفة من معارف الإسلام، ولأنه حاز على هذه المعرفة غفل عن مجهولاته الأخرى، فجعل نفسه مطلقًا، ورجح رأيه على الآراء الأخرى؛ اعتبره كافيًا، واعتبر أنّ هذا المقدار كافٍ ليكون له رأي واجتهاد في كل المسائل الإسلاميّة، هذا هو العيب الكبير في القضيّة.

٢٤٨ - عندما فرضوا التحكيم على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قضيّة صفين وأجبروه على القبول به، ووُضع اتفاق التحكيم الذي حدّد ممثّلَيْ طرفي النزاع ليذهبا لحلّ مسألة الخلافة، ظنوا أنهم بذلك يزيلون الخلافات. لم يصل جيش الإمام أمير المؤمنين إلى أطراف الكوفة بعد، حتى نهض من داخله شابان يافعان متحمسان غاضبان – وقد ذكر التاريخ اسميهما – مناديين: «لا حكم إلا لله». طبعًا، كانت عبارة «لا حكم إلا لله» تسمع قبل ذلك في المعسكر ولكن غير معلوم من كان يردّدها. هذه واحدة من النقاط التي تحمل العبر حيث لم يُعلم من هو الذي أطلق هذا الشعار أوّل مرّة داخل معسكر الإمام علي عليه السلام، القضيّة يحوم حولها الشكّ. إلّا أنّ هذين الشابين تلقّنا هذا الشعار وصرخا قائلين «لا حكم إلا لله»، نحن لا نقبل هذا العهد. استلّا سيفهما وهجما على جيش الشام وقُتل كلاهما. هذا نموذج آخر أيضًا. لاحظوا هذين الشابين، لاحظوا الروح العامة التي حكمت الخوارج. هنا اجتمعت عدة أمور بعضها مع بعض، ممّا أدّى إلى وجود مجموعة معقّدة

صعبة وقبيحة. كانت معرفتهم بالدين ناقصة وغير مكتملة؛ هو الإيمان اللجوج بتلك المعرفة الناقصة ومن ثم إطلاق العنان للذات الناشئ من الأنانيّة وعدم قبول أي شخص في قبالها، حتى لو كان علي بن أبي طالب عليه السلام. وهكذا في قضيّة «ذي الثديّة» الذي أشرنا إليه، الذي كان يشكك في عمل النبي صلى الله عليه وآله؛ عندما تترافق هذه الأمور مع مقدار من الميول السياسيّة والنشاط والعمل المنظّم والتنظيم القوي، فإلى أي شيء ستتحوّل؟ تتحوّل إلى مجموعات محاربة وإلى أسلحة بيد الظالم السفاك الجاهز للقضاء حتى على علي بن أبي طالب بسبب عقائده، هذه هي الفتنة.

٢٤٩ - أنتم تشاهدون وهو معلوم لكم، أي أنّكم تشاهدون هكذا أشياء في زمانكم، هناك أشخاص يقرؤون آية من القرآن، أو خطبة من نهج البلاغة، أو حديثين طويلين ويسمعون بضعَ كلمات من هذا وذاك؛ وكلّ ذلك ليقدّموا آراءً حول الدين ومسائل الإسلام، لا بل يعتبرون أنّ ذلك كافيًا، قرّروا تقديم تصوّر عن الدين بعقولهم الناقصة، وعشقوا ذلك وآمنوا به ونقلوه إلى الآخرين وربّوهم كما تربّوا هم، وخطّأوا كل من وقف أمامهم مهما كان حتى لو كان فقيهًا وحتى لو أمضى خمسين عامًا في فهم القرآن؛ وعندما كان يقتضي الأمر كانوا يستلّون أسلحتهم لإيجاد موجة من الاغتيال والرعب. طبعًا عندما يدقق الشخص في هكذا حادثة تحمل المصائب يرى؛ نعم، هناك في العمق تكون الأنانيات وطلب السلطة وعبادة المال والشهوة وقد شاهدتم وجود ذلك.

٢٥٠ - كان الأشعث بن قيس – الذي يرجع الخوارج إليه في نهاية الأمر وقد التصقوا به من جملة الأشخاص الذين اتّضح وثبت معارضته لأمير المؤمنين عليه السلام كما اتّضح وثبت نفاقه في مقابل حركة الحق؛ وكان هو وابنه محمد بن الأشعث – وهو أحد أبنائه الذين كانوا من قتلة الإمام الحسين عليه السلام – من نماذج العائلات الخبيثة والسيّئة. عندما تنظرون إلى الرأس، ستجدون آثار طلب السلطة والأنانيّة وعبادة المناصب، فالإنسان يرى هذه الأمور، فالتجربة هي عينها.

٢٥١ - تقرّر في صفين أن يُجرى التحكيم، أي فرضوا على أمير المؤمنين عليه السلام على أن يكون أحد الحكّام من جانب معاوية والآخر من طرفه هو عليه السلام؛ وتقرّر أن يجلس هؤلاء فيتباحثوا في موضوع الحرب بين الإمام علي ومعاوية ويتم العمل بما يتفقون عليه. هذا هو (التحكيم). طبعًا، كان أمير المؤمنين عليه السلام رافضًا لذلك، لكنّه أُجْبِر على القبول بقوة السيف. وعندما قَبِل قال: جيّد جدًّا، ابن عباس حَكَمٌ من جانبي. قالوا لا، لا يكون ابن عباس، فهو إنسان يطلب الحرب ويحبّك ويعشقك، لا يمكن أن يكون. أجابهم عليه السلام: لا بأس بذلك، مالك الأشتر، فهو شجاع وعالم ومخلص وبصير. قالوا، لا هو أيضًا لا يمكن أن يكون، فهو لن يتخلى عن هذه المعركة من الأساس، حتى ندعه يذهب ويحكم للصلح. قال الإمام جيّد، أنا أقدّم هذين. أجابوه: لا، ليكن أبو موسى الأشعري.

هذا الاختيار لم يكن من عمل الناس العاديّين، فأنى لهؤلاء الناس معرفة أبو موسى الأشعري؟ كان عبد الله بن عباس أكثر إيمانًا وفضيلةً من أبي موسى الأشعري، وعليه فليس عامة الناس هم الذين أشاروا إلى أبي موسى؛ عندما تحصل بعض الأعمال، ويجري الحديث ببعض الكلمات، يتّضح أنّ هذا الكلام هو كلام تيار وتوجّه وجهاز وتنظيم محسوب بشكل جيّد، لماذا أبو موسى؟ فمن البداية. لم تكن تربط أبو موسى الأشعري علاقة بعلي بن أبي طالب عليه السلام. كان أثناء قضيّة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام حاكمًا على البصرة، فترك ولم يبق. والآن كان في الحرب إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان الإصرار على ضرورة أن يكون هو. رفض الإمام، ومن جديد استخدموا نفس الأداة التي استخدموها في إجبار الإمام على قبول أصل التحكيم، فألزموا الإمام به. أما الطرف المقابل، فعيّن عمرو بن العاص. الآن لاحظوا من هو مقابل أبو موسى الأشعري الذي كان يفتقد التدبير والإخلاص لأمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن معروفًا بالعقل والحكمة البالغة؟ كان في الطرف المقابل شخصٌ ذكيٌّ منحازٌ مستعدٌ للعمل والنشاط، أي: عمرو بن العاص.

٢٥٢ - جيّد، كانت النتيجة واضحة. نعم بالطبع، تطلّب الأمر عدّة أشهر لتُعلَن هذه النتيجة وليكون هذا. أدرك الإمام أنّ النتيجة لن تكون حسنة، لكنّ الاتفاق قد وَقَعَ وانتهى؛ حينها قال: حسن، إذا كان لا بد من التحكيم واختير أبو موسى، وذهبوا ووقعوا على التحكيم، حسن، فليكن التحكيم؛ إذًا لنرجع إلى الكوفة. حَرّك الجيش نحو الكوفة، ولكن تعلمون أيّ عسكر هذا الذي سيدخل الكوفة! عسكر فاقد للنشاط، انتظر عدّة أشهر وقدّم عددًا كبيرًا من القتلى وتحمّل هذا الحجم من الشدائد وها هو يعود خالي اليدين. كان سؤال النساء والأمهات والأطفال والآباء والعائلات: جيد؛ ذهبتم لعدّة أشهر وقدّمتم هذا العدد من القتلى، وأعدتم هذا الكم من الأحصنة من دون فرسانها، وهذا الكم من السلاح الذي لا صاحب معه، وهذا العدد من أجساد الشهداء - أو لعلّهم دفنوا أجساد الشهداء هناك - ماذا أحضرتم معكم؟ لم يكن لديهم أي جواب يقدّمونه للناس، حتى النصر لم يحضروه. كان العسكر مضطربًا ومتألّمًا. في أجواء هذا الاضطراب والاندهاش الروحي والضربة النفسيّة التي نزلت على جيش أمير المؤمنين عليه السلام، طُرح هذا الشعار «لا حكم إلا لله»؛ فما هو هذا التحكيم؟

٢٥٣ - هذه الجملة هي من **القرآن** «لا حكم إلا لله» تعني أن لا حكم ولا حكومة ولا حاكمية إلا لله؛ هنا يختلط التحكيم والحاكمية وأنواع الحاكمية بعضها مع بعض. بمجرّد أن يقولوا «لا حكم إلا لله» كانوا في البداية يريدون إدانة التحكيم، ولكن وبالتدريج أصبحت المسألة شيئًا آخر في الأماكن الفكريّة المغلقة وعلى أيدي بعض الأشخاص سيّئي الفكر والمغرضين، أصبح معنى «لا حكم إلا لله» وبالتدريج هو: ما معنى الحكومة من الأساس؟ ما معنى الخلافة التي يتنازع عليها علي ومعاوية؟ الحكومة لله، يجب أن يأتي الله ليحكم وليس علي عليه السلام ولا معاوية؛ وهذا يعني أن يتخذ الشعار اتجاهًا انحرافيًّا. جيد، هنا نهض بعض الشبان والعوام والجاهلين غير العارفين بعلي ولا بالدين، فوجدوا أنّ هناك شعارًا، وبما أنّهم كانوا يعانون اضطرابًا نفسيًّا التحقوا بالجماعة وأخذوا يردّدون شعار «لا حكم إلا لله».

لاحظوا أنّ الأرضيّات النفسيّة والإنسانيّة والخارجيّة على اختلافها قد أوصلت إلى هكذا نتيجة من خلال انحراف في الشعار ومن خلال شعار منحرف أي أنّ الشعار هو شعار تم تحريفه.

٢٥٤ – إنّ أوّل عمل قام به أمير المؤمنين عليه السلام أنّه حلّ هذه العقدة الذهنيّة، تحدّث إليهم، خاطبهم: أنتم تقولون «لا حكم إلا لله»؟ جيد، أنا أيضًا أعرف أن «لا حكم إلا لله» ولكن عبارة «لا حكم إلا لله» لا يراد بها المعنى الذي تقصدونه.

قال لهم هي: «كلمة حق يراد بها باطل»، هو كلام حق ولكنّ معناه في ذهنكم خاطئ. ليس معنى «لا حكم إلا لله» ما تقولونه. إن معنى «لا حكم إلا لله»، أنّ الحكومة في المجتمعات البشريّة بناء لرأي الإسلام، ليست تابعة للسلطة ولا للثروة، ولا للطائفة ورئيس القبيلة، وليست تابعة للفاتح[1]، بل هي تابعة للمعايير الإلهيّة. ماذا يعني أن يحكم الله في المجتمع؟ يعني أنّ الشخص الأكثر لياقة للحكومة هو الأقرب إلى الله، العارف بما يريده الله، الأكثر تقوًى وعبودية لله. القوانين الموجودة في المجتمع الإسلامي هي قوانين إلهية، إذًا الحكومة حكومة إلهيّة. السلطات المنفّذة والمشرّعة فيها لله، هذا هو معنى «لا حكم إلا لله». عندما كان يحكم الأنبياء – الأنبياء كانوا يحكمون، وكانوا يقودون – كان على عاتقهم الحرب والصلح والاقتصاد وإدارة أمور البلاد والقضاء والتشجيع واللوم وكافة الأعمال الأخرى. ألم يحكم النبي صلى الله عليه وآله في المدينة؟ كان يحكم، إلا أنّ هذه الحكومة كانت على أساس المعايير الإلهية، أي أنّه يحكم كالنبي والولي وعباد الله، ولكن بماذا كانوا يحكمون؟ وعلى أي أساس؟ على أساس القوانين الإلهية، هذا هو معنى «لا حكم إلا لله». عند ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لهم: أنتم ترددون عبارة «لا حكم إلا لله» إلا أنّ ما تقصدونه هو أن «لا إمرة إلا لله» أي أنّ الحاكم في المجتمع هو الله فقط، وهذا يعني أن يتجسّم الله – والعياذ بالله ثم يحضر ليقبض على فلان، ويضرب فلان ويشجّع

١ | إشارة إلى القادة والشخصيات التي شاركت في فتح البلدان.

فلان ويقدّم المال لفلان، ويقسّم الحقوق ويجلس على رأس الجهاز الإداري، وكل من أتى من بني البشر للقيام بذلك، فعمله خاطئ، هذا هو ما تقصدونه، مع العلم أنّ هكذا أمر لا معنى له. «لا بدّ للناس من أمير»[١].

في النهاية، لا بد للمجتمع من حاكم، لا بد له من قائد، لا بد من شخص يدير أمور المجتمع، والله تعالى لا يتجسم في شكل بشر ليقوم بإدارة المجتمع. الله تعالى يصدر الأمر بإدارة المجتمع ويجب أن يكون هناك إنسان يقوم بذلك. حاول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إفهامهم هذا الأمر. عندما تحرّك جيش أمير المؤمنين عليه السلام من صفين إلى الكوفة، كانت هذه التمتمات[٢] ما تزال موجودة. وصلوا إلى مقربة من الكوفة، إلى مكان يسمى الحروراء، فوقفت القوات المعترضة السيئة الأخلاق المنحرفة الفكر، وقالوا نحن لا ندخل الكوفة، نحن نبقى هنا حتى تتوب أنت – يا علي – وتعود معنا لنرجع ونحارب معاوية.

٢٥٥ – دخل الإمام الكوفة، في الحقيقة فإنّ سلوك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو سلوك خاص به، دخل المقبرة بداية، جعل أمير المؤمنين عليه السلام الحرب ومعاوية والتحكيم والقتل والسياسية، بمثابة أمر قابل للنسيان والمضي عنه. لكن المسألة الأساسية عنده، هي مسألة المعنويات. دخل المقبرة مخاطبًا الأموات؛ «يا أهل الديار الخالية» يا أيّها الذين تركوا الدنيا، أيها الذين ترقدون في المقابر، اعلموا أنّ البيوت قُسّمت ونساءكم زُوّجت، وأموالكم انتهت، هذا ما عندنا، فما خير ما عندكم؟! ثم التفت إلى أصحابه، وقال لو كانوا يستطيعون الكلام لقالوا لكم ﴿**فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾[٣]. التقوى هي أفضل زاد في هذا الطريق وهذا السفر المليء بالمخاطر؛ وليس البيوت ولا الزوجات ولا الأبناء ولا أي شيء آخر. انظر فأمير المؤمنين عليه السلام في عالم آخر،

١ | نهج البلاغة، الخطبة ٤٠.
٢ | كناية عن الاعتراضات والأقوال والشكوك التي أطلقوها.
٣ | سورة البقرة، الآية ١٩٧.

هل كان سيأتي ويبرّر ويعتذر من الناس، لم يكن يفكّر بهذه الأمور أبدًا! المسألة الأساسيّة عند أمير المؤمنين عليه السلام هي مسألة تربية الإنسان، وإحياء قلوب الناس. دخل الكوفة. كانت الأوضاع في أحوالها العادية، وكان أمير المؤمنين عليه السلام ينتظر نتيجة التحكيم يريد أن يشاهد ماذا سيحدث.

٢٥٦ – كان في نيّة الخوارج إيجاد الشر، بل وشرعوا بالشيطنة، في ذلك المكان المسمى حيث نزلوا فيه وجماعة منهم انتقلت إلى النخيلة، وهي خارج بوابة الكوفة وهناك شرعوا في أعمال الفتنة والشيطنة. في البداية، ظهرت شرارات خبثهم باللسان؛ كانوا يدخلون أزقّة الكوفة، يمشون فيها ثم يرددون شعارهم، وعندما كان أمير المؤمنين عليه السلام يعبر من مكان ما، كان أحدهم ينهض ويصرخ «لا حكم إلا لله»، كان يريد أن يقول له أنت عملت خلافًا لما أراده الله. أما الإمام فلا يجيب، كان يتابع طريقه ويبتعد. وكذلك عندما كان الإمام يصلّي في المسجد، كان يدخل أحد هؤلاء الشياطين المتديّنين في الظاهر، وكانت جماعة كبيرة من أهل الكوفة تجتمع هناك، كانت أجواء المسجد مليئة بالضجيج، ولا يمكن سماع كلام من يريد الحديث والخطاب،، وكان ذاك الرجل يريد إسماع الجميع إلا أنّ الضجيج لم يسمح له بذلك. انتظر هذا الخارجي إلى أن كبّر الإمام وبمجرّد أن قال الإمام «الله أكبر» وبدأ الصلاة، وقرأ بأعلى صوته آيةً من القرآن «ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين»[1].

نعم، هناك من يقرأ الآية، وعندما تُقرأ الآية يجب أن يستمع، لذلك أوقف الإمام الصلاة؛ والجميع يسمعون. كان المقصود من تلاوته الآية الشريفة التعرّض لأمير المؤمنين عليه السلام كان يريد أن يقول للإمام، لا تفتخر بتاريخك، لقد أصبحت مشركًا، لقد أشركت بالله بقبولك التحكيم، وبذلك بطُلت كافة أعمالك. لاحظوا

١ | سورة **الزمر**، الآية ٦٥.

هذا الفاقد للعقل الذي أراد محاربة علي بالقرآن وعلي هو القرآن الناطق. أما الإمام فأجابه في صلاته – باعتبار أنّ قراءة آية من القرآن لا تبطل الصلاة – وقرأ الآية الشريفة ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾[١]. أضفت الآية نوعًا من الطمأنينة على الحاضرين وهي تشير إلى الأحاسيس التي كان يمتلكها الإمام عليه السلام اتجاه هؤلاء حيث كان يتعامل معهم بمنتهى الحلم.

٢٥٧ – كان عملهم الأول في هذه الحدود [أي حدود المنازعة الكلامية]، لكن شيئًا فشيئًا بدأت شيطنتهم بالظهور في الممارسة والفعل الخارجي، بدأ شرّهم بالتدريج؛ الشر العملي. بدأوا بالتصفية والاغتيالات، قتلوا عددًا من المسلمين الأبرياء؛ حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم»[٢]. لاحظوا كم أنّ المفاهيم متقاربة. في أحد الأيام، اجتمع تاجر وإنسان مؤمن عادي مسلم ومسيحي، وخرجا سويًّا من الكوفة؛ كمن الخوارج لهما، اعتقلوهما، سألوهما: من أنتما؟ أجاب المسيحي قائلًا: أنا مسيحي. حقّقوا معه حتى اطمأنّوا إلى أنّه مسيحي، فتركوه يتابع طريقه. ثم سألوا الآخر: من أنت؟ قال أنا مسلم، من أهل الكوفة. هل تقبل بعلي؟ قال: نعم، فقتلوه. تركوا المسيحي وقتلوا العلوي. كان عبد الله بن خبّاب من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان برفقة زوجته أو كما جاء في عبارة أمير المؤمنين «الجارية» وكانت حاملًا، اعتقلوه؛ ثم كان لهم معه بحث مؤلم، كانوا يتصورون أنهم يحاكموه، بعد ذلك قتلوه، ومزّقوا بطن زوجته الحامل، قالوا إذا لم نفعل هذا سيولد الطفل وسيكون فاسدًا – القصاص قبل الجناية – قتلوا الطفل في بطن أمه، كما أن الأم ماتت أيضًا. قتلوهم بهذه الطريقة المفجعة. وهكذا قتلوا بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. فبمجرّد خروج الشخص من المدينة، كانوا يذهبون إليه ويقتلوه.

٢٥٨ – وجد الإمام أنّه لا يمكن البقاء على هذه الحال، أُرسل ابن

١ | سورة الروم، الآية ٦٠.
٢ | نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧.

عباس ليحاورهم؛ ذهب ورجع من دون نتيجة. في أحد الأيام، نهض الإمام وذهب إلى معسكرهم – في الحروراء – تقدّم الإمام إلى مكان قريب، في البداية صلّى ركعتين وأخرج قوسه، اتّكأ عليه وأراد البحث معهم بشكل تفصيلي، عندما يقرأ الشخص كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة أثناء مخاطبتهم يجهش بالبكاء. أجبر أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أخ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوّل مسلم، ومعلم الدين الأوّل، مع تلك المعرفة وتلك السوابق التاريخيّة، وذاك المقام العظيم، جاء ليتحاور مع مجموعة من الجهلة، المتعصّبين الأشرار المنحرفين، أصحاب الفكر الباطل. استخدم أمير المؤمنين عليه السلام كلّ مهاراته في نصيحتهم، أراد إعادتهم، فلم يتمكّن؛ فرجع الإمام. أرسل الإمام شخصًا إليهم يسألهم: لماذا هذا الإجرام؟ لماذا تقتلون؟ إلا أنهم قتلوا رسول الإمام عليه السلام نفسه.

٢٥٩ – قال الإمام إنّه لا يمكن أن تبقى الأمور على ما هي عليه. قال: تحرّكوا، لنذهب إليهم ونضع لهم حدًّا. طبعًا مضى عدّة أشهر حتى هذا الوقت حيث استعمل الإمام عليه السلام كامل محبّته وعفوه، أما هم فكانوا يزدادون تعصّبًا.

تحرّك الإمام نحو المكان الذي اجتمعوا فيه للحرب، في مكان باسم النهروان، جاء أحد الأشخاص إلى الإمام عليه السلام وأخبره أنّهم يتوافدون بكثرة من على الجسر الذي يوصل إلى جهة الإمام عليه السلام. طلب الإمام من أصحابه عدم الاضطراب. «والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة»[1]. حضروا وتقابل العسكر، ومن جديد أراد الإمام نصيحتهم؛ طلب الإمام عليه السلام منهم بداية تسليم قاتل عبد الله بن خبّاب، رفع الجميع أصواتهم، إننا نحن من قتلنا عبد الله بن خبّاب، نحن الذين نبلغ عدة آلاف. كم تشبه هذه الأعمال المؤذية، الأعمال التي عشناها نحن. كان عمل المجموعات هو الإيذاء؛ كان كلام الإمام عليه السلام كلامًا

١ | نهج البلاغة، الخطبة ٥٩.

صحيحًا، فقد قُتل أحد الأشخاص «من قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليّه سلطانًا»[١]؛ عندما يُقتل شخصٌ مظلومٌ من دون سبب من دون أن يَقتل أحدًا، يستطيع ولي دمه المطالبة به، للقصاص منه، هذا هو حكم الإسلام، هذا الأمر قابل للفهم وهو مقبول، إلا أنّ تلك الجماعة أصرّت على الأذى ورفضوا وصرخوا، نحن جميعًا من قتل. نادى الإمام عليه السلام أنّ كل من يأتي منكم، يجلس تحت هذا العَلَم، فلا شيء بيني وبينه. في النهاية، انفصل ثمانية آلاف شخص من مجموع الاثني عشر ألفًا تحت ضغط الخوف وتحت تأثير ما أراده الإمام، إلا أنّ أربعة آلاف شخص أصرّوا على موقفهم وبدأوا الحرب. استمرّت الحرب يومًا من الصباح إلى الليل.

٢٦٠ – اشتدّت الحرب إلى مستوى أنّهم لم يجدوا الفرصة للصلاة، كانت صلاتهم التكبير، هذا هو الحال في ساحة الحرب عندما تشتدّ، فإذا أرادوا الانسحاب لأداء الصلاة، فقد يتغلّب العدو، التكليف في هذه الحالة هو أداء الصلاة في ساحة الحرب، فإذا لم يتمكّنوا يمكنهم أداؤها أثناء ضرب السيوف من خلال ترديد عبارة «الله أكبر» فتكون هي الصلاة؛ لاحظوا كيف تكون الأولويات في الإسلام، هكذا يكون حال الصلاة ذات العظمة والأهميّة عندما يكون الأمر حفظ الدين. فلو أردنا الذهاب للصلاة بهذه الحال ومراعاة خصوصياتها، والوضوء والتوجه إلى القبلة وطهارة اللباس النجس، عند ذلك سينتصر العدو. يقول الإمام عليه السلام هنا: «الصلاة لا تترك بحال»، هكذا تكون أهمية هذا الواجب، إلا أنّ الصلاة في ساحة الحرب غير الصلاة عند الطمأنينة والاستراحة والشعور بالأمن حيث لا شيء من الأخطار يهدّد الإنسان، هناك تكون الصلاة عبارة عن «الله أكبر».

٢٦١ – في النهاية، انجلى الغبار، ووقع كافّة عساكر العدو، أولئك الأشخاص المتعصّبون منحرفو الفكر، واللجوجون، على الأرض وتمكّن عدد منهم، أقلّ من عشرة، من الفرار؛ وقد ذكر التاريخ إلى

١ | بحار الأنوار، الجزء ٤٤، الصفحة ٢١٨.

أين ذهبوا، وحدّد أنّ اثنين منهم ذهبا إلى المدينة الفلانيّة، وواحد إلى المدينة كذا وثلاثة ذهبوا إلى تلك المدينة، كل ذلك واضح. ١٣٦٥/٣/١٢

٢٦٢ – تَنْقل إحدى الروايات أنّه كان أمير المؤمنين عليه السلام يتحرّك مع أحد أصحابه قبيل معركة النهروان، فسمعوا صوت قارئٍ للقرآن في وسط الليل ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ﴾[1] كان القارئ يردّد الآية بصوت جميل. هنا تحدّث الشخص المرافق للإمام عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين أتمنى أن أكون شعرة في بدن الشخص الذي يقرأ القرآن بهذا الجمال؛ لأنّ مصيره سيكون إلى الجنّة ولن يكون له مكان غيرها. أما الإمام عليه السلام فطلب منه عدم الإسراع في الحكم؛ اصبر قليلًا. مضت القصة، وانتهت الحرب بانتصار أمير المؤمنين عليه السلام. كان أكثر القتلى إما من الكوفة أو من جوارها؛ هؤلاء القتلى الذين كانوا في حربي صفين والجمل في جبهة واحدة؛ إلا أنّ أذهانهم قد انحرفت. كان الإمام يتنقّل بين القتلى بحالة من التأثّر الشديد، وأجساد القتلى مرميّة وجوهها على الأرض، فكان الإمام يطلب تحريكهم، ومشاهدة البعض. كانوا أمواتًا، إلا أنّ الإمام كان يخاطبهم. نعم، كانت كلمات الإمام عليه السلام تحمل الكثير من الحكم والعبّر. ثم وصلوا إلى شخص، قلبوه، نظر الإمام عليه السلام إليه، ثم تحدّث مع ذاك الشخص الذي كان يرافقه وسط الليل وقال له: هل تعرف هذا الشخص؟ قال: لا يا أمير المؤمنين! فقال: هذا هو الشخص الذي كان يقرأ تلك الآية في تلك الليلة وقد تمنيت أن تكون شعرة من بدنه! كان يقرأ بحرقة إلا أنّه كان يحارب القرآن المجسّم (الناطق)، أي أمير المؤمنين. نعم، قاتلهم الإمام عليه السلام حتى تمّ اقتلاعهم. طبعًا لم ينته الخوارج عن آخرهم، بل استمرّت أقليّة مدانة ومطرودة. لم يتمكّنوا من التسلّط؛ كانت أهدافهم أكبر من ذلك. ٢٦ - ١ - ١٣٧٠ – ١٩٩١/٤/١٣م - ٢٨ رمضان ١٤١١هـ

٢٦٣ – التفتوا إلى أنّ اسم الخوارج هو المارقين! المجموعات

١ | سورة الزمر، الآية ٩.

الثلاثة التي حاربت أمير المؤمنين عليه السلام هم: القاسطون والناكثون والمارقون. القاسطون هم أصحاب معاوية وجيش الشام، والناكثون هم جيش طلحة والزبير – الذين تركوا البيعة – القاسط في المجموعة الأولى هو الظالم حيث أنهم ظلموا، والناكثون يعني المخلّون بالبيعة والمخلّون بالعهود، الذين لا وفاء لهم، فماذا يعني المارقون؟ عندما تطلقون سهمًا من القوس، فينفصل بقوة عنه ويبتعد، يُقال هنا مرق. فالمارق تطلق على السهم الذي ينفصل عن السهم بكامل القوة والسرعة حتى يصل إلى الطرف الآخر. هؤلاء السادة المارقين ابتعدوا عن الدين بهذه القوة، كالسهم الخارج من القوس الذي يستقرّ في الطرف الآخر؛ وهكذا ابتعد هؤلاء عن الدين والقرآن، فسمّوا بلمارقين. كلمة المارقين لم تكن موجودة في التاريخ وليست من مختصات علي بن أبي طالب عليه السلام، بل هي للرسول صلى الله عليه وآله. الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي أطلق عليهم اسم المارقين. تبيّن تجربة المارقين أنّ الجهل وعدم المعرفة، يؤديان إلى فتنة عظيمة. هي فتنة تجعل الأصحاب يقفون في مقابل الحقيقة وليس الأعداء؛ هي فتنة يسقط فيها أصحاب الإيمان وليس فاقدي الإيمان؛ هي فتنة تجعل المضحّين يضحّون في سبيل الشيطان حتى يُقضى عليهم ولا يكون فيها الأشخاص الكسالى وطالبي العافية.

٢٦٤ – اعتاد البعض على تشبيه المارقين والخوارج بالمقدّسين البعيدين عن الأحداث؛ هذا غير صحيح. لأنّ هؤلاء المقدسين هم في الحقيقة متحجّرون، متعصّبون غير جاهزين لفهم أيّ شيء من مسائل الثورة والقضايا الجارية في البلد ومسائل الدنيا، اعتقدوا بشيء وأصروا عليه وعلى متابعته، أخذوا كلمة واحدة من الإسلام والتشيّع ومحبّة الأئمّة، وطأطئوا رؤوسهم إلى الأدنى وساروا على هذا النحو. لا يدركون ما هو تقدم الثورة وما هي الحركة الثورية لهذا الشعب العظيم والإلهي؟ هؤلاء هم عين المقدّسين أو المتقدّسين الذين ابتلينا نحن بهم طوال مرحلة الثورة؛ وبعد الثورة، كانوا موجودين هنا وهناك أيضًا. يظنّ البعض أنّ هؤلاء هم الخوارج، لا؛

هؤلاء ليسوا الخوارج، عمل هؤلاء هو التذمّر. كان المرحوم الشهيد مطهّري يقول: هؤلاء شبيهون بالأشخاص الذين يعمدون إلى القافلة التي تتحرّك، فيرمونها بالحجارة من الخلف، أما الحجارة فقد تصيب وقد لا تصيب، قد يلقون عشرة أحجار، فيصيب أحدها ساق رجل، فلا يحصل أي شيء. وهناك أشخاص آخرون غير هؤلاء الذين يقفون مقابل الإنسان يسدّون عليه الطريق، هؤلاء كالمجموعة السابقة أيضًا، إذ يلقون الحجارة من أمام القافلة فتصيب مقدمها، لا يجب الخوف من هؤلاء. لم يكتفِ الخوارج والمارقين بالتذمّر، لم يكتفوا بالتذمر باللسان، بل بدأوا بالشعار والعمل على الشباب ثم عمدوا إلى الأسلحة، ثم وقفوا مقابل علي عليه السلام متجرّئين عليه. إنّ تعصّب الخوارج ليس شبيهًا بتعصّب المقدسين المشتتين هنا وهناك، بل هو شبيه بتعصّب المجموعات التخريبيّة، تلك هي الفتنة. على كل حال، أزاح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه الفتنة العظيمة من أمامه وترك لنا إحدى أكبر أحداث تاريخ الإسلام للدرس والعبرة. ١٣٦٥/٣/١٢ ١٩٨٦/٦/٢م

فتنة العظماء

٢٦٥ – كانت البعثات – سواء بعثة رسول الإسلام أو الأنبياء الآخرين – باستمرار في إطار ما تعرض له البشر من أسر. وهذا يعني أنّ الأنبياء عندما كانوا يُبعثون كان الناس يعيشون في الأسر فتأتي البعثة لتكون المخلصة والمحرّرة لهم. يتمثّل أسر الإنسان فيما يتعلّق بالبعثة أسرًا ماديًّا ومعنويًّا. فيما له علاقة بالحياة المادية؛ أي أنّ اقتصادهم وحكومتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، كانت بأيدي أصحاب القوة والسلطات الطاغوتية والشيطانية، كان يحكمهم الفراعنة وكانت حياتهم المادية صعبة. كانوا يفتقدون الحرية والاستقلال، كانوا يمضون حياتهم اليومية بصعوبة. كان التمييز هو الحاكم بينهم وكانت العدالة مفقودة، وكان الإنسان مستحقرًا ويتعرّض لأنواع العذاب وكان المجتمع يتعرّض لأنواع الضغوطات المادية. هذا في البعد المادي وكذلك في البعد المعنوي والروحي للإنسان، حيث كان

يعيش الأسر. كانت أخلاقهم فاسدة، لم يسمحوا للناس تعلّم الفكر الصحيح والمعرفة الصحيحة. كان الناس يفكرون بأسلوب خاطئ ومنحرف، وكانت الفضائل مفقودة من المجتمعات الإنسانية، كان الشخص لا يرحم أخيه الإنسان، وكانت استعدادات البشر خافية، لم يسمحوا بتفتّح تلك الجواهر الثمينة الكامنة داخل الإنسان ولم يسمحوا بسيلان تلك المنابع الفياضة من وجوده؛ كانت الحياة أسرًا كاملًا. ظهر الأنبياء في هكذا أجواء وكانت البعثة. استخدم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عبارة الفتنة للإشارة إلى هذا الأسر؛ الفتنة في القرآن كلمة واسعة جدًّا. ١٣٦٤/١/٣٠ ١٣٦٤/٣/٢٣ ١٩٨٥م

٢٦٦ – الفتنة في القرآن تعني العذاب ﴿**لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[١] ﴿**يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾[٢] واستعملت الفتنة في القرآن بمعنى الامتحان. ١٣٦٥/٨/٢٨ ١٩٨٦/١١/١٩ م

٢٦٧ – إنّ الامتحان الإلهي ليس دائميًّا، وعندما يحصل فإن له دور أساسي، إذ يحدّد مصير الأمم والشعوب طوال التاريخ في لحظات خاصة، فتكون تلك اللحظات لحظات اختبار. الامتحان صعب، وأكثر الأشياء صعوبة فيه أنه عندما يقع، فالكثيرون لا يدركون أنه الامتحان. أطلق القرآن على الامتحان اسم الفتنة، لأنّ في الفتنة تكون الحقيقة غير واضحة أمام أعين الأشخاص العاديّين والمتوسّطين. الفتنة كالغبار الذي لا يدرك الإنسان الكثير من الحقائق الواقعة خلفه. وعندما يحلّ الامتحان الإلهي، فالكثيرون لا يدركون أنّه امتحان إلهي، لذلك يرسبون فيه. وأما الذين ينجحون فهم الذين تتوافر فيهم خصلتان؛ الخصوصية الأولى هي الذكاء والوعي، والخصوصية الثانية هي قوة الإرادة والجرأة والشهامة. ١٣٦٤/١٢/١٠ ١٩٨٦/٢/٢٠م

٢٦٨ – من جملة معاني الفتنة في الاصطلاحات القرآنيّة، الافتتان والانجذاب والخبث والخباثة وإيقاع إنسان ومجتمع في الحيرة؛

١ | سورة الممتحنة، الآية ٥.
٢ | سورة الذاريات، الآية ١٣.

الحيرة الناشئة من الاندهاش وفقدان الهوية، هذا هو معنى الفتنة. من جملة المعاني التي استخدمت في القرآن والحديث الآية الشريفة الآتية ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1] أي أنّ مال الإنسان وأبناءه هم فتنة وهذا يعني أنّها تفتن الإنسان وتجعله متعلّقًا بها ولأنّ الإنسان يحب المال والأبناء فقد لا يشاهد الحقائق وحتى الأشياء الواضحة الماثلة أمام عينيه، وهذا يعني أنّ الصفة السيّئة والعمل السيّئ لا يشاهده الإنسان في ابنه، فالمحبة بين الأب والابن تمنع الإنسان من مشاهدة العمل السيّئ. وقد يكون عند الإنسان حركة سيّئة قبيحة في عمله وسلوكه فلا يشاهد ذلك بسبب عشقه للمال وأنّه يسعى نحوه. هذه هي الفتنة؛ الشيء الذي يفتن الإنسان، ويجعله متعلّقًا ومجذوبًا ولأنّ الإنسان يحصل عنده الانجذاب إلى ذاك الشيء أو هذا الطريق أو الشخص، فلا يتمكّن من إدراك الموقع الموجود فيه ويطوي الطريق الخطأ.

٢٦٩ - واستخدمت الفتنة بهذا المعنى في مفهومها الاجتماعي وهي موجودة في التاريخ. المقصود من فتنة المجتمع أن يبتلي المجتمع بحيرة وضلال وجاذبة خاطئة ممّا يجعله يتحرّك على الطريق الخطأ وأن لا يتمكّن من تمييز طريق الخطأ من الصواب؛ هذه هي الفتنة. وتؤدي فتنة المجتمع عند الضلال إلى عدم سماع الكلام الحق في ذاك المجتمع، حتى لو كان هناك متحدّثون بالحق، إلا أنّ الآذان لا تساعد ولا تتمكّن من سماع الكلام الحق، وهذا يؤدي إلى أن لا تشاهد أعين الأفراد في المجتمع القبائح والسيئات بصورتها القبيحة والسيّئة، وكأنّ الأجواء قد أحاط بها الغبار الذي يمنع الإنسان عند وجوده من مشاهدة الكثير من الحقائق والوقائع الماثلة أمام عينيه، لذلك تكون الأعين غير قادرة على رؤية الحقائق. شاهد البشر هكذا فتن طوال التاريخ، وهذا يعني أنّ البشر يمتلكون هذا العقل والعلم والرؤية والأعين والآذان التي يمتلكها الإنسان السليم العادي؛ إلا أنّ امتلاك العلم والعقل والحضارة والثقافة

١ | سورة التغابن، الآية ١٥.

والتطوّر لم يؤدِّ بالإنسان إلى الظفر بسبيل الهداية أو أن يتعرّف على الحياة في معناها ومفهومها الصحيح. وكانت نتيجة تلك الحضارة والثقافة وذاك الوضع الاجتماعي الخطأ والمفتون بفتن متنوعة هو ما رأيناه وشاهدناه حيث أن البشرية في أغلب مراحل حياتها أصبحت عرضة للشدائد والضائقات والصعوبات الكبيرة. من جملة خصوصيات الأنبياء أنهم ظهروا في مراحل الفتن التي ابتليت بها المجتمعات، وذلك ليقضوا على الفتنة، ليتمكّنوا من إخماد غبارها وهذا المعنى موجود في حياة نبيّنا بالأخص في صريح نهج البلاغة.

١٣٦٥/٨/٢٨ ١٩٨٩/١١/١٩م

٢٧٠ – تبدأ الخطبة الثانية بعبارة «أحمده استتمامًا لنعمته»؛ لا كلام لنا في هذا الجزء، ننتقل إلى العبارات الأخرى لنصل إلى الشهادة برسالة الرسول صلى الله عليه وآله، من هنا يبدأ الجزء المقصود.

٢٧١ – ذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة صورتين للفتنة تجدر الإشارة إليهما وتتبّعهما. الأولى قوله «أرسله بالدين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع»؛ لاحظوا وجود معنى ومفهوم واضح في كافة هذه العبارات، «العلم المأثور» أي ذاك العلم الذي يدرك البشر مسبقًا أنّه يرفرف طبق علامات خاصة. الكتاب المسطور يعني تلك الكتابة الواضحة التي لا يُشكّ في أنّها من الله أو أنها ليست منه أوانها قد أضيف إليها شيء أو لم يُضَف، فلا شيء من ذلك فيها، حيث لا طريق للشك إليها. في بعض الأحيان، يأتي شخص ويتحدّث بكلام من دون أن يقدّم شيئًا مكتوبًا وتارةً أخرى يقدم ذاك الداعي إلى الحق كتابة مضبوطة واضحة، بكلمات وحروف محدّدة بحيث لا يبقى فيه مكان للشك والشبهة؟ والنور الساطع هو النور الذي أضاء كل الأماكن؟ أو «الضياء اللامع» وهو النور اللامع المضيء؛ «والأمر الصادع» هو تلك الحقيقة والحادثة التي ملأت كل أماكن العالم، هذه بأكملها خصوصيات لها وضوح في ذاك المعنى والمفهوم. جيد، هذا الإيضاح العظيم، في أي زمان ولأجل أيّة قضية جاء به الرسول صلى الله عليه وآله؟ هنا يذكر أمير المؤمنين عليه السلام الفتنة على

مرحلتين ويبيّن معنى الفتنة. الأوّل: «فِتن انجذم فيها حبل الدين وتزعزعت سواري اليقين»وهذا يعني أنّه في العصر الذي بُعث فيه الرسول صلى الله عليه وآله كانت الفتن للسيطرة على الناس وعلى حياتهم وقلوبهم ومجتمعاتهم، تقطع حبال الدين بمعنى أنه لم يوجد ذلك الفكر الديني الواضح الذي فيه نجاة الناس وصحوتهم، فكر يستطيع إخضاع القلوب، ومعرفة دينيّة صحيحة يمكنها جذب المفكّرين إليها.

إنّ المسيحيّة في ذاك اليوم أو الأديان الأخرى التي كانت موجودة، كانت عاجزة حقيقة عن لفت أذهان أصحاب الفكر والعلماء والقلوب الواعية إليها. كان الناس يعيشون الخلأ في حياتهم «وتزعزعت سواري اليقين» كانت أسس اليقين مزلزلة، أي أنكم لن تشاهدوا في كافة أنحاء الدنيا، أي دين ومذهب بحيث كانت أسسه يقينيّة في قلوب الناس. ليس البحث حول عوام الناس الذين كانوا يؤمنون بأي شيء حتى لو كان خرافيًّا؛ بل الكلام حول المثقفين والعلماء والناس الواعين والأشخاص البحاثة والشباب العارفين حيث كان جيل الشباب يبحث في الغالب عن مبررات لعدم وجود تزلزل في الإيمان اليقيني، فلم يكن في قلوبهم أيّ من أسس اليقين بل كل ذلك كان لا مكان له. «واختلف النجْر وتشتّت الأمر» الطبع الأول للبشر هو الفطرة التوحيديّة والتوجّه نحو معرفة الله وعبوديته، إلا أنّ هذا قد تحوّل. «وتشتّت الأمر» النتيجة الطبيعيّة لهذا الأمر هو تشتّت كافة هذه الأمور، طبعًا لم يكن هذا مختصًّا بالجزيرة العربية، بل كان ذلك من الأمور التي وجدت في كل مكان في العالم ذاك اليوم. إذا لاحظ الشخص تاريخ الكون في مرحلة بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، سيرى أنّ كافة الأماكن قد ابتليت به وهذا يعني أنّ فتنة شاملة قد حكمت الدنيا. ١٣٦٥/٨/٢٨ ١٩٨٦/١١/١٩م

٢٧٢ – «وضاق المخرج وعمي المصدر» لقد ضاق على الناس طريق الخروج من هذه الفتنة وأضحت مواقع الاستفادة مبهمة ومظلمة على الناس. «فالهدى خامل والعمى شامل»، فقد خفتت الهداية ذاك اليوم وأصبحت باهتة وساد العمى كافة الأماكن. «عُصي

الرحمن ونُصر الشيطان». «خذل الإيمان» وبقي الإيمان لا ناصر له. «فانهارت دعائمه وتنكّرت معالمه ودرست سبله وعفت شركه؛ أطاعوا الشيطان فسلكوا مسلكه ووردوا مناهله بهم سارت أعلامه وقام لواؤه». ١٣٩٥/٤/١٨ ١٩٨٠/٧/٩م

٢٧٣ – ثم يوضح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عقب هذه الخطبة أنّ الهداية فُقدت بين الناس وحكم الناس العمى وعدم البصيرة. ثم يذكر اسم الفتنة من جديد وهذه هي النقطة الأولى التي عرضتها حول الفتنة؛ سواء كانت الفتنة هذه في وجود الإنسان وفي ذهنه أو في البيئة الاجتماعية حيث يتّضح هذا المعنى هنا. يقول: «في فتن داستهم بأخفافها ووطئتهم بأظلافها وقامت على سنابكها»؛ يشبّه الفتنة بالحيوان الأليف الذي أصبح وحشيًّا، مثال ذلك البعير الذي يصاب بالجنون والغضب ممّا يدفعه لدوس موجود تحت حوافره فلا يرحمه أو كالنبات في مزرعة تدوسه الأبقار والحيوانات فيُقضي عليها بالكامل ولا يبقى منها أي شيء، أو كذاك الحيوان المتوحّش الذي يقف على اثنين عندما يهاجم حيوانًا آخر أو عندما يواجه إنسانًا، فيستعدّ للهجوم الذي لا رحم فيه؛ يبيّن لنا الفتنة ذاك اليوم في هكذا حالة. «ففي فتن داستهم بأخفافها ووطئتهم بأظلافها وقامت على سنابكها» كالحيوان المتوحّش المستعدّ للهجوم، وهذا يعني أنّ الناس لم يعيشوا الهدوء والاستقرار في حياتهم الاجتماعية وكل ذلك بسبب الفتنة. جيد، ما هي نتيجة هذه الفتنة العامة في حياة الناس؟ ١٣٦٥/٨/٢٨ ١٩٨٦/١١/١٩م

٢٧٤ – «فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران نومهم سهود وكحلهم دموع بأرض عالمها ملجم وجاهلها مكرم». كانت هذه الأرضية التي بعث فيها الأنبياء طبقًا لكلام أمير المؤمنين عليه السلام، وإذا دققتم في هذا الكلام ستجدون صورة ولوحة وأثرًا فنيًّا بالمعنى الحقيقي للكلمة وذلك للإشارة إلى الأوضاع والأحوال الجاهلية. يُشاهد في هذه الصورة الفنية وفي هذه اللوحة التي رسمها علي بن أبي طالب عليه السلام في إحدى خطبه وهو واقف على المنبر يتحدّث إلى الناس، أكثر ما يمكن من السيئات

واللائمات والأخطاء في المجتمع. فمن الناحية الفكرية، الناس عمي، لا يدركون مسيرهم مصابون بالحيرة والاضطراب قد أضاعوا أهدافهم، لا يعرفون لماذا يستيقظون في الصباح من نومهم، يظنون أنهم يعرفون ولكنهم مخطئون. ١٣٩٥/٤/١٨ ١٩٨٠/٧/٩م

٢٧٥ – كان هذا الوضع عند بعثة الرسول صلى الله عليه وآله، وبشكل مختصر. فالعالم الذي بعث فيه رسولنا، هو عالم مصاب بالحيرة ومفتون ومبتلى بالجهل يفتقد الحبل العقائدي المحكم الذي يمكنه جذب الناس إليه ليعتصموا ويتمسّكوا به، لقد ظهر الرسول صلى الله عليه وآله في هكذا عالم وفي هكذا حيرة وضلال وظلام. لذلك تشاهدون هنا تلك العبارات التي جاءت في أول الخطبة والتي تشير بأكملها إلى أنّ بعثة الرسول صلى الله عليه وآله ودعوته كانت مشهورة واضحة منيرة، وبالتناسب مع هذا الشيء الذي يشخص أرضية ذاك اليوم، أي في المكان حيث كان الناس في حيرة، وهم جاهلون مفتونون غير عالمين يعيشون حياة ذليلة. في هكذا حال، أرسل الله تعالى نبيًّا؛ «بالدين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع» وقد ذكرت معنى هذه العبارات من قبل.

هذا بُعد صغير، أي أنه بُعد من ضمن عدة أبعاد، وهو ليس صغير حقيقة، بل هام وعظيم للغاية، أما أنه أحد أبعاد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وحياته. جيد، عندما أنظر اليوم إلى عالمنا المعاصر، إلى وضع البشرية اليوم، سنرى في هذا اليوم أنّ العالم يفتقد لبعثة الرسول صلى الله عليه وآله وهذا الضياء اللامع والعلم المأثور والكتاب المسطور بنفس الخصوصيات والعالم اليوم بحاجة إلى هذا العلم وهذه الشمس المنيرة. واليوم قد تزلزلت أسس اليقين في الدنيا أيضًا، «وتزعزعت سواري اليقين» اليوم لن تجدوا مكانًا في الدنيا تطمئن له باعتباره مبدأً محكمًا يقدم الأمل. لقد سُلبت الآمال في كافة المدارس، ولم تتمكّن المدارس والمناهج الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والسياسية أن تحقّق آمال البشرية، وهذا ليس مختصًّا بالعالم الثالث وليس مختصًّا بدنيا المسلمين، بل

الوضع على هذا الحال في كل مكان. في أحد الأيام رُفعت أعلام، منذ أواسط القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين، لا بل إلى هذه الأيام الأخيرة وقد جذبت إليها بعض الأشخاص وبعض المفكّرين لمدة معيّنة فاعتقدوا بها. واليوم ما زالت أسس اليقين بهذه المدارس الفكرية متزلزلة.

٢٧٦ – واليوم نفس هذه الفتنة تجذب قلوب البشرية وتجعلهم في حيرة، هذه الفتنة تحكم البشر اليوم، الفتنة لها لون الحضارة المبنية على أساس الماديات، الحضارة المادية وليس الحضارة الإنسانية. الفتنة ثقافة متعددة الألوان، ثقافة تحتل العيون والقلوب بألوانها. هي ثقافة ترتبط بالأحاسيس والمشاعر الظاهرية للإنسان ولا تتطرّق لأعماق القلوب والأرواح، أي أنها لا يمكن أن تنفذ إلى ذلك. فالسياسات كاذبة ومزوّرة والأساليب خبيثة فيما له علاقة بالبشرية والبشرية في حالة يأس وضياع، هذا هو وضع الدنيا اليوم. إذا نظرنا اليوم إلى السياسات العالمية بالأخص سياسات العالم الثالث والعالم المستضعف، سنرى أنّ الخصوصيات عينها التي كانت موجودة في مرحلة بعثة الرسول صلى الله عليه وآله موجودة اليوم. لقد كانت آلام البشرية وطرق النجاة منها واحدة على امتداد التاريخ، لأنّ البشرية واحدة، وأما الاختلافات، فهي في الأساليب والمناهج والقوالب. كانت احتياجات وآلام البشرية واحدة دائمًا. واليوم قد ابتليت البشرية بنفس الآلام والاحتياجات والنواقص التي كانت في ذاك اليوم ويتطلّب الأمر نفس العلاج الذي تطلّبته في ذاك اليوم؛ في ذاك اليوم أرسل الله تعالى نبيّه العظيم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وقدّم للبشرية ذاك العلم المأثور وذاك اللواء المرفرف. واليوم قد حزمت أمتنا ومجتمعنا الثوري وشبابنا وكافة الناس اليقظين في المجتمع، أمرهم لإحياء هذه الرسالة. أشعر أنّ المستقبل سيحمل معه حاجة كبيرة وكبيرة للعقول المفكّرة والعارفة بالقرآن والعارفة بمعارف الإسلام أكثر ممّا هي اليوم. أما أنتم الشباب الذين تدرسون في الجامعات وتتعرفون على الإسلام وعلى معارف الإسلام، اعلموا أنكم أنتم من يجب عليه رفع ذاك اللواء، وأنّ بذور القرآن

ونهج البلاغة والمعارف الإسلاميّة؛ هذه البذور السالمة التي تزرع في قلوبكم المستعدة، ستتمكّن في يوم من الأيام من نجاة الإنسان المحتار والبشرية المظلومة، واعلموا أنّ ذاك العلم المأثور والكتاب المسطور هو اليوم في أيديكم وأتمنى أن تتمكنوا من تقديم الضياء اللامع والنور الساطع للبشرية. ١٣٦٥/٨/٢٨ ١٩٨٦/١١/١٩م

٢٧٧ – إنّ ذاك الهدف الذي سعى إليه الأنبياء هو رفع الفتنة وإزاحة الأجواء الملوّثة بالفتنة وتخليص البشرية من الفتن، يجب عليكم أن تتذكروا هذا الهدف باستمرار. إذا قصّرنا فستحلّ الفتنة. ﴿**إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ**﴾[1] إذا لم نتابع طريقنا، إذا لم نستمرّ، إذا لم نقف في مقابل القوى العالميّة الكبرى، وإذا لم نعتمد على أنفسنا، وإذا لم نتّكل على الله ستكون الفتنة. الفتنة هي عين أسر الإنسان؛ هو أسر لأنفسنا وللأشخاص الآخرين. واليوم نتبع ذاك الطريق الذي اتخذه أصحاب الرسول، أبو ذر وسلمان ومجاهدي أحد وبدر وقد أدّى بهم إلى الانتصار وكل ذلك بواسطة تقوى الله والتوكّل على الله وبالاعتماد على الله والأمل بالمستقبل والشعور بالقوة الإلهية في قلوبنا وفكرنا وسواعدنا. نحن سنمضي في هذا الطريق وسننتصر بفضل الله. ١٣٦٤/١/٣٠ ١٩٨٥/٣/٢٣م

١ | سورة الأنفال، الآية ٧٣.

سلسلة
أدبيّات النهوض

- العبادة والعبوديّة في الرؤية والسلوك عند الإمام الخميني ♦ **حسن يحيى بدران**
- عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلاميّة ♦ **عليّ مهدي زيتون**
- الشعائر الحسينيّة من المظلوميّة إلى النهوض ♦ **شفيق جرادي**
- على ضفاف الفرات ♦ **إبراهيم أمين السيّد**
- مجتمع المقاومة ♦ **نعيم قاسم**
- الشيخ عبد الحميد بن باديس ♦ **إلياس جوادي**
- الثورة الإسلاميّة في إيران: ظروف النشأة والقيم القياديّة ♦ **منوشهر محمّدي**
- الخطاب عند السيّد حسن نصر الله ♦ **أحمد ماجد**
- الحداثة والمقاومة ♦ **طه عبد الرحمن**
- الإمام ونهج الاقتدار ♦ **شفيق جرادي**
- قيم النهوض: الحرّيّة العدالة الاستقلال الوطنيّ ♦ **مرتضى مطهّري**
- النهوض الحضاريّ في فكر الإمام موسى الصدر ♦ **غسّان فوزي طه**
- القدس في الوعي المقاوم ♦ **بلال حسن التلّ**
- مباني إنتاج الآخر في العقل الإسرائيليّ ♦ **حسين سلامة**
- الدولة والمقاومة في ظلّ الأوضاع الدوليّة الراهنة ♦ **مجموعة من الباحثين**
- المقاومة: جدليّة الحقّ والقوّة ♦ **مجموعة من الباحثين**
- الشورى ونظم الأمر ♦ **عليّ يوسف**
- الحرب على غزّة ♦ **مجموعة من الباحثين**
- المرجعيّة الدينيّة والمقاومة ♦ **عبد الساتر الموسويّ**
- إشكاليّة الوعي والذاكرة العربيّة ♦ **بيان نويهض الحوت**
- الرؤية العلميّة لدى الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ **عبد الله زيعور**

- الفقه السياسيّ في فكر الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ مجموعة من الباحثين
- السيادة الشعبيّة الدينيّة ♦ مجموعة من الباحثين
- الحاكميّة: دراسة في المفهوم وتشكّله ♦ أحمد ماجد
- صناعة الأمّة الإسلاميّة: الإمام الخامنئي (حفظه الله) وقيادة المشروع الإسلاميّ الاستنهاضي ♦ عبّاس نور الدين
- حقوق الإنسان من وجهة نظر الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ منوجهر محمّدي
- الفكر السياسيّ عند الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ مجموعة من الباحثين
- المسلمون بين المواطنة الدينيّة والمواطنة السياسيّة ♦ عليّ يوسف
- القدس: الموقعيّة والتاريخ ♦ مجموعة من الباحثين
- المرأة في فكر الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ مجموعة من الباحثين
- عاشوراء: الحدث والمعنى ♦ محمّد مهدي الآصفي
- السيادة الشعبيّة الدينيّة: إشكاليّة المفهوم ♦ مجموعة من الباحثين
- السيادة الشعبيّة الدينيّة: معالجات في التطبيق ♦ مجموعة من الباحثين
- الهواجس الثقافيّة عند الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ إعداد مركز صهبا
- أساس الحكم في الإسلام ♦ محسن الأراكي
- الإسلام وتهمة الإرهاب ♦ عليّ يوسف
- خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ♦ محمّد باقر الصدر
- وعي المقاومة وقيمها ♦ شفيق جرادي
- سنن القيادة الإلهيّة في التاريخ ♦ محسن الأراكي
- روح التوحيد (رفض عبوديّة غير الله) ♦ الإمام الخامنئي
- دور القرآن في بناء نهضة الأمّة ووحدتها ♦ مجموعة من الباحثين
- نهضة الذات ♦ محمّد مهدي الآصفي
- الإيمان ومستلزماته ♦ الإمام الخامنئي
- الإسلام في مواجهة التكفيريّة ♦ شفيق جرادي
- التوحيد وآثاره ♦ الإمام الخامنئي
- دراسات في الدولة والسلطة ♦ محمّد طي
- النبوّة وضروراتها ♦ الإمام الخامنئي
- أخلاقيّات العلم عند الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ عبد الله زيعور
- الولاية وأبعادها ♦ الإمام الخامنئي
- يوم الفداء: مقاربة اجتماعيّة ـ تاريخيّة لإحياء شعيرة عاشوراء في لبنان بين 1975–1860 ♦ د. غسان طه

- الصحوة الإسلامية ♦ **محسن الآراكي**
- الشاي الأخير ♦ **مريم ميرزاده**
- الأمن القوميّ الإسرائيلي بعد العام 2006 ♦ **بلال اللقيس**
- الأمة الواحدة في رحاب البيت الحرام ♦ **محمّد مهدي الآصفي**
- البصيرة والاستقامة ♦ **الإمام الخامنئي (دام ظله)**